قراءة حرة في

كتاب [٣٣] استراتيجية

جمع وترتيب

محمد صلاح الدين زيدان

(عابر سبيل)

٢٠١٧ - ٢٠٢٢



الطبعة الأولى

قراءة حـــــــرة في

كتاب 33 استراتيجية

الطبعة الأولى

جمع وترتيب

محمد صلاح الدين زيدان

(عابر سبيل)

2022-2017

تأمل ..

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالضُّحَى {1} وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى {2} مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى {3} وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى {4} وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى {5} أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى {6} وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى {7} وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى {8} فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ {9} وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ {10} وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ {11}.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

في ربيع عام 2017 أهدى إليَّ أحد الشباب نسخةً من كتاب روبرت جرين [33 استراتيجية للحرب]، وقال لي هذا الكتاب تكلموا عليه كثيرًا فحبذا لو اطلعت عليه وأفدتنا بما فيه.

قرأت مقدمة الكتاب بعناية ثم قمت بتصفح الكتاب سريعًا ولم أُعْجَبْ بما يوجه له "جرين" سواء توصيفه للواقع أو تحريضه على النَّفَسِ العدائي والكراهية بين الناس، حيث أرى التناقض في واقع المجتمعات الغربية؛ بين ما يزعمه لقيم الديموقراطية [السلام] وبين تفشي المنافسة [الحرب] في المجتمع واستفحالها حتى لتبدو أنها صراع مرير يظلل حياتهم، إن في ترويجه للأنانية الفردية دعوة تسير بالمجتمع للهاوية.

وفي إطار ما سبق نقرأ دعوته للاستفادة من الخطط العسكرية -ضد الأعداء- في الحياة العامة ضد الناس، وهذا في التعامل مع الناس يفتقر للصدق والإخلاص وفيه قسوة ونفاق وانتهازية واستغلال واستدراج وهذا خطير جدًا بين أبناء الأمة الواحدة، وسوء تربية تشق صفها وتُدخل أبناءها في تنافس غير محمودة آثاره، فهو لا يقل سوءًا في التربية النفسية والذهنية عما يقدمه كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع وكتاب الأمير لميكافيلي.

إنّ كثيرًا مما يدعو إليه "جرين" لا ينسجم مع مبادئنا وتربيتنا الإسلامية، لهذا تركت الكتاب لفترة ثم عرض عليَّ مرة أخرى أن أشرح الجانب العسكري منه فقد جمع فيه "جرين" الكثير من العمليات العسكرية والتي تفتح الذهن وتزيد من الوعي والتجربة العسكرية من خلال الاطلاع على التاريخ العسكري لكثير من الأمم قديما وحديثًا.

هكذا كانت البداية ...

وكنت أتفاعل مع الكتاب حينًا؛ فكنت ابتداءً أخوض فيه بحذر وأعيد عرض ما

يصلح منه بحساسية وأنشره في فقرات قصيرة وموجزة؛ وبمرور الوقت توسعت بقليل من الحذر والخجل، وأحيانًا كثيرة كنت أجده ثقيلًا على قلبي؛ فكنت أتركه لفترات طويلة، لهذا أخذ مني زمنًا طويلًا لأنتهي منه.

ولخشيتي أن أنزلق دون انتباه لبعض ما وقع فيه "جرين"، فأنبه على: أي شيء جاء في السرد يخالف قيمنا ومبادئنا وثقافتنا الإسلامية فأنا أرجع عنه وأتبرء منه، وأطلب ممن تنبه لذلك أن ينبه عليه ويخبرني به حتى أحذفه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ مَرْآةُ أَخِيهِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ» الأدب المفرد، وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» والحديثان في صحيح مسلم، وقد وضعت تفاعلاتي مع الكتاب تحت عنوان [قراءة حرة في كتاب 33 استراتيجية للحرب]، وأرجو من الله التوفيق، وأن ينفع به المسلمين والمستضعفين في كل مكان.

هذا لا يعني أن كتاب روبرت جرين [33 استراتيجية للحرب] لا يمكن الاستفادة منه؛ لم أقصد هذا، ولكن المقصود على من يتوغل فيه أو في كتاب ابن المقفع كليلة ودمنة أن يكون من أصحاب القيم والمبادئ وله مرجعية يضبط بها ما يتناوله؛ حتى لا يضيع بين الانتهازية المنتشرة وبوضوح في سواد هذه الكتب، لا بد أن يختصرها ويعيد شرحها ولكن بنمط أخلاقي لينفع بها الناس .. كل الناس، وللإنصاف فإن كتاب "روبرت" يحوي العديد من الشواهد التاريخية للعمليات العسكرية والرؤى الاستراتيجية المفيدة والممتعة التي تستحق الوقوف معها طويلًا، والأفضل من ذلك العودة إلى المنابع التي روتها حتى تكون الاستفادة كاملة، وأنصح القارئ لهذه المذكرة أن يجتهد في البحث عن المصادر والاطلاع عليها وعدم الاكتفاء بملخصات "روبرت"؛ فهذا سيضيف لتجربته الكثير.

في سياق الكتاب خاصة في الجانب العسكري منه؛ جمل وعبارت رصت حروفها بعمق ومن واقع تجارب مريرة منها على سبيل المثال: [المعرفة ... تُعلمنا أن نفكر بطريقة أكثر عقلانية واستراتيجية حين يأتي وقت الصراع، وأنّ نُوجه نوازعنا العدوانية بدلًا من إنكارها أو كبتها] .. [المقاتلون الاستراتيجيون يعملون بطريقة مختلفة جدًا، يفكرون مسبقًا بأهدافهم بعيدة المدى، ويقررون أي معارك عليهم تجنب خوضها، وأي منها محتوم عليهم خوضها، ويعرفون كيف يوجهون عواطفهم ويسيطرون عليها. حين يُجبرون على القتال يفعلون ذلك عبر مناورة ذكية وغير مباشرة، يجعلون من الصعب تعقب أساليب تلاعبهم] .. [أن تكون مسالمًا في وجه ذئاب كهذه هو مصدر مأساة لا تنتهي]، وبعض العبارات المنقولة تظهر تفوق استراتيجية على أخرى فنرى أن فهم "صان تسو" الذي يقود [الربح الحرب من دون حمام دم] أكثر عمقًا وواقعية مما يروجه "غاندي" [اللاعنف طريقة جديدة لشن الحرب] وهو لم يَسلم من ذلك.

من الفقرات التي تظهر شيئًا من الوجه الكالح للاستعمار وأوردها "روبرت": استراتيجية التجهيل (صناعة الجهل) لكل من غزوهم، كتب "روبرت" في مقدمته: [لم يكن يتم تعليم الجنود الاستراتيجية، لأن ذلك لن يساعدهم في ساحة القتال. إضافة إلى ذلك لم يكن من الحكمة أن يسلح القائد جنوده بمثل هذه المعرفة العملية التي يمكن أن تساعدهم على تنظيم تمرد أو ثورة. وحقبة الاستعمار أخذت هذا المبدأ بصورة أبعد. فسكان البلاد الأصليين في المستعمرات الأوروبية تم تجنيدهم في الجيوش الغربية، وقاموا بالكثير من الأمور الشرطية، لكن حتى أولئك الذين بلغوا مراتب عليا تم إبقاؤهم بشكل صارم في جهل بالمعرفة الاستراتيجية، التي كانت تعتبر معرفتها شديدة الخطر عليهم. وما الإبقاء على الاستراتيجية وفنون الحرب فرعًا من السلطات المختصة، إلا لكي تبقى حصرًا بين يدي النخب والقوى القامعة التي تحب التقسيم والغزو.]، في نفس الباب نقل روبرت من [عبوديتي وحريتي] لفريدريك دوجلاس [وقد تعجب السيد هيو من سذاجة

زوجته، فأفصح لها للمرة الأولى على الأرجح عن الفلسفة الحقيقية للعبودية، وشرح لها القواعد الغريبة التي من الضروري أن يدركها السادة لإدارة ممتلكاتهم البشرية ... عباراته الحديدية الباردة والقاسية وقعت موقعًا عميقًا في قلبي ... كان إلهامًا خاصًا وجديدًا، كشف لي عن لغز موجع لطالما سعيت عبثًا لفهمه: إن قوة الرجل الأبيض على إدامة عبودية الرجل الأسود قائمة على حرمانه من المعرفة].

ولكن هل نجا العوام في الغرب من عملية التجهيل؟، لا .. لقد تم مسخهم، صراعنا اليوم صراع الناس؛ كل الناس ضد الطغمة المتسلطة على العالم، ضد الأقلية التي استولت على الموارد واستعبدت الناس، والأدهى والأمر أنهم في عصر كورونا [كوفيد19] استولوا على مدخرات الناس، وفي مرحلة الحرب الروسية الأوكرانية وإشاعتهم لمناخ المجاعة يستولون على ممتلكات الناس، ثم ماذا بعد؟ إنها وباختصار حربهم على البشرية التي بلغت أعدادًا لا يمكنهم السيطرة عليها؛ ولهذا تعين القضاء على نصفها وبأي وسيلة ممكنة، ودون لفت الانتباه لخبثهم.

كتب الدكتور إبراهيم المالكي في مقدمته لترجمة كتاب أصل السلطة -الذي جمعه اليهودي "مارك بلاسيني" وعرضه على روبرت جرين وسمح له بنشره للقراء- عن اهتمام اليهود بروبرت جرين: [أن شريحة كبيرة من القواد والمسؤولين في مفاصل الدولة اليهودية هم الأكثر اهتمامًا بكتب وأفكار روبرت جرين، حتى بلغه -د. إبراهيم المالكي- من أحد معارف روبرت جرين أن "نتنياهو" قد وفر له منصبًا شاغرًا بجنبه وحثه عليه لغرض الرجوع إليه في الاستشارات السلطوية وطرق دمغ خصومه، وبسط النفوذ السلطوي في الشرق الأوسط، لكن "روبرت" رفض الطلب]، لعل هذا الذي ذكره د. إبراهيم المالكي يدفعنا لقراءة ما كتبه روبرت جرين على الأقل من باب فهم تطلعات اليهود وتوقع نواياهم.

يدور الجزء الأول من الكتاب حول التحضير النفسي للصراع على مستوى القيادة وقدرتها على إلهام الجنود في مراحل وأشكال الصراع المختلفة، أما الجزء الثاني فيدور حول الروح الجماعية في الصراع وتميتها والحذر من سلبياتها، الجزء الثالث يعني بالحرب الدفاعية ومفهوم الاقتصاد والردع وفض الاشتباك والتحضير للهجوم المضاد، الحرب الهجومية ترد في الجزء الرابع وتحتل حيزًا كبيرًا في الكتاب لاعتبار أن النصر لا يتحقق إلا بالهجوم، وأخيرًا في الجزء الخامس يتناول "روبرت جرين" المناورات غير التقليدية والتي نختلف ونتفق حولها.

أسأل الله أن ييسر لي الوقت بمنه وكرمه لإتمام بعض الإضافات على بعض الفصول التي أرى أنني لم أخدمها بالشكل الكافي لحرصي أثناء الكتابة على أن: أبقيها ملخصات، وأترك مساحة في ذهن القارئ ينطلق منها ليخرج ما عنده ويبدع دون مزيد من السرد.

كنت أفضل أن أجد كلمة بالعربية أو مصطلحًا يعبر عن ما يعنيه ويشتمل عليه مضمون كلمة "استراتيجية" اليوم، بعض المصادر العراقية -فيما أظن- وضعت كلمة "السَّوق[1]" كبديل، وهي كلمة لم تحظى باستخدام واسع، ربما لما تحمله من قسوة كناية عن التسلط على الناس وتسخيرهم كما يسوق الراعي الغنم، والمراد هو خطة تحقيق الأهداف، أو قيادة الأمة لتحقيق أهدافها.

إن كلمة استراتيجية اليوم أخذت منحى أكبر وأشمل من اللفظ الإغريقي الذي يعني "قائد الجيش" كما أنها أخذت بعدًا أكبر من ميدان الحرب، وإلى أن يجد لنا أهل اللغة البديل اللفظي للمراد من الكلمة لا أجد حرجًا في استخدامها لبيان المراد.

***

[1] ربما اعتمد واضعها على حديث البخاري ومسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ، يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ**»، الكلمة فيها دلالة على القيادة من الخلف وهذا ما يفعله واضعوا الاستراتيجيات.

لله ....

ثم؛ للمسلمين .. والمستضعفين

عابر سبيل

بسم الله الرحمن الرحيم

حوار مفتوح حول الاستراتيجية

الاستراتيجية العامة للأمة الإسلامية هي: الخطة التي تحقق أهداف الرسالة[2] السماوية، بإحسان التوكل على الله والاستعانة به سبحانه والأخذ بالأسباب لاستثمار ما هو متاح من موارد وما تحقق من قدرات في كافة المجالات.

تقسم الاستراتيجية العامة [الخطة] إلى مراحل وفقًا لقوة الدولة -وحتى التنظيمات- وضعفها وقوة العدو وضعفه، ولكل مرحلة أهدافها التي إن تحققت أمكن الانتقال إلى مرحلة أخرى لتصل في النهاية لتحقيق الأهداف التي رغبت فيها الدولة أو التي من أجلها أنشئ التنظيم، ولذلك فالاستراتيجية العامة عبارة عن خطة طويلة المدى تشمل في بطنها خططًا قصيرة المدى.

هذا من طرف، ومن طرف آخر فالبحث والنقض والحوار والتخطيط في الإسلام لوضع الاستراتيجيات منضبط بمنهج سماوي، يطلق له العنان في البحث لتحقيق قيم عليا وغايات سامية، كما أنّ هناك ضوابط تمنع المفكرين من الانجرار وراء مساوئ مثل "الغاية تبرر الوسيلة"، وبالتالي يتم توظيف ما في الدولة من موارد وطاقات وقدرات متنوعة، من أجل أن تعمل مسيرة الأمة على تحقيق مراد الله منها.

وعملية وضع الاستراتيجية تتعلق «بقدرة الأمة -أو الدولة أو التنظيم- الفكرية على البحث والتفكير لاختيار أفضل الوسائل الممكنة، وتوظيف الموارد المتاحة، لتحقيق أهداف الرسالة الإسلامية سواء دارت رحى الحرب أو لم تدور»، أي التخطيط لإدارة

[2] الصراع في الإسلام ينشأ من منطلق عقدي (أيدلوجي) وليس صراع طبقي أو استغلالي أو اغتصاب لمقدرات الآخرين التي وهبهم الله، قال تعالى (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه) ويعمل على نشر أيدلوجيته من خلال الدعوة التي إن صادفت عراقيل جاءت الحرب لإزالتها ثم تعود مرة أخرى لتفسح المجال أمام الدعوة والمنهج الإسلامي ونظرته الحضارية لغير المسلمين (الآخر أي الكافر) من بني البشر فتديره وفق مراد الله.

موارده وعناصر قوته البشرية والاقتصادية والإعلامية والعسكرية والدعوية والنفسية والدبلوماسية والجغرافية والتاريخية مع الاستفادة من عناصر ضعف خصومه في نفس المجالات: لإعلامه برسالة الإسلام وما يدعو إليه، أو لتهيئة مناخ يفرز مؤثرات داخلية أو خارجية تؤدي إلى تفتيت عناصر قوة العدو وتنحيه عن الصراع، أو لإخضاعه وإبعاده عن المنافسة على عقل الإنسان وقراره، أو قبوله وتبعيته لمنهج الله، سواء دارت رحى الحرب أو لم تدور.

فالرسالة الإسلامية[3] هدفت إلى:

1- توحيد الخالق وإفراده بالعبادة.

2- سياسة الناس بإقامة العدل والتكافل بين بني آدم كافة، وفق تشريع سماوي منصف رحيم، سواءً للمسلمين أو من بقي على ملته من أهل الكتاب، طالما أنهم يعيشون داخل دار الإسلام.

3- حراسة وجود المسلمين، وحفظ أموالهم، وتأمين انطلاقتهم لنشر عقيدتهم.

4- تحرير العقل برفع الضغوط والحُجبِ عنه لتمكينه من الاختيار، وتأمين العقول المسلمة من سلبها فكريًا أو حسيًا، وحفظ العقول من أي مؤثر يشوش عليها أو يضر بها أو يحجب بصيرتها.

5- عمارة الأرض باستثمار نعم الله في الكوكب على أحسن وجه ممكن.

فالأهداف الإسلامية[4] أهداف عامة لصلاح البشرية، وهي لا تسعى إلى المعركة بقدر سعيها لخطاب العقل والروح، وتزكية النفس لإدخالها في الدين، والسعي أيضا لبناء موقف

[3] باختصار من كتاب الثورة من سلسلة الصراع ورياح التغيير.

[4] الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي (الدين والنفس والنسل والمال والعقل)، من (الموافقات للشاطبي).

مناسب لتحقيق الحسم، سواء حدثت معركة أم لا، فإن إخضاع العدو دون قتال هو قمة المهارة.

ونلاحظ من المقدمة السابقة الآتي:

1- الأهداف التي يجب أن تحققها الاستراتيجية الإسلامية لم يضعها أحد من ساكني الأرض وهي متحررة من العقل الآدمي، فهي أمر من الله وإلزام للخلق بالعمل على تحقيقها، وأن يأخذوا في سبيل تحقيقها بما في الوسع، بوسائل دعوية أو جهادية أو غيرهما، أما نتائج هذا العمل من توفيق أو دونه فمردُّه إلى الله.

2- أن مجال الإنسان المسلم فيها هو العمل على وضع الاستراتيجية التي تحقق هذه الأهداف، فوضع الاستراتيجية عملية ذهنية قائمة على واقع يتيح لنا وسائل وإمكانات نسعى من خلالها لتحقيق أهداف الرسالة، وبتعبير مستحدث هي خطة السياسة العامة للوصول إلى أهدافها من خلال معرفتها بواقعها وإمكاناته، وتوظيف وسائلها المناسبة، وبقدر ما تعددت الوسائل المتاحة بقدر ما جاءت الاستراتيجية قوية ومؤثرة.

3- مجال الاستراتيجية هو كافة الموارد المتاحة للأمة من عناصر قوتها الدينية والبشرية والاقتصادية والإعلامية والعسكرية والأمنية والدعوية والنفسية والدبلوماسية والجغرافية والتأريخية، وهي الإمكانيات المتاحة أمام الساسة أو ما يمكن تسميته بوسائل السياسة التي يجب العمل على تقويتها. ولتأكيد ذلك فقوة الاقتصاد هي التي تسمح ببناء القوة العسكرية والإنفاق عليها وعلى ما يصاحبها من أعباء، ولقد جمع الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بين المال والنفس في قرابة عشر مواضع من القرآن لم تقدم فيها النفس على المال إلا مرة واحدة فقط، وذلك لبيان أهمية المال في البناء والحرب. وكما أن هناك استراتيجية عسكرية فهناك استراتيجية اقتصادية وإعلامية ... الخ، والتي تتكون منها مجتمعة الاستراتيجية العامة للدولة.

4- يجب أن يكون حاضرًا في الاستراتيجية تحديد الأعداء وتصنيفهم ومعرفة قدرات كل صنف وترتيب أولويات العمل، فلا يعقل أن نواجه الأعداء دفعة واحدة، ولا يكفي التعرف على عناصر القوة والضعف للأعداء، ولكن دراسة هذه العناصر بعمق للعمل على التفوق عليها، ومن ثم تأهيلها للهزيمة في الصراع، سواء من خلال وسيلة الحرب أو أي وسيلة أخرى، وسواء تم ذلك من خلالنا أو من خلال عوامل خارجية قمنا بدعمها أو حتى من داخل معسكر العدو بالعبث بتركيبته الاجتماعية وهز وحدته السياسية الداخلية أو إضعاف بنيته الاقتصادية، فالنصر على العدو ليس بالضرورة أن يكون عسكريًا فإن انهيارًا داخليًا يؤدي نفس النتيجة وبتكلفة أقل بكثير من تكاليف وتضحيات العمل العسكري، فإن لم يهزم فعلى الأقل تم إضعافه وإخراجه من ساحة الصراع أو المنافسة من أجل هدايته أو للقضاء عليه في مرحلة تالية بحسب لينه وعناده.

5- إن عملية وضع الاستراتيجية ما هي إلا عملية البحث عن أفضل الأساليب والطرق والأدوات لتحقيق الأهداف على مراحل متتالية وبكفاءة تنفيذية مرنة مع الأحداث والوقت. وبما يناسب كل صنف من الأعداء، كما لا يصح أن نواجههم جميعا بنفس الاستراتيجية، فليس بالضرورة أن تتم إدارة الصراع بالحرب فقط، ولكن من المؤكد حتمية القتال في مرحلة لاحقة، إذ ما يمكن تغيره بالكلمة لا يستخدم فيه العصا، وما يأتي بتأليف القلوب ببعض المال أحقن لدماء المسلمين، وما تفعله القوى الناعمة أرضى للصدور من نار الحرب، وما يترتب على الاحتكاك التجاري من نشر الأخلاق والآداب يمثل عدوى ثورية، وما تفعله مناورات الحصار الاقتصادي من إرهاق للخصم يساعد على تفتيته، وما يتولد عن امتلاك الأسلحة النوعية من إرهاب يردع هواجس القادة، وعليه فليست الحرب أو الكفاح المسلح وحدهما وسيلة الصراع، لكنهما جزء رئيسي منه لا غنى عنهما ولكن يستخدما بالقدر المناسب وفي الوقت المناسب حالهما كحال أي دواء،

وأوراق الضغط لإضعاف العدو وعزله كثيرة، ووسائل السياسة[5] متنوعة يستخدم المناسب منها في الوقت والمكان المناسبين. مع الفهم التام للمراد من الوسيلة المستخدمة، فالجزية التي يفرضها الإسلام على المعاندين الرافضين للدخول فيه، فإن كانت تؤخذ في الظاهر من أجل تأمين إقامتهم في الدولة الإسلامية، إلا أنها ومن نظرة أعمق تمثل فرصة زمنية من قبل الله لهم ليعايشوا المسلمين ويراجعوا رؤيتهم لهم ولمبادئ دينهم لعلهم يسلمون، فهي مهلة زمنية مفتوحة ولكنها مدفوعة الثمن في إطار برنامج الدعوة، ومتى ما أسلموا رفعت عنهم.

6- من المؤكد أن الدعوة بالكلمة وتأليف القلوب والقوى الناعمة ستكون محدودة الأثر ما لم تكن تستند على قوة عسكرية تؤدي هيبتها إلى دعمهم وتقوية وحماية تحركهم، وبدون هذه القوة العسكرية لا تُحترم الأمم وتكون نهبًا لغيرها، والعلاقة متشابكة وكل الوسائل لا تؤدي دورها بدون غيرها، وعوامل عملية التغيير من التعقيد بحيث يتعذر على أي دراسة أن تحصرها وتصنف الروابط بينها، وبالتالي نؤكد على أن الحرب هي واحدة من وسائل السياسة التي تلجأ إليها عند الحاجة لتحقيق مناخ أفضل لاستمرار العمل السياسي [الدعوي] وبمفهوم أدق "إزالة العراقيل التي تمنع تقدم الرسالة"، وهذا يكون في حالات القوة أما في حالات الضعف فالحرب عادة ما تكون ذات هدف محدود[6] في انتظار انقلاب موازين القوة أو تساويها، وقد توقف القيادة السياسية الحرب لتستخدم وسيلة أخرى دعوية أو اقتصادية تحقق أهدافها بتكاليف وتضحيات أقل، لكن القيادة لا توقف بحال من الأحوال عملية الإعداد للحرب.

[5] السياسة هي علم وفن إدارة الصراع في كافة المجالات، وقيل إنها فن الممكن، وهي تعتمد على تحقيق المصالح.

[6] إن السبب الذي يدعو القيادة السياسة إلى استخدام استراتيجية ذات هدف محدود هو انتظار الانقلاب في موازين القوى ويتم الحصول على هذا الأمر بإنهاك العدو علماً بأن الوخز بالإبر المتعاقبة تضعف أكثر من الصدمات الكبيرة ذات النتائج غير الحاسمة، على أن يكون إنهاك العدو خلال هذه الوخزات أكبر من إنهاك قواتنا، ونموذجه المثالي حرب العصابات.

7- والإسلام لا ينظر فقط إلى الوضع الراهن ولكنه يستشرف ما يجب أن يكون عليه المستقبل، ولا يكتفي بتصنيف حالة السلم التي تلي الحرب، وتصنيفات المجتمعات والأنظمة التي أفرزتها الحرب، ولكنه يحدد كيفية التعامل معها ويوجه حياتها.

فإن ما يعقب حالة الحرب ليس بالضرورة أن يكون نصرًا أو انتماءً للإسلام أو إقرارًا بالجزية فربما تكون هدنة تمارس خلالها وسائل أخرى للوصول إلى هدف السياسة، فحالة السلم أو التوتر التي تعقب الحرب ترتبط بمدى القوة والضعف الذي خرج به كل معسكر، والذي قد يفرض نمط تعايش مستحدث حتى تتوفر شروط جديدة تغير من شكل الخريطة مرة أخرى، وهنا تأتي الرؤية الاستراتيجية المرنة التي تؤهل نفسها للعمل على كافة الاحتمالات التي تسفر عنها الحرب.

***

الجزء الأول:

بناء الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

بناء الإنسان [القادة والجند]

اعتنى الإسلام بالإنسان واهتم بتكوينه أيما اهتمام، فحرص على تربيته على الوحدانية ليكون مرتبطًا بربه في كل مقررات حياته: فلا يحتكم إلا إلى الله وحده، ولا يطيع غير الله، ولا يتبع أحدًا على غير مرضاة الله، ولا يحب غير الله كحب الله، ولا يخشى إلا الله، ولا يعبد أحدًا إلا الله، ولا يصرف شيئًا من العبادة لغير الله، فحقق للإنسان بذلك تمام الحرية والاستقلالية.

ثم شرع الإسلام في بناء عقل الإنسان وروحه وبدنه؛ فأرشده لما يحفظ له دينه، وفرض عليه من الطاعات ما يزكي روحه، وبين له الحلال من الحرام في المأكل والمشرب والملبس ليضمن له سلامة عقله وطهارة بدنه، وكساه بمحاسن الأخلاق ونبهه من نقيضها؛ ليحقق التكافل والترابط بينه وبين مجتمعه، وحفظ أموال الناس وأعراضهم وأنفسهم مما يواجهها من أخطار بتشريعات تضبط مسيرة الناس في الدنيا ليحقق السلام والأمن والتكافل بين الناس .. لتثمر تلك التربية في سلوك الإنسان وفي كلامه وقراراته وتعاملاته، فتأتي طاهرة طيبة تنفعه وتنفع مجتمعه وأمته والناس جميعًا بل تنفع الكوكب وكل ما يشاركنا الكوكب.

***

قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ {54} سورة الأعراف، وقال تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ

أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ {48} سورة المائدة، وقال تعالى: {قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْسانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [151] وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَها وَإِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كانَ ذا قُرْبى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [152] وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [153]} سورة الأنعام.

فيحقق للإنسان تمام الأخلاق في معاملاته الحياتية مع الناس، وتمام الأخلاق في تعاملاته مع المخالفين لدينه عند دعوتهم وعند الصراع معهم، فللحرب في الإسلام قيم ومبادئ وأخلاق؛ ترشد أبناء الأمة حين يضعون استراتيجية الحرب بما يحقق النصر ويضمن للمهزوم فرص الحياة في ظلال الإسلام، كما يرشدهم إلى ما ينفع الناس بعد أن تضع الحرب أوزارها.

وقد قيل:

«إن ما جاء به محمد ﷺ لو لم يكن دينا لكان في خلق الناس حسنًا».

***

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ المِائَةِ، لاَ تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً» رواه البخاري.

أي صراع بحاجة لخمسة عناصر أساسية: القيادة والاقتصاد والتنظيم والاستراتيجية والسيطرة [عسكريًا وأمنيًا] ، ولكل صراع أبعاد اجتماعية وثقافية وأخلاقية، وأي صراع يلد نظامًا جديدًا سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا.

والعملة النادرة في الصراع هي القيادة، القيادة صاحبة الفكر والمبادئ والقيم، القيادة الأخلاقية التي تبذل وتقدم وتضحي ولا تفتش عن المقابل، القيادة التي تحقق آمال وطموحات أمتها، القيادة التي تغرز في أمتها العزة والكرامة والأخلاق وتحركهم وفق هداية ربانية وسلوك إنساني، القيادة القادرة على إلهام أمتها ما تبني به عزها ومجدها، وما هو ملاحظ من سيرة القادة العظام في سلسلة التاريخ الإنساني على أي دين أو جنس هو: زهدهم في المكاسب الشخصية فلم يفتش أحدهم عن مستقبله وكرسيه وحجم ثروته، بل كان مجده هو ما بذله من أجل دينه وأمته ولذلك خلدته.

***

القيادة في أي مكان تدرك أن مهمتها بالأساس سياسية، وما أرسل الرسل إلا لإصلاح العقائد وسياسة الدنيا وفق مراد الله، وفي الإسلام مهمة القادة بعد الرسل حفظ العقيدة ونشر الدين وسياسة الدنيا، دعوةً وجهادًا، والجهاد هنا: "الحرب والقتال"، وهو موضوعنا، لا بد للحرب من استراتيجية، ولا بد لوضع الاستراتيجية من قادة، وهدفنا في هذا الجزء هو: القائد على المستوى الذهني والنفسي.

وأول توجيه نقدمه للقادة هو: المعرفة، أن تعرف نفسك، تعرف جنودك، تعرف إمكاناتك، تعرف حدودك، وأن تعرف حلفاءك، وأن تعرف عدوك وحلفاءه كما عرفت نفسك.

ثانيًا إذا بذلت الوسع في المعرفة فعليك بإحسان التبصر في الوضع الراهن فلا تغرق في الماضي أو تقفز أمامًا في الفراغ، فكلما امتلكنا القدرة على التركيز في الحاضر وتكييف تجاربنا وأفكارنا مع متغيراته، كان تجاوبنا وتفاعلنا أكثر واقعية وخطواتنا أكثر إلهامًا.

ثالثًا حينما تنطلق المعركة نقع تحت ضغطها وتعصف بنا أحداثها، هل بذلنا الوسع؟، [هل] هذه تفتح باب الضغط النفسي الرهيب، وتلقي بالقيادة إلى هاوية الشك والتردد،

علاج ذلك لا يحتاج مزيدًا من المعرفة والذكاء، وإنما إلى ثبات الجنان والقوة، هذه المهارة لا تدرس، وإنما هي فضل من الله وتوفيق، ثم تكتسب من خلال الممارسات المتوالية.

رابعًا بعض القرارات تحتاج إلى عزيمة وثبات، إنها لحظات إحقاق الحق وإبطال الباطل، (اليوم أو أبدًا)، ولقد كانت هذه نقطة البداية للانطلاقة الجهادية لأمة محمد ﷺ، {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ {7} سورة الأنفال، إن مفهوم أرض الموت عند العسكريين كان باكورة تجارب الأمة، وما بعدها كان دونها.

ولأن الناس كإبل مائة قلما تجد فيها راحلة، كانت وقفتنا الأولى متعلقة بتربية القادة على المستوى العقلي والنفسي لتنبيههم ولإعدادهم لما سيواجهونه في مسيرتهم الجهادية.

***

على الصفحات التالية استعراض لأفكار وخطط تعين المجاهدين على أنفسهم أثناء صراعهم مع خصومهم، تفتح لهم رؤى وحيلًا وخداعًا تساعدهم على تحقيق النصر في الحرب، كما تضبط عواطفهم في التخطيط للمعارك وللحرب، وفي أثناء القتال وفيما بعد الحرب.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

إعلان الجهاد على العدو

1- استراتيجية إخراج الثعلب[7] من مخبئه (الاستفزاز)

لا يمكنك القتال بفاعلية ما لم تحدد أعداءك .. تعلم كيف تخرج أعداءك من مخابئهم .. أعلن الحرب عليهم سرًا .. لا تكن ساذجًا .. بعض الأعداء التسوية معهم مستحيلة .. ولا حلول وسط .. استعن بالله ولا تعجز .. العوائق التي تواجهها ليست الطبيعة ولا البشر الآخرين، العائق الوحيد أمامك هو نفسك إذا ما شعرت بالضياع والإرباك، إذا ما فقدت الحس بالاتجاه الصحيح، إذا لم تكن قادرًا على التمييز بين الصديق والعدو .. فلا تلوم إلا نفسك.

تنهار القوة العسكرية مهما بلغت ضخامتها إذا فقدت طاقتها المعنوية .. وحدهم فقط أصحاب القلوب الثابتة الذين يملكون القدرة على إلهام الجميع .. هم القادرون على إنقاذ الموقف .. العودة إلى القتال أو النجاة كل منهما يقود للآخر .. المهم أن يكون قرار العودة مشحونًا بالقدر الذي ينجح المهمة .. وهنا تظهر معادن الناس وقوتهم النفسية التي حباهم الله بها.

نَفْسُ عصامٍ سوّدَتْ عِصامَا، * و علمتهُ الكرّ والإقداما**
وصَيّرَتْهُ مَلِكًا هُمَامًا، * حتى علا، وجاوزَ الأقواما**

***

في هذا الزمان، أدار العدو الصراع بطريقة غير مباشرة، واحترف إبقاء العداء بصورة خفية، لقد تغيرت قواعد الاشتباك الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية،

[7] قالها أبو جعفر المنصور بعد سلسلة طويلة من الحيل للقضاء على "النفس الزكية" محمد بن عبد الله بن حسن رحمه الله.

يدير الصراع اليوم وبالأمس القريب الأسر الثرية ورجال المال، ويسخرون الساسة وأجهزة المخابرات وجل مؤسسات الدولة، ومن خلال التلفاز والسينما والإنترنت؛ بلغ الإعلام فضاءً لا مثيل له، وتعددت وتنوعت وسائله وأدواته بفعل التطور التقني، حيث يتم تصدير الثقافة والعادات والتقاليد، والأدهى والأمر حشو عقول الناس بوهم تحالف الأديان الإبراهيمية[8]، إنه صراع القوة الناعمة؛ الذي يدس السم في الدسم، قلة تنتبه للإشارات والعلامات، لكن كثير من الناس يغفلون عن تسللها لتعبث بإرثهم الثقافي والاجتماعي، وتحولهم إلى مسخ تابع مهوس بالتقليد.

نبعت عبقرية [قاعدة الجهاد] من هذه الاستراتيجية، وحُقَّ لأسامةَ بن لادن أن يكون فارسها، وأن يتسمى هذا الجيل باسمه.

إعلان الجهاد على أمريكا، إنذار للعدو وتمهيد لضرب السفارات، لنسف المدمرة كول، لدك رموز القوة داخل أمريكا، لإنهاء العداء الخفي لتتكشف الوجوه، وليستفيق الناس من تنويم القوة الناعمة على طبول الحرب للقوة الخشنة، كانت صدمة مدوية إلا أنها أخرجت العدو من مكمنه، ومن سياق صراع ناعم أفسد العقيدة، وأضر بالإنسان وحوله لكائن باهت لا يدرك مراد ربه منه، طريقة الإفاقة كانت صادمة لأن السبات كان عميقًا، واستجابة الأمة كانت رائعة، فالقاعدة امتدت من تورابورا إلى شبه القارة الهندية شرقًا وإلى أقصى أفريقيا غربًا ومن العراق والشام شمالًا إلى اليمن والصومال جنوبًا، والأهم من ذلك انتشار المعرفة وزيادة الوعي وتحرك الأمة للتغيير حتى توجت ذلك بالثورات الإسلامية.

[8] تحالف عبثي يضم حكام المسلمين والنصارى واليهود ليتم استخدامه ك "ناتو" ضد التيارات الإسلامية على تنوعها وعلى رأسها حاملي السلاح وكذلك ضد أي قوى تهدد مصالح الغرب أو من يُسيّر الغرب، هذا التحالف لم يعد يخدع شعوب أمتنا الإسلامية ولذلك هو تحالف إعلامي منبوذ وبلا مقومات للنجاح.

***

الخطر لا يقف على العدو الظاهر فقط، هناك من يدعي الولاء ويدعو للتحالف والشراكة والرفقة، ويتغنون بذلك في الظاهر لكنهم يتحينون الفرص؛ فتوجب الحذر منهم، والعمل على استدراجهم ليكشفوا نواياهم مبكرًا:

الحليف هو أفضل من يعرف كيف يؤذيك، يتحالف معك وعليك، يعرض عليك المساعدة يمنحك الدعم المالي والسياسي، يرشدك لتكبر وتتضخم قبل الأوان، يزين لك التواصل مع اتجاهات هي مطبات مستقبلية، يحفر لك قبرك ومع كل خطوة يعمقه، ثم، يدعمك حيث مصلحته، ويتوقف عن دعمك لتتبعه، ليحقق هدفه بإبقائك ضعيفًا .. تابعًا .. ذليلًا.

أسوء الشركاء والرفاق هم الذين ينقلبون عليك خلال مسيرة التغيير، ويحولون الشراكة إلى عداوة وتنغمس أيديهم في الدماء الطاهرة، ويشوهون شركاء الأمس كذبًا وافتراءً، خاصة عندما يزين لهم بعض من يشار لهم بالبنان سوء فعالهم؛ توهمًا أنهم قدر الله، الذين يستغلون إيمانك ودينك وتورعك عن فضحهم؛ ليهاجموك وهم على يقين أنك لن تسيء إليهم، إنها الطعنة الأكثر غدرًا، أسوء الطعنات؛ تلك التي تصيبنا من الشركاء، هل أسأنا الاختيار؟ أم إنه الخائن والخيانة؟، فقد قيل «مَا خَانَ أَمِينٌ قَطُّ وَلَكِنَّهُ ائْتَمَنَ غَيْرَ أَمِينٍ فَخَانَ»، هذه الشريحة يجب الانتباه لها وعدم تسويغ فعالها والمبادرة لفض الشراكة معها أو لتبديلها إن كانت من داخل الصف قبل أن تستفحل؛ فبعض حسن الظن غفلة.

الحليف الأمثل للتيار الإسلامي هو الشعوب الإسلامية، هذه الشعوب هي التي أنجبتنا وهي التي تدعمنا بالمال والنفس بلا مقابل، شعوبنا كانت ومازالت الدرع الذي يحمي الدين، فعلى التيار الإسلامي أن يعبر عن الشعب المسلم بواقعية وأن يكون السيف الذي ترفعه الشعوب لتحقق طموحاتها، شعوبنا تتعطش للحياة تحت ظلال

شريعة التوحيد فيها يقام العدل والتكافل، تتطلع لاستثمار مواردها الاستثمار الأمثل الذي يمنحها حياة طيبة؛ بعيدًا عن عبث الحكومات وسرقات الأنظمة، شعوبنا لا ترى السلطة غنيمة وإنما مسؤولية وواجبات ينهض بها المخلصون الذين يحررون العقل والأرض ويحرسونهما، ويتعين على المجاهدين أن يفتحوا مع شعوبهم كل الأبواب، ويعملون على إلهامهم لتحقيق غاياتهم ويقودونهم نحوها، وبهذا وغيره يتحقق الانسجام التام بين الدرع والسيف.

ما يجعل الروح المعنوية للجند مرتفعة تحركهم في ظل منهج سماوي لا شائبة فيه، وتحت راية ورعاية قيادة ربانية تخشى الله وتتقيه فيهم، يعملون سويًا لتحقيق الأهداف التي يؤمنون بها، إن المعنى الحقيقي للروح المعنوية هو: وحدة الصف وتماسكه؛ إنه انعكاس للإيمان الراسخ والثقة المتبادلة.

***

اضرب العشب لكي تجفل الأفاعي [مثل صيني]، ذلك الذي ليس معي هو ضدي [نص إنجيلي]، كان الحادي عشر من سبتمبر، أكثر من ضربة عسكرية، كان زلزالًا ميز الاصطفافات، وكانت توابعه فاضحة لما في العشب، تمايزت الصفوف، اجتمع الأعداء خلف رئيسهم في فسطاطه وتحت رايته، أدركت شعوب الأمة الإسلامية مكانتها وموقعها في العالم وأين تصطف، وأدركت القاعدة دورها الريادي، فهي طليعة أمة.

مفهوم العدو استراتيجيا أوسع ممن يقاتلك، فهناك المتربصون وإن كانوا اليوم ضعفاء، إذا ما سقطت الفريسة أو جرحت اجتمعت عليها الضواري وتبعها القمامون، لفظ العدو يشمل كل من يعمل ضد مسيرة الإسلام ويضع أمامها العوائق أو يحفر بوجهها الخنادق أو يساند العدو ويوفر له الدعم المادي والمعنوي، والعدو هو من يعتدي على المستضعفين من الناس .. كل الناس، أيضًا؛ العدو هو من يجتهد لتدمير الإنسان ومسخه، والعدو

هو من يعبث بالكوكب ويستنزفه ويفسده ليحقق الثراء لنفسه والرفاهية لبلده.

من الأعداء أيضًا الذين يتظاهرون بالإنصاف والاتزان عندما نكون في معمعة الصراع فبدلًا من بيان حقيقة العدو وفعاله الخسيسة ومدى بربريته، إذا بهم يغضون الطرف عن التاريخ الأسود للغرب الاستعماري، ويروجون لتقدمهم التقني، وتفوقهم العسكري بهدف كسر قلب الأمة لتستسلم لقوتهم الدعائية وتخضع لإرادتهم وتصبح عاجزة عن التغيير، إنها الهزيمة النفسية التي تفرخ هزائم في شتى المجالات، أليس هذا ما يفعله الملحدون والعلمانيون بأمتهم.

هناك من يكنون لك نوايا سيئة ويتحركون بطرق خفية، كن حذرا لا مرتابًا، لاحظ الإشارات فليس كل ما هو ظاهر حقيقي، والطابور الخامس المندس في بلاد المسلمين بحاجة أن يُستفز ليعرفهم المسلمون ويتقون خطرهم، كما يحتاج أن يُستدرج ليظهر الذين يحركونه من أعداء الأمة وتنكشف وجوههم الكالحة.

إشكالية هذه الاستراتيجية تبدو جلية عند إعمالها في الصف الداخلي، حيث يترتب عليها إساءة الظن والشك والريبة والتوجس من الناس، وقد جاء عن معاوية ﵁: سَمِعْتُ[9] رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّكَ إِذَا اتَّبَعْتَ الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ» فَإِنِّي لَا أَتَّبِعُ الرِّيبَةَ فِيهِمْ فَأُفْسِدَهُمْ.

فسلامة المجتمع المسلم غاية؛ الحرص عليها أولى، ويمكن ضبط هذه الاستراتيجية بما أخرجه البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»، ولهؤلاء الذين يضعون أنفسهم في أتون الشك والريبة عليهم أن يتحملوا نتاج ذلك، وعلينا الانتباه إلى الإشارات وإخضاعها للفحص ولا يمنعنا الورع الديني والأخلاقي عن ذلك، وبعض الاختبارات الذكية تكشف مكنونات صدور الحساد

9 [قال الشيخ الألباني] : صحيح، الأدب المفرد مخرجًا.

والمنافقين والجواسيس المندسين والانتهازيين، كادعاء الغفلة مع من تبدر منهم إشارات للريبة أو المبالغة في الود، فهذه الحيلة تجعلهم يتمادون ويفقدون حذرهم ويمنحون المحقق الماهر الدليل الذي يبحث عنه، وأحيانا تنجح حيلة تهيج المشكوك فيه وإثارة توتره ليطفح غضبه ويخرج ما أضمره، كذلك فإن الجدل الهجومي المبني على الاستفزاز والقدح أو المبني على المدح يأتي بثماره، ساعتها لا يصح لك أن لا تتخذ معه الإجراء المناسب.

[لين بياو] أحد أقرب أصدقاء ومستشاري الزعيم الصيني [ماو تسي تونج]، مع بداية السبعينات لاحظ [ماو] تغيرًا في [لين]، لقد أصبح شديد الود ويكثر من المدح وبشكل محرج، كانت هذه إشارة [لماو] على أن وراء الأكمة ما وراءها، راقبه [ماو] عن كثب، كانت شكوكه في محلها، [لين] يخطط لانقلاب أو على الأقل يموضع نفسه لاستلام السلطة مكانه.

في الأوقات الحرجة والأزمات تكون الشعوب منفعلة؛ ويُؤَثر فيها أصحاب الأهواء والمصالح، وينقسم الناس تبعًا لكل ناعق، من نافلة القول أن الأزمات لا تأتي فجأة؛ فملامحها تلوح في الأفق، والعاقل يدرك خطر الأفاكين عندما تحل الأزمة؛ فمعركة الداخل هي الأصعب لأن عواقبها خطيرة، فهي بوابة للانقسام والتشرذم، وهي فرصة لا يفوتها العدو الخارجي ليزيد من ضعفنا وانقسامنا ومن ثم يمكنه استغلال الموقف على الوجه الذي يرضيه.

وبالتالي لا يجب أن نفسح المجال أمام الناعقين أو أن نمنحهم الوقت لانتهاز الفرص، بل نبادر لعلاج المتوقع في عدة اتجاهات، الأول: توعية الشعب بما هو آت، والثاني: عند كشفهم -بالسبل السابقة أو غيرها- فلا بد من مواجهتهم وفضحهم لقطع الطريق على من تسول له نفسه، الثالث: الحزم والجدية في معاقبة كل متورط، والعفو في غير موضعه كارثة، والتمادي في الحلول الودية يوهن الصراع ويسير به على درب الخراب.

تجنب الصراع وتفادي المعارك في الحياة والهروب منها وصفة للفشل تفسح المجال للتنمر عليك، وسلبك كرامتك وعزتك ناهيك عن حقوقك، الانغماس في كونك ضحية لن يجلب لك حقك، حتى نظرة الشفقة ستفقدها مع الوقت، الشعوب التي تمهل النظام وتتفادى مواجهته تستعبد، وقديمًا قيل: (يا فرعون إيش فرعنك؟ فأجاب "ملقيتش حد يقول لي لأ")، لهذا ستظل الوقاية -دائمًا وأبدًا- خير من العلاج.

من الخطورة الغرق في الارتياب والشك والاستسلام للوساوس، فما أسهل العبث برجل مرتاب يعيش في ظلال المؤمرات، من أجل أن لا نغرق في الشك ونصل إلى الوضوح في الرؤية نلتفت للإشارات والعلامات ونخضعها للتمحيص والمراقبة، ومن ثم نميز بين الصديق والأحمق والعدو، ثم نصنف الأعداء، ونحدد سبل التعامل مع كل صنف، ولا تستخدم السيف في موضع العصا، ولا العصا في موضع الكلمة.

قيل: المهارة هي أن تخضع أعداءك بلا قتال، أو تؤلبهم على بعضهم البعض، لكن .. قمة المهارة أن تحول أعداءك إلى جزء منك؛ يؤمنون بك وينصرونك، وفي السيرة النبوية[10] العطرة قصص رائعة.

***

أغلب الدول والإمبراطوريات على مر التاريخ تظل حية وقائمة ومنافسة على الريادة

---

[10] بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ» فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلاَدِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلاَ وَاللَّهِ، لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ البخاري.

لأمرين هما الأهم: المنهج الذي يربط المجتمع ببعضه ويصنع وحدة الصف وتماسكه، والعدالة التي تحفظ أمن الناس ووجودهم، فإذا توفر الأمران السابقان فالشعوب تصبر على الجوع والعطش، وإذا فُقد واحد من العنصرين السابقين اضطر الساسة إلى خلق عدو خارجي يوحد الأمة ضده، وإلا فإن العاقبة تفكك الصف وانهيار الوحدة الداخلية وبدأ الصراع الداخلي على السلطة.

في هذا الزمان نجح الغرب أولًا في إيجاد البديل للصراع الداخلي بالتنافس الانتخابي وتحول من تغيير حقيقي إلى تبديل للوجوه؛ فأن تُمثل دور المعارضة أفضل من أن تكون الضحية لصراع داخلي، وثانيًا قام الغرب دائمًا بعملية إلهاء وتسكين لشعوبهم بخلق عدو خارجي وتضخيمه؛ وبهذا يضمن الساسة -مؤقتًا- هدوء الداخل وعدم مطالبته بحل الأزمات الداخلية خشية من تهديدات عدو يتربص به [الاتحاد السوفيتي - التيار الإسلامي - روسيا والصين]، بغير ذلك ومع وجود شخص متهور ومستفز ومقامر [تاتشر - ترامب] تُنثَر بذور الفرقة وما أن ترويها مياه التباين الداخلي حتى تنتهي وحدة الدولة وتماسكها، ويبدو هذا وشيكًا في كل الاتحادات [أوروبا وأمريكا وبريطانيا].

والأسوء من ذلك ساسة العرب؛ الذين لا يدخرون جهدًا لكسر وحدة الأمة وتمزيق تماسكها الداخلي لحساب العدو الخارجي، فعبثوا بعاطفة شعوبهم واستنزفوها في خصومات لا معنى لها، كما فعل ابنا زايد وسلمان بالخليج لترويض قطر، وجعلوا من استضافة رياضية نقطة انطلاق للخصومة بين سكان جزيرة العرب، وستروا ما وراء الأكمة، وفي أقصى الغرب للأمة خطاب حاد بين المغرب والجزائر مع صمت وحالة من الخرس لتحرير سبتة ومليلية من الأسبان، ناهيك عن المنافسات الرياضية التي توقع الخصومة بين الشعوب، فهي من طرف تحشد الشعب وتستنزف عاطفته في منافسة فارغة، ومن طرف آخر تمزق الشعوب بعداوة وهمية لتشغلهم عن أزمات الداخل، وتمثل

إلهاء يلفت انتباه الشعب بعيدًا عن خيانة وعمالة حكامه.

ومثلهم في السوء والضرر الحاكم الذي يضلل شعبه ويمارس معه صناعة الجهل .. ويجعل من نفسه طاغية [مصر السيسي – تونس قيس سعيد] .. فيأسر النخبة المعبرة عن الشعب .. ويحارب المخلصين بالحديد والنار .. ويبيع بلده لأعداء دينه مقابل استقرار مستقبله؛ إنه خائن على كرسي الحكم.

ومهما فعل هؤلاء الحكام ومن خلفهم من حيل لتمزيق الأمة تأتي الحوادث لترأب الصدع، وحين تستثمر على وجه حسن تعيد ترابط الأمة وتلاحمها، رحم الله الطفل ريان المغربي الذي هزمت وفاته مَوات الحكام، وبعثت في الأمة روح الأخوة والتضامن، إنها أمة حية وواعية وناضجة وتحضر للحظتها التاريخية، وشعوب الأمة -ولله الحمد- على وعي بكثرة ما يربط بينهم مع إدراك للدور الخبيث للساسة.

***

هناك أعداء بارعون في الخداع يوحون لك بأن مساحة المناورة تغني عن ساحة الحرب، يوفرون لديك قناعة ورغبة في التسامح والتصالح والوصول إلى تسوية، لكن رغبتهم في الحقيقة لا حدود لها، هم بكل بساطة يحاولون تجريدك من السلاح.

يزعم البعض أنهم يتحركون للإصلاح، هذا وهم؛ فالإصلاح حركة تربوية لا تغييرية، إنهم يعملون من أجل تحصيل بعض المكاسب والمصالح من خلال التسويات مع النظام والفرقاء، ورغم أن التسويات في الميدان السياسي موهبة؛ إلا أنها تحمل في رحمها خطر الغرق في مستنقع التنازلات وتطييب الخواطر، ويتحول الصراع الداخلي على السلطة عن التغيير الحقيقي إلى مناخ عام تتبدل فيه الوجوه فقط، وتضل عملية التغيير طريقها، ويصبح من العسير العودة من هذا الدرب؛ بل يتمادوا فيه ويروجوا له.

لا بد أن ندرك أن صراعنا لا يقبل الترقيع ولا يتحمل التسويات المناهضة للدين، فإن

كان لا يجتمع سيفان في غمد فمن باب أولى أن لا تجتمع عقيدتان في قلب، ولا تحكم أمة بمناهج مختلطة، يجب أن يظل مسار الصراع (السياسي والعسكري) واضحًا غير مميع دون خوف معاداة المخالفين، والمعارك تبقينا حراسًا يقظين لعقيدتنا، وبدون المعارك لا فرصة للنصر في الصراع، ومع النصر سنحظى بالهيبة والاحترام من شعوبنا، لأننا كنا صادقين في دعوتنا، ونصرنا ما نؤمن به ومكنا له.

البحث عن الحلول الودية مع العدو القوي يجلب الخراب،لا تظن أنه سيفي بالتزاماته، وأن الخطوط المرسومة لن يتجاوزها، الأقوياء لا يعرفون خطوطًا حمراء، ولا يقبلون بالأنداد، سوف يقتحمون عليك الباب بقوتهم الناعمة أو الخشنة عند الحاجة، وسيفتعلون الأزمات ويستدرجونك إلى ناديهم؛ وحينما تنزلق إلى ملعبهم ستتحرك وفق قانونهم، وستلتصق بشباكهم ولافكاك لك منها، فلا تظن نفسك ذكيا في مواطن الخداع، ولن يرضى العدو منك لاحقا إلا بالتبعية المطلقة .. قال تعالى: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ {120} سورة البقرة.

الصراع جزء أساسي من الحياة؛ حتى قبل أن توهب الحياة، والإنسان يتعلم من أعدائه، وكثيرًا ما ألهمنا العدو بالاستراتيجية المناسبة للصراع، إن مجرد وجود العداوة ومقدمات الصراع تجعلنا متحفزين ومستعدين ومستنفرين ومتمسكين بعقيدتنا وقيمنا ومبادئنا وعاداتنا وتقاليدنا، ونحافظ بكل قوة عن موروثاتنا الثقافية ورموزنا الحيوية، وهذا يجعل مجتمعنا أمتن ونظامنا أثبت وأكثر فاعلية، ومعنوياتنا أعلى، وقدراتنا البدنية أقوى، وعزيمتنا صلبة، وتجعلنا أنشط ذهنيًا، وتجعل جاهزيتنا على أعلى مستوى.

الصراع يمنحنا مقياسًا لقدراتنا ويجعلنا نحكم على أنفسنا ونقيمها لنقومها، وهذا يدفعنا لبذل الجهد في شتى ميادين المعرفة للنهوض بأمتنا، وجعلها في الريادة دائمًا منهجيًا واجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا وتقنيًا وبالتالي حضاريًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا تكرر تجاربك واعلم أن للقتال يومًا آخرا وليس يومًا أخيرًا.

2- استراتيجية الأفق المفتوح

تكرار الأعمال غير المجدية استنزاف للإمكانات المتاحة .. تفاعلك مع اللحظة الراهنة .. يصعب على الأعداء معرفة ما ستفعله .. قم بشن حرب عصابات على عقلك دون أن تسمح بخطوط دفاع ثابتة أو قلاع مكشوفة .. اجعل كل شيء غازيًا .. سائلًا .. متحركًا .. ما نجح معنا مرة يجب ألا يتحول إلى قوقعة تمنعنا من رؤية التغيير والتطور عند العدو.

لقد تغير العالم وتطورت العلوم .. وما كان مجديًا في الماضي أصبح عائقًا اليوم .. مبادئ الحرب علم؛ واستثمارها فن ومهارة وابتكار وإبداع .. لا تأسر نفسك في ظلال انتصارات الحرب الأخيرة .. لأن أعداءك أيضًا يعرفون كيف تفوقت .. ولا تخوض صراعًا وكأنه الحرب الأخيرة الحاسمة الفاصلة .. دائمًا هناك حرب قادمة فلا تستنفذ إمكاناتك ومواردك .. كن حكيمًا حليمًا لا تكرر تجاربك واعلم أن للقتال يومًا آخرًا وليس يومًا أخيرًا.

***

الجنرال العاجز أمام التطور، فقير في مخيلته أسير لما شاب عليه، يحفظ تاريخه العسكري وتقاليده ولا يسعه أن يتحرر منها، فيكرر نفسه ويستهلك الوقت مع رفاق السلاح في جدال يفيقون منه والعدو في مركز قيادتهم، عندما تواجه جنرالًا شابًا يمتطي صهوة التطور التقني والتكتيكي وينظر إلى الأفق المفتوح بلا أي سقف يحد من رؤيته؛ فأنت في خطر محدق، وإن لم تجاره في اتساع الرؤية وبعد الأفق؛ فالنهاية مأساة تاريخية مكررة، لأن هنا بداية جديدة للتاريخ العسكري تدون.

في معركة اليرموك شكل خالد رضي الله عنه قواته في ميدان القتال، وللمرة الأولى استخدم اصطفافًا يشابه اصطفاف العدو، لكنه ظل محافظًا على إدارياته الخفيفة وتسليحه

الخفيف، وبنى خالد بن الوليد ﷺ استراتيجيته على الدفاع لاستنزاف قوات الرومان.

ضمت معركة اليرموك أشكالًا تكتيكية كثيرة منها الهجوم الجبهوي، الاختراق، الهجوم المعاكس، الهجوم الجانبي، مناورة الأجنحة، الالتفاف على المؤخرة، فتح ثغرة -وهي من عبقرية القائد- لتسهيل فرار خيالة العدو، التطويق باستثمار الأرض وإحكام الحصار، غلق الثغرات، تدمير قوة العدو تحت ضربات مطرقة المسلمين على سندان وادي الرقاد؛ حيث استقرت جثثهم.

خالد بن الوليد ﷺ عسكري ذو مخيلة استراتيجية؛ قائد عبقري ومحبوب لم يكرر استراتيجياته أو تكتيكاته وتميز بسرعة الحركة وخفة الإداريات، وتفاعله مع كل معركة حسب إملاءات الميدان وإمكاناته وموارده، فحق لأبي بكر ﷺ أن يقول عقمت النساء أن يلدن مثل خالد.

***

خلال إعداد القادة لا بد من خضوعهم لمجموعة مراقبة تتابع أعمالهم، كما لا بد من تعويدهم على عملية النقد الذاتي وكتابة التقارير عن سير الأحداث ومراجعة ما نفذوه عمليًا، سواء كانت نتائجهم العملية حققت الهدف أو لم تنجح في ذلك، فلابد من جلسة مراجعة شاملة لكل الخطوات بالتكامل مع رؤية مجموعة المراقبة، ما هي المبادئ التي بنينا عليها الخطة، ما هي المبادئ التي كان يمكن أن تحقق نتائج أفضل لو أضفناها أو حذفناها، مبادئ الحرب وضعت لتسهل مهمة القيادة لتحقيق النصر إذا انسجمت مع زمن الحرب التي نخوضها، إذا لم يكن هناك مواءمة بين المبادئ والزمن فلن نحسن اختيار المناسب وربما ضاعفنا تكلفة الحرب، وربما تسبب إهمالنا لبعضها بالخسارة، لذلك يجب أن نجلس بعد كل تجربة لدراسة ما قمنا به ولنتعلم ماذا ينبغي علينا أن نفعل.

تجربة النصر لا تعلمنا الكثير، فنشوة النجاح تبعدنا عن النقد الذاتي الموضوعي،

والأسوء أنها تستر الأخطاء، ولهذا لا بد أن تكون الجلسة ذات مصداقية كبيرة سواء كان هناك نصر أو نقيضه.

تجارب الفشل تمنح مرتكبها فرصًا للعودة إلى المسار الصحيح إذا أحسن عملية النقد، أما إذا لجأ للهروب للأمام وألقى بأسباب الهزيمة على غيره أو الإمكانات فمثل هذه القيادة أشبه بثور الساقية؛ يسير في دائرة مغلقة.

***

نحن نعاني من الركون إلى التجربة ومبادئ الحرب وتاريخنا العسكري فنقتل الإبداع في داخلنا، لا بد من تعلم كل ذلك؛ هذا لا جدال فيه فهذه المعرفة أساس للمستقبل، لكن التعلق بها وبالحرب الأخيرة التي خضتها تمثل خطرًا علينا؛ لأنها تلتصق بعقولنا وتأسرنا في ثناياها، ويصعب التخلي عنها خاصة إذا تحقق بها النصر وسنميل إلى تكرار الاستراتيجيات التي استعملناها، علينا أن نحذر من مردودات النصر؛ لأن النصر يفرض علينا مشاعر الرضى عن النفس ويفقدنا روح المبادرة ونستمر بتقليد أنفسنا على العكس تمامًا مما تفعله الهزيمة؛ حيث علينا أن نتجاوز مردودات الهزيمة وأن نتمرد على التردد وعدم الحزم الذي يعقبها [لو كنا نعرف أكثر، لو فكرنا أكثر، لو فعلنا كذا] علينا أن نتخلص من مشاعر الندم وجلد الذات.

إذا أحسنا نقد الحدث وأدركنا أن ما كان ينقصنا للنصر ليس المعرفة أو العلم وإنما الفن والمهارة الشخصية والتحرر من قيود التقليد في جرأة بلا تهور بتناغم مع المكان والزمان، وبمعنى أدق أن الجنرال الناجح هو الذي يستفيد من معارفه ولكنه يطبقها بمرونة بحسب متطلبات المكان والزمان.

***

في حرب العصابات لا يوجد معركة أخيرة تنهي بها الحرب، ولذلك يعد التشبث

بالأرض ومواصلة الاستنزاف القتالي خطيئة عسكرية، نحن نتشبث بالأرض التي يتخلى عنها العدو تحت تأثير الضربات المتتالية والنوعية، ومهما كان العدو ضعيفًا فلا يصح المغامرة بحرب مفتوحة معه، فالمفاجآت تحدث دائمًا وقد تنقلب الموازين في أي لحظة مدمرة لما سبق تحقيقه؛ فكيف إن كان العدو قويًا ومتماسكًا والصراع على أشده.

معركة "جاور" دارت رحاها بين المجاهدين الأفغان ضد القوات البرية والكوماندوز وسلاح الجو السوفيتي في ثمانينيات القرن الماضي في إبريل 1986، سبقها في عام 1985 معركة نفسية تلتها معركة عسكرية بين جنرال النظام في كابل ضد أحد أعظم القادة الأفغان، صرح الجنرال [شاه نواز تناي] أنه سوف يشرب الشاي في "جاور"، فأجابه المولوي جلال الدين حقاني أن الشيوعيين لن يدخلوا مكانين "جاور والجنة"، ولم يتمكن الجنرال [1985] من الوصول إلى "جاور" وأصيب بجراح خطيرة لكنه نجا.

وهكذا كسبت جاور رمزيتها، واشتعلت فيها بعد عام معركة دامية بلا رحمة في إبريل 1986، علق عليها المهندس[11] مصطفى حامد فكتب: كان الجيش الأحمر قادرًا على الوصول إلى أي نقطة يريدها في البلاد، وهكذا أراد أن يثبت في معركة جاور، ثم معركة فتح الطريق إلى خوست عبر قبائل زدران، وقد ساعدتهم أمريكا عبر باكستان، على إشباع حاجتهم في حفظ كرامتهم العسكرية. في مثل هذه الأوضاع ليس من الحكمة تبني شعار الدفاع عن كل شبر من الأرض أو الثبات حتى آخر رجل. بل يجب أن نتبنى شعارًا يقضي بإيقاع أقصى خسائر للعدو، حتى يصبح نصره نصرًا زائفًا وشكليًا.

ورغم نتائجها المروعة على المجاهدين إلا أن العمليات أنتجت آثارًا مفيدة وإيجابية؛ منها توفير قناعة لدى القوات السوفيتية أنه لا تراجع للمجاهدين دون أن يكلفوا السوفيت خسائر ضخمة ولذلك لم يكرروها، ومن ذلك إدراك المجاهدين لأهمية الكمائن المتحركة

[11] كتاب "معارك البوابة الصخرية" المهندس مصطفى حامد من سلسلة ثرثرة فوق سقف العالم.

عن الدفاع الثابت وهو ما أثبت جدواه في كمين الكومندوز بعد عام في "جاجي".

قدرات العدو وإمكاناته ترفع من كفاءة المجاهدين وتحسن رد فعلهم، صراع المجاهدين مع السوفيت نقلهم من مناخ الحرب القبلية لمناخ حرب العصابات، وصراع مجاهدي الإمارة مع الأمريكيين رفع من كفاءتهم العملية وقادهم للحرب الأمنية، وبهذا الذهن الحر والمتقد الذي لم تلوثه الانتكاسة الغربية؛ وفق الله عباده الأفغان لهزيمة أعتى قوتين في التاريخ في أقل من نصف قرن.

***

في الحرب كما في الحياة يجب أن نسيطر على عواطفنا ولا نسمح لها بأن تستدرجنا، الحكمة والحلم يجعلان عقولنا قادرة على مواجهة الاستفزاز والحرب النفسية، وكذلك على مواكبة التغيير والتأقلم مع ما هو غير متوقع أثناء الصراع، وفي المقتطفات التالية بعض الأفكار التي تساعد على التأقلم وتقودنا للمهارة العسكرية:

- لتُحرر غريزتك وتصبح قادرًا على التفاعل الإيجابي مع المتغيرات يجب أن تراجع جميع معارفك العسكرية وتطورها وفقا للزمان والتقنية، لا شك أن دراسة التاريخ والنظريات توسع من آفاق الرؤية، لكن احذر الجمود والتصلب، احذر أن تقف عندها ولا يتجاوزها عقلك، التقليد مذهب معتبر، لكنه ليس للمجتهدين وأصحاب الرؤى السابحة عبر التاريخ.

- التعليم يدخل للعقل أفكارًا يصعب هزها، وفي خضم المعركة يعاني من لا يرى ظروف المعركة المتغيرة، ويحاول أن يجد لها مخرجًا من الماضي الذي نجح في إطار مناخ مغاير سواء في الطبيعة أو التقنية أو التكتيك، واقعك يختلف ويحتاج أن تحرر عقلك لينتج ويتقبل حلولًا تناسب تجربة الحاضر، فتنمو فيك روح الإبداع، وينطلق عقلك ليرتقي فوق سقف تجارب وحيل الماضي.

- خلال حرب فتنام كان لدى جنرال فتنام الشمالية "غياب"، مبدأ عام؛ كان بعد كل

حملة ناجحة يقنع نفسه بأنه في حقيقة الأمر كان فاشلًا، وكنتيجة لذلك لم تكسره أبدًا نجاحاته، ولم يكرر أبدًا الإستراتيجية نفسها في المعركة التالية، بل كان يفكر بكل وضع على حدة.

- أبق ذهنك مرتبطًا بالحاضر والواقع دائمًا، لا تهدر وقتك في معارك لن تربحها أو تستنزفك، وربما تقلب الكفة لصالح عدوك، اذهب بعيدًا حيث لا يتوقعك العدو، اترك له الميدان الذي أعده وانقض عليه من حيث أعددت أنت، إذا أسرت ذهنك ليتفاعل مع مجهود العدو واستسلمت للنداءات العاطفية واستجبت لبعض حلفائك، فقد تحولت لأداة بيد خصومك الذين وضعوك حيث يريدون، فأين العبقرية في هذا.

- احرص على المحاورة والمشاورة مع كبار الجنرالات؛ واحرص أيضًا على مشاورة الشباب والحوار معهم، اعرض عليهم الموقف كما هو، لا توحي إليهم بما تريد واتركهم يتفاعلون مع المعلومات والخريطة، استمع لحوارهم بعمق، قدر كلماتهم، ثم ادرس ما تفوهوا به، ستجد استراتيجيتك الجديدة دائمًا بين حكمة الشيوخ وهمة الشباب، جسد شيخ تسكنه روح شابة، بهذا تظل متجددًا دائمًا.

- حينما انطلق المسلمون نحو العالم، وكذلك انطلاقة الاسكندر، ومثله المغول، وسار على دربهم نابليون؛ لم تقوَ الإمبراطوريات القديمة على الصمود أمامهم، لقد قادتهم الروح الشابة بكل ما هو جديد فدكت به كل ما هو قديم، تميز المسلمون عن غيرهم بأنهم تحركوا بمد حضاري سماوي لا يمكن مقاومته أو رفضه.

- عباقرة الحرب هم من يسعون لتحصيل قوة أكثر ليونة وأكبر مرونة لتحقق قدرة ومجال أوسع للمناورة، الامتداد الأقصى لهذا التطور يتمثل في حرب العصابات، التي تجعل من الفوضى والمفاجأة إستراتيجية، يسبقون عدوهم بخطوة أو اثنتين، لا يكررون التكتيك، ويتفاعلون مع الأوضاع الناشئة.

- فكر مرتين، أولًا: وفقًا لما تعلمته وما تعنيه مبادئ الحرب وما يقوله جيل الجنرالات الكبار وما يتوقع العدو منك أن تقوم به، وثانيًا: فكر بشكل آخر وفقًا للروح المتمردة على التقاليد دون تهور؛ ومن الزاوية التي تقل نسبة توقع العدو لها، ثم ابنِ استراتيجيتك الدفاعية التي يُصاحبها عمليات هجومية وفقًا لأولًا، وابنِ استراتيجيتك الهجومية والتي تركن لدفاع حركي -يُصعب على العدو العثور عليك- وفقًا لثانيًا.

الحركة هي الحياة ولا حياة لروح حبيسة التقاليد العسكرية أو لذهن تَحجُر عليه المبادئ العسكرية، القادة العظام هم من يدرسون المبادئ العسكرية ويخالفونها وفقًا لحدسهم وعبقريتهم؛ هؤلاء الأفق أمامهم مفتوح، وهم من يصنعون مبادئ الحرب التي لا يحدها أفق.

- لا تدع عدوك يفاجئك: ادرس الأرض، ادرس العدو، اعرف نفسك، إمكاناتك، حصل تجارب التاريخ، امضغها بتأني وامنحها الوقت لتهضم، تشاور مع رواد التغير المعاصرين، ضع فلسفة الحرب القادمة، أرسل عناصر الاستطلاع، حدد ميدان الحرب، تناغم مع الطبيعة، اندمج مع السلاح، اقرأ نوايا العدو، واحشره في الزاوية المناسبة.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

الإيمان يثبت الجنان

3- استراتيجية الاتزان والتوازن

عندما يحمى الوطيس يفقد بعض القادة اتزانهم تحت تزاحم الأحداث: نكسات غير متوقعة .. تردد رفاق الدرب .. شكوك الحلفاء وانتقاداتهم .. هجمات الإعلام .. لسعات المرجفين والمثبطين .. اهتزاز الصفوف .. شك الجنود .. فقدان البوصلة .. التحول للرد العاطفي [بخوف .. بإحباط .. بيأس ... الخ] .. قاوم هذه اللحظة ودعها تمر وانتصر عليها .. قاوم الثقل العاطفي ولا تدع الآخرين يفقدون صوابهم .. حافظ على اتزانك العقلي وتوازنك النفسي حتى لا يجرفك التيار .. فزورق العز رغم اشتداد الموج ينتقل.

["والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة .. والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه"... "قد انقطع الوحي وتم الدين .. أينقص وأنا حي؟... "والله لأقاتلنهم ما استمسك السيف في يدي .. ولو لم يبق في القرى غيري"].

كلمات خالدة لم يتلعثم أبو بكر الصديق ﵁ حينما قالها .. كما لم يشك في قراره ولم يتردد لحظة واحدة؛ فهذه من سماته عندما يظهر له الصواب .. فكان موقفه الذي لا رجعة عنه ولا مساومة ولا تنازل إلهامًا من الله له ومُلهمًا للناس بعده .. يرجع له الفضل الأكبر -بعد الله تعالى- في سلامة هذا الدين وبقائه على نقائه وصفائه وأصالته .. وقد أقر الجميع وشهد التاريخ بأن أبا بكر قد وقف في مواجهة الردة الطاغية ومحاولة نقض عرى الإسلام عروة عروة؛ موقفَ الأنبياء والرسل في عصورهم .. وهذه خلافة النبوة التي أدى أبو بكر حقها .. واستحق بها ثناء المسلمين ودعاءهم إلى أن يرث الله الأرض وأهلها.

قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ

اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاء {27} سورة إبراهيم .. وقال سبحانه: { إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ {11} سورة الأنفال .. وقال الحق في علاه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ {7} سورة محمد.

***

يرتبك كثير من القادة أمام الخطر ويترددوا، خاصة عندما يصاحبه رياح تضرعات الأصدقاء والشركاء، الجبال لا تهزها الريح؛ وإيمان البعض لا يقل رسوخًا عن الجبال، بعد وفاة رسول الله ﷺ ارتدت قبائل عن الدين ومنعت قبائل زكاتها، وشاور أبو بكر أصحابه ﷺ في جهادهم:

فقال أصحابه ﷺ احبس جيش أسامة بن زيد فيكون عمارة وأمانًا بالمدينة وارفق بالعرب حتى ينفرج هذا الأمر فان هذا الأمر شديد غوره ومهلكة من غير وجه، فلو أنّ طائفة من العرب ارتدت قلنا قاتل بمن معك ممن ثبت من ارتد، وقد أصفقت العرب على الارتداد، فهم بين مرتد ومانع صدقة، وبين واقف ينظر ما تصنع أنت وعدوّك قد قدّم رجلًا وأخر رجلًا، وقال بعضهم: إنما شحت العرب على أموالها وأنت لا تصنع بتفريق العرب عنك شيئًا فلو تركت للناس صدقة هذه السنة.

قال أبو بكر ﷺ: إنكم قد علمتم أنه كان من عهد رسول الله اليكم المشورة فيما لم يمض فيه أمر من نبيكم ولا نزل به الكتاب عليكم، وإنّ الله لن يجمعكم على ضلالة، وإني سأشير عليكم وإنما أنا رجل منكم تنظرون فيما أشرته عليكم وفيما أشرتم به فتجتمعون على أرشد ذلك، فإنّ الله يوفقكم، أما أنا فأرى أن نشد إلى عدوّنا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وأن لا ترشوا على الإسلام أحدًا، وأن تتأسوا برسول الله ﷺ فنجاهد عدوّه كما جاهدهم، والله لو منعوني عقالًا لرأيت أن أجاهدهم عليه حتى آخذه من أهله وأدفعه إلى

مستحقه، فأتمروا يرشدكم الله فهذا رأيي.

فقالوا لأبي بكر ﷺ لما سمعوا رأيه: أنت أفضلنا رأيًا ورأينا لرأيك تبع، فأمر أبو بكر ﷺ الناس بالتجهيز وأجمع على المسير بنفسه لقتال أهل الردّة.

أيا مهرًا[12] يجيد العـدو لم يشمت به الكـــــلل

وزورق عـــــــزة رغم اشـتداد الموج ينتقل

وسيفًا مثل ضوء البرق يسطع حين ينتضل

وإعصـارًا إذا ما هب ريـــع الحـادث الجلل

***

الحزم من لوازم الحكمة .. والغضب من لوازم الحلم .. والعقاب من لوازم الرحمة .. والفطنة من لوازم الشجاعة .. والدهاء من لوازم السياسة .. والإثخان من لوازم النصر .. والعفو من لوازم التمكين[13].

عندما نطرق باب مواصفات القيادة أنحاز إلى خمس آيات من كتاب الله؛ قال تعالى: {..... قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {247} سورة البقرة، {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ {159} سورة آل عمران، {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ {128} سورة التوبة،

---

[12] من قصيدة الفارس المطلوب للدكتور يوسف أبو هلالة في رثائه للشيخ عبد الله عزام رحمه الله، وكان الشيخ أسامة بن لادن رحمه في جل أسفارنا يحدو بها.

[13] من المقالة الثالثة من سلسلة [يا ما في الجراب يا حاوي] لعابر سبيل، سلسلة مقالات لم تنشر عن الثورة المصرية وعملية الانقلاب على محمد مرسي.

{اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ {55} سورة يوسف، {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ {26} سورة الْقَصَصُ، اختار الله طالوت حاكمًا لتوفر صفات القيادة فيه، وهي سعة الخبرة بشئون الحرب، وسياسة الحكم مع قوة الجسم؛ وزكت ابنة شيخ مدين موسى عليه السلام بالخيرية لأنه قوي وأمين، وعرض يوسف نفسه لأنه حفيظ عليم، وامتدح الله نبيه محمد عليه الصلاة والسلام بالرأفة والرحمة وأمره بالعفو والاستغفار لهم ومشاورتهم فإذا عزم توكل على الله.

وما أجمل ما اجتمع في الراشدين بعده: من العلم والفهم، والحلم والحزم، والأمانة والزهد، إيمان وصدق أبي بكر، وكفاءة عمر وعبقريته، وحلم أبي عبيدة وأمانته، وسخاء وحياء عثمان، وشجاعة علي وعفته، والقائد الذي نتطلع إليه يعمل للم شعث الأمة وتحريرها من عبودية الغرب ويوحد كلمتها ويُحسن سياستها، ويعف عن أموال الناس ويكف عن دمائهم، فبهذا ينصر الحق ويرحم الخلق.

***

الحرب لا يصلح لها إلا الرجل المكيث، وهذا يتطلب صفات نفسية وذهنية وعلمية وعملية: فالحلم والأناة والشجاعة وقوة العزيمة والحزم والصبر والتواضع؛ هذه الصفات النفسية تعني أمورًا الأول: هدوء النفس المسيطر على العواطف [الخوف - الارتباك - الكره - الغضب - الحزن ... إلخ]، والثاني التمتع برباطة الجأش وبرودة الأعصاب وسرعة البديهة تحت أسوء الضغوط، الثالث: القدرة على إلهام جنوده وربطهم بالله وإدامة معنوياتهم ومنحهم الثقة اللازمة للصراع.

أما الذكاء والملاحظة الدقيقة والعناية بالتفاصيل ورؤية الصورة الكاملة وسعة الاطلاع، فهذا يعينه على أمرين: الأول: التعلم والتخصص؛ مع الدراية بكافة أنواع الأسلحة المشتركة واستخداماتها التكتيكية، والثاني: الإعداد والتحضير الدقيق للحرب.

أما الحكمة؛ ولا حكمة إلا من بعد تجربة عملية، فهذا يجعله يعتني باختيار هيئة أركانه ومشاوريه، وانتخاب قواده المحليين حسب طبيعة كل معركة، كما أن معرفته بالأرض والمناخ والمبادئ لا تجعله يترك شيئًا للمفاجأة، وتمنحه قدرة على المرونة لسد أي ثغرات تعترض المعركة؛ لأنها حسبت من قبل وبالتالي يمكن التعامل معها، إن السلوك الهادئ المتزن الدقيق والحكيم يعدي الآخرين، فكما تكون يكون جنودك مع الوقت.

***

الحرب لا يصلح لها إلا الرجل المكيث، ولا يصلح لها المرتابون المتشككون في كل شيء الذين يقرأون ما يشاؤون بين السطور، ويَحْرِفون الواقع ليلتقي مع مسار وساوسهم، ويندفعون بمن معهم في ظلام أوهامهم، مثل هؤلاء سرعان ما يفيقون على لظى الحقيقة والواقع، ولكنهم لا يرتدعون ويعيدون الكرة وراء الكرة، ويشغلون رؤساءهم ومرؤوسيهم بعبث ارتيابهم وشكهم، ويعيقون الشورى عن اتخاذ القرار، وهم بهذا يمارسون نوعًا من الإلهاء يمنح العدو الوقت ليحقق ما يريد، أمثال هؤلاء لا يصلحون أبدًا لقيادة مجموعة صغيرة ناهيك عن وجودهم في هيئة الأركان أو الشورى.

***

الحرب لا يصلح لها إلا الرجل المكيث، أما أولئك الذين يتباهون بذكائهم وشجاعتهم وقوة إرادتهم، ويقفزون على الأكتاف ويدعون إلى أنفسهم ويفخمون من شأنهم، هؤلاء الغارقون في عبادة الذات؛ لا يصلحون لقيادة الجيوش أو الحملات العسكرية الكبرى والصغرى، ولا يمكن تصنيفهم قادة في أي مستوى من مستويات المسؤولية، لماذا؟، لأن الغارقين في عبادة ذواتهم جبناء وجهلة؛ سرعان ما يتنصلون من أي خطأ ويلقون بالمسؤولية على غيرهم، وهذا أحد معاني النذالة، المتواضعون ينالون الحكمة بخوض التجارب، أما المتباهون فلا ينالوها حتى لو غاصوا في التجارب، المسؤول في أي مستوى

يتحمل مسؤولية قراراته؛ ومن قراراته اختيار مرؤوسيه وتكليفهم، وعليه أن يتحمل تصرفاتهم سواء أصابوا أو أخطؤوا، فالسلطة تفوض ولكن المسؤولية لا تفوض.

***

الحرب لا يصلح لها إلا الرجل المكيث، عندما تهب رياح الصراع ويشرع في إعداد الخطط يصاب بعض القادة بحالة من التردد والقلق، السبب في ذلك هو الخوف من ارتكاب خطأ، وما سوف يلحق بهم بسببه؛ إنه المستقبل والسمعة، أمثال هؤلاء الذين يضعون أسماءهم نُصب أعينهم، يسيرون في دوائر لا نهاية لها ويفقدون قدرتهم على اتخاذ القرار، فهم يرون المشاكل في كل مكان والهزيمة في أصغر انتكاسة، يتراجعون ليس انطلاقا من الصبر؛ بل من الخوف، غالبا ما تكون لحظات التردد هذه سبب دمارهم.

***

بعض القادة على النقيض من ذلك تماما، يشتركون مع سابقيهم في وضع أسمائهم نُصب أعينهم، لكنهم لا يبالون بالإعداد المحكم، ولا يأبهون بالنصر أو الهزيمة، يكتفون بالعمل وفق ما يطلبه الموجهون والداعمون، وأحيانا حسب رغبة القوى الإقليمية والدولية، وأكثر من ذلك من يأتمرون بأوامر حلفائهم لتحقيق مصالح ترجع بكامل الفائدة للحليف، وإن بدت أنها في صالحهم، أمثال هؤلاء باعوا القضية: لحظوظ أنفسهم، للداعم، للحليف، وقد لا تطرف أعينهم مما تسببوا فيه من كوارث، وهم أبعد عن التردد من سابقيهم، قال تعالى: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ {52} سورة المائدة.

***

القيادة الحقيقة لا تعاني من اضطراب في المواقف الصعبة، ولا تقامر بإمكاناتها وأفرادها

وفق حسابات خاصة، إنها القيادة الربانية، التي تضع الله نُصب عينها وفي ضميرها، هذه القيادة التي تأخذ بالأسباب في عالم الأسباب، وترتقي بإيمانيات جنودها وتربطهم بعالم الغيب، هذه القيادة التي ترفع يديها تضرعا لله في أحلك المواقف، وتضع جباهها شكرًا لله في مواطن الشكر، هذه القيادة التي تربت على نكران الذات، ونسبة النصر إلى من بيده النصر، هؤلاء يصعب أن تراهم في موقف تردد أو تبجح، فهم ثابتون كالجبال متواضعون كالرسل لأن أمرهم كله لله.

***

يقول كلاوزفيتز: [تؤثر الحواس على العقل بشكل أكثر حيوية مما تفعل الأفكار، حتى ذاك الذي خطط للعملية العسكرية ويراها الآن وهي تنفذ يمكن أن يفقد ثقته برجاحة أحكامه، لدى الحرب طريقة تقنع بها الحلبة بمشهدية مختلطة بالأطياف المرعبة، ما أن تتم إماطة هذا القناع، وتنجلي الرؤية في الأفق، فإن تطورات الأحداث ستؤكد له صحة قناعاته السابقة، هذه واحدة من الهوات الكبرى بين التخطيط والتنفيذ]، من كتاب عن الحرب.

لا يمنع التحضير الجيد للمعركة [دراسة العدو بعمق؛ معرفة مكامن قوته ونقاط ضعفه وتوقع نواياه، دراسة المناخ وتحديد أوقات تقلباته وانتظامه، دراسة الأرض وفحص ساحتها ومعرفة ثغراتها، البحث عن الثغرات في الخطة ووضع بدائل مرنة لسدها والتغلب عليها ... إلخ، الحضور العقلي واتزان العاطفة مع التصميم وثبات العزم والتركيز على الخطة] وكل هذا الحذر والاحتياط لا يمنع من أن ترد الأخطاء لأمر ما غفلنا عنه أو لأمر فاجأنا به العدو، الأخطاء واردة لكن يمكن تصحيحها برباطة الجأش، وقوة العزم، ونفاذ البصيرة، والمعنويات المرتفعة وهذا يتأتى بحسن الاستعانة بالله.

عند التخطيط تكمن المهارة في معرفة ما تريده بالضبط، لا يجب أن تكون هناك

مناطق معتمة بين التخطيط والتنفيذ، الثغرات وحتى الانتكاسات يجب أن تكون متوقعة وتم وضع بدائل لعلاجها، وحتى المفاجئة منها يجب أن تكون مستعدًا للتجاوب معها؛ الشلل الفكري هو طريق لا تسير فيه، واستفسارات وتشكيكات المحيطين بك يجب أن تملك لها إجابات، الحذر المبالغ فيه والمغالاة في التفاصيل متاهة لن تخرج منها، وقديمًا قيل: إذا كانت مهمة ربان السفية هي الحفاظ عليها فليبقها بالميناء، ولكن مهمته أن يبحر بها ويجتاز المخاطر ليصل للساحل منتصرًا.

ترك المخاوف تتراكم هو تأهيل للهزيمة، عناصر كثيرة تمنحنا الشجاعة والثبات أهمها اليقين بما عند الله، قدرتك على استعادة روح المبادرة، هذه المهارة لا تأتي بسعة الاطلاع فقط، إنما تأتي عبر الممارسة والتجارب، بجملة واحدة أعاد رسول الله ﷺ الأمور إلى نصابها بعد مؤتة، قال الناس يا فرار فررتم في سبيل الله، وقال رسول الله ﷺ: «ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله».

الصراع النفسي بعيدًا عن أدوات القتل، بين قائدين يحدقان في بعضيهما عبر الأفق، يستدعي قدرًا من المهارة لترى الخصم على حقيقته، انزع عنه ألقابه الإعلامية، واجه الشخص لا الدعاية، حصن جنودك ضد الكثير من هذه الأوهام، ولا تهمل أو تتهاون أو تسيئ تقدير خصمك، أنت تتعامل مع سيف ذي حدين: الواقع والدعاية، ضع الأمور في نصابها تكسر الهالة النفسية والدعاية الإعلامية.

***

لا تُحصَّلُ الحكمةُ إلا بخوض التجارب ولن تبلغ التوازن والاتزان إلا بها، الكلام والمحاضرات شيء والعمل في الميدان بين الدماء والأشلاء وزخات الرصاص وصدى المدافع وتطاير الشظايا شيء آخر، فنيران القذائف تلفح الوجوه وصوت الانفجارات يصم الآذان، فلا تعود تستنشق إلا البارود ولا تتعثر إلا في الجثث المتناثرة وتغيب في

غبار المعركة، وحين تلمح الفزع في العيون، واختراط الدموع للخدود، واختلاط العرق بالتراب، والغصة في الحلوق، تدرك حينها معنى اضطراب القلوب؛ فهذا كله شيء آخر، حينما تسري الاشاعات كالنار في الهشيم، ويتردد صوت التثبيط والتخذيل والإرجاف في الأنحاء وتلتقطه الآذان، وتُنازع النفس المخاوف بين الإصابة أو الأسر أو الموت، ويناوش الجبن الشجاعة في الصدور بين الفرار والثبات؛ هذا كله شيء آخر، هذا هو مناخ المعركة لا أجواء المحاضرة قال تعالى: {إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا {10} هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا {11} سورة الأحزاب، فالشجاع من خاض هذه الأجواء وثبت فيها، والحكمة تكتسب من هذا المناخ، فلا حليم إلا ذو عثرة ولا حكيم إلا ذو تجربة.

- في خضم المعركة انسحب خالد بن الوليد ليخاطب في جنوده الشرف والكرامة ليعود فيحقق انتصارًا حاسمًا، انسحب خالد بجيشه مؤقتًا ثم صاح فيهم: " تمايزوا، تمايزوا أيها الناس حتى ندري من أين نؤتى"، فجعل المهاجرين في جهة والأنصار في جهة والأعراب في جهة، ثم جعل في المهاجرين كل أبناء أب تحت راية، فهل يملك أحدهم أن يعيش في ظلال خزي الفرار؟، فأعاد خالد إليهم الجلد والثبات، فلن يخزي أحدهم اليوم قومه وأجداده، فحملوا على عدوهم فكسروه.

- قَالَ عَبْدِ اللَّهِ بْن أُنَيْسٍ: دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ خَالِدَ بْنَ سُفْيَانَ بْنِ نُبَيْحٍ الْهُذَلِيَّ يَجْمَعُ لِيَ النَّاس ليغزوني وَهُوَ بعرنة، فَأْتِهِ فَاقْتُلْهُ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ انْعَتْهُ لِي حَتَّى أَعْرِفَهُ. قَالَ: إِذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ قُشَعْرِيرَةً». فَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا سَيْفِي حَتَّى وَقَعْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ بِعُرَنَةَ مَعَ ظُعُنٍ يَرْتَادُ لَهُنَّ مَنْزِلًا وَحِينَ كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَجَدْتُ مَا وَصَفَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْقُشَعْرِيرَةِ، فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهُ وَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ

بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُجَاوَلَةٌ تَشْغَلُنِي عَنِ الصَّلَاةِ، فَصليْتُ وَأَنَا أَمْشِي نَحْوَهُ، أُومِئُ بِرَأْسِي لِلرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ قَالَ: مَنِ الرَّجُلُ؟ قُلْتُ: رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ سَمِعَ بِكَ وَبِجَمْعِكَ لِهَذَا الرَّجُلِ فَجَاءَكَ لِذَلِكَ. قَالَ: أَجَلْ إِنَّا فِي ذَلِكَ. فَمَشَيْتُ مَعَهُ شَيْئًا حَتَّى إِذَا أَمْكَنَنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْف حَتَّى قتلته، ثُمَّ خَرَجْتُ وَتَرَكْتُ ظَعَائِنَهُ مُكِبَّاتٍ عَلَيْهِ.

بهذا الهدوء والبساطة تلقى الأمر عبد الله بن أنيس وخرج بمفرده ليغتال قائد الجيش بين حرسه وجنوده، وتغلب على القشعريرة وطوع نفسه ليقوم بمهمته، وبلغت به الطمأنينة أن صلى العصر وهو يتقدم ليقتل عدوه، الثبات من الله وحده. اليقين بذلك وبما عند الله هو ما يجب أن نربي أنفسنا عليه، أضف لذلك رؤية الواقع كما هو، أن ترى الشخص لا الخرافة، إنه رجل فان مثلك ترديه ضربة من السيف وحتى شربة الماء قد تقتله.

***

إن انتظام الصف الداخلي يهيء المناخ للقادة للتفرغ لأعدائهم، ولهذا يجب على القادة أن يحرصوا على سلامة هيئة أركانهم وقادة أجنحتهم وعناصر استطلاعهم، وعلى القائد استشارة من يثق بولائهم، في غزوة بدر أنفذ رسول الله ﷺ ما أشار به الحباب ابن المنذر، وفي غزوة الأحزاب حفر المسلمون الخندق تبعًا لمشورة سلمان الفارسي رضي الله عنهم جميعًا، وكثيرة هي مشاهد صدق الولاء.

ولكن هناك مشاهد أخرى تعمل على العبث بالاتزان والتوازن:

* التضليل ومخالفة الأوامر أو التراخي في تنفيذها والنقد اللاذع والحياد عن الإنصاف؛ من سمات التمرد والعصيان.

ولتفادي التضليل فعلى القادة أن ينتبهوا للمعلومات التي يتلقونها من المرؤوسين وهذا يوجب عليهم دراستهم للأرض والخريطة والتوزيعات البشرية في المنطقة ومعرفة المناخ وتقلباته، كما على القادة أن ينتبهوا لنمط تعامل ضباطهم مع الأمر وهذا يلزمهم بجهاز رقابة

موالي ولا يمنع ذلك من تحريهم بأنفسهم كيفية تفاعل ضباطهم مع الأوامر، وعلى القادة أيضًا أن يحذروا من طريقة انتقاد جنرالاتهم للخطط فلربما تحت الرماد نارًا تستعر وقد يُخفي الدخان والغبار تآمرًا وانقلابًا.

وهنا لا بد من التنبه لأمر غاية في الأهمية: أن بعض المخلصين يعترضون أحيانًا وينتقدون أيضًا -ربما يكون في ألسنة بعضهم حدة- بغرض الإصلاح وتحسين المسيرة، وحدها فقط القيادة الواعية التي تدرك وتفهم مرادهم، أما القادة الحمقى سرعان ما يجعلون من انتقادهم العام طعن وعدم ولاء، ويحولون النقد والاعتراض من رؤية للإصلاح إلى مشكلة شخصية وتصفهم على قدم المساواة مع المضللين والمناوئين، ويبادرون بعزلهم أو تهميشهم، يجب أن نفرق بين النقد والاعتراض للإصلاح والآخر الذي يسير في موكب الهدم.

حتى لا تخدعك المظاهر احرص دائمًا أن يكون لديك مسارين متوازيين تستقي منهما معلوماتك وترى منهما المشهد، أحدهما: من خلال الجنود والمرؤوسين، والثاني تمارسه أنت دون وسطاء، وبهذا ترى الصورة الكاملة.

***

* بعض التحالفات لا جدوى منها عمليًا، وأحيانًا شر لا بد منه، لكن وجودها يشغل العدو ويلهيه، بعض الحلفاء قصيري النظر يهتمون فقط بما سيصل لأيديهم، وبعضهم موسوسون يسورهم الخوف يرون الخطر في كل زاوية وتحبطهم أصغر الانتكاسات وتلعب بعقولهم التهديدات، وبعضهم لا ينفك عن النقد والتشكيك وعرقلة التعاون والتقدم، ومنهم من يفكر في التخلي عن التحالف، ومنهم من يفسد التحالف بوعي وبغير وعي، ومنهم من يستمع بأذنه وينكر بقلبه ويجادل بالباطل، ومنهم من يطالب بحصة أكبر من الغنائم دون أن يقدم جنوده للقتال ومنهم ومنهم ومنهم ... إلخ، إنهم منافقون أكثر من

كونهم حمقى وقصيري النظر.

احذر أن تنشغل بهم فتفقد تركيزك على العدو، اشغلهم باهتماماتهم وافصل نفسك عنهم ولا تعتمد عليهم ولا تفك التحالف معهم، فهم بطريقة ما يمثلون إلهاءً للعدو، وبطريقة ما لا ينضمون للصف المقابل، وهكذا تنجح في تحييدهم.

***

تنمية القدرة على التوقع، هي هبة ونعمة ويُطلق عليها [الفراسة - الحاسة السادسة]، ومن الممكن تنميتها خاصة في العمل العسكري، ومن الخطوات التي تساعد على تنميتها البعد عن المعاصي؛ فالمؤمن يوفق في القول وتصدق فراسته بحسن التزامه ومتابعته لدينه وتوفيق الله له، ومن الخطوات أيضًا الاستطلاع والمخابرات القويين في طلب المعلومة، ومن ثم دراسة التقرير عن العدو والتعمق في فهم ما تعنيه كل معلومة؛ مثلًا: الأسلحة الجديدة ومواصفاتها وتكتيكاتها وكيفية استخدامها والوقت اللازم للتدريب عليها، أسماء الجنرالات وضباطهم الذين في الميدان فهذا يعين على صحة التنبوء بخطة العدو وكشف رؤيته، من خلال سبر غورهم ومعرفة تخصصهم، بل ومعرفة الجهاز الذي وفدوا منه [الجيش أم المخابرات] فهذا يظهر نوع الحرب التي يخططون لها، هل هي معركة أسلحة مشتركة أم حرب برية أم ستكتفي بالطيران أم أنها حرب استخبارات أمنية.

ومن الخطوات أيضًا دراسة التقارير التي تقدمها أجهزتنا عن الوضع الداخلي والميداني لقواتنا؛ ليتعرف القائد على قواده ورجاله، وعليه مخالطتهم ومراجعة تدريبهم والعمل على رفع معنوياتهم واستكمال احتياجتهم الممكنة وتزويدهم بالمعلومات النافعة. وعليه دراسة مسرح العمليات بكل السبل الممكنة من الخرائط ومن الهضاب والجبال ومن الجو بحيث لا تغيب عنه ثغرة ولا وادي.

***

عندما تعرف نفسك جيدًا وتعرف عدوك أكثر، وعندما تدرس مسرح العمليات وترسم خريطة ذهنية لكل ما به من هيئات ووديان وثغرات، عندما تعرف رجالك ومستويات تدريبهم وقدراتهم النفسية والذهنية وقدرتك على شحن معنوياتهم، عندما تعرف وبعمق ما تحت يديك من أسلحة ومعدات وأدوات وأجهزة ومؤسسات؛ وتجيد توظيف كل ذلك وتخوض بهم سلسلة من المعارك، عندها تكون عالمًا مجربًا في فن الحرب، يمكنك وضع الاستراتيجية المناسبة وتبرع في التكتيك وتبتدع الحيل والمناورات.

عندما يزداد يقينك بالرسالة التي تحملها وحرصك على التضحية من أجلها وإنكارك لذاتك وعلمك بأن الله هو الذي يختار من يفتح على يديه، يحصنك هذا من أوهام الزعامة وما تصيب مرضاها من شلل نفسي وعقلي يحد من حدسها الصحيح ومرونتها على رد الفعل الناضج.

عندما تدرك كل ذلك وأكثر ساعتها سوف تخلص نفسك من الأوهام والمنافسة والتلاحي والمشاحات وتتذوق طعم الحرية الحقيقية وتجد سلاسة في التفكير والتخطيط، وتبعًا لهذا تنمي وتحفز في داخلك الإحساس الحدسي، وترفع من قدراتك على التنبؤ وتستجيب مع الأحداث بصورة أسرع وبرد فعل ناضج، هنا يمكننا القول أنك بلغت الاتزان والتوازن ورزقت ثبات الجنان والأقدام.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما يكون الاختيار رفاهية

4- استراتيجية اللاعودة

أسوء عدو يجب أن تواجهه وبحزم .. هو أنت .. فتوغلك في أحلام اليقظة يعني هروبك من الواقع .. وبالضرورة يؤدي لسوء تقديرك لما تواجهه .. وهو محطة الهلاك التي تنطلق منها لأرض لا واقع لها تخترع فيها الأخطار وكيفية مواجهتها والانتصار عليها بسهولة ويسر .. وتصل لقمة انتصاراتك في جلسة واحدة .. إحساس الرضا عن ذلك خادع .. لن تفعل شيء طالما تشعر بالرضا لا بالحاجة وتعاني من قلة الاهتمام وتفتقر للهمة؛ فلا شيء طارئ أو مُلح .. أنت لا تفكر بالعدو الحقيقي ولكن بالعدو الذي اخترعته لأنك أسير أوهامك.

الخطوة الأولى للتخلص من أحلام اليقظة هي أن توقن أن العدو لا يستريح .. وأنه اتخذ خطوات كثيرة ليتقرب منك .. وعلى حين غرة يوشك أن ينقض عليك .. وأن صفك الداخلي حين ركنت لأوهامك تلاعبت به الأهواء والشهوات .. وحتى مع اهتمامك بالبناء والتنمية في الداخل هناك من يتآمر عليك ليحظى بما تناله.

الخطوة التالية عليك أن تعلم أن الفاتحين الأوائل والمؤسسين العظام لا يمنحون أنفسهم وقتًا للراحة .. إنهم يعرفون متى يتوقف الغزو الخارجي ومتى يطهرون صفهم الداخلي ومتى يبدؤون في البناء.

قبل أن يهاجمك الخارج أو الداخل عليك أن تبادر عبر الحركة لمواجهة الضغطين عمليًا .. ضع نفسك أمام خيارات الواقع بحيث تدرك حجم ما تجازف بخسارته إذا ما أتلفت الوقت والموارد في مغامرات غير مدروسة .. أنت في أرض الموت طهر صفك من المتآمرين وأشغل الداخل بالخارج؛ لتعود لاحقًا للبناء.

***

ضع نفسك فكريا في أرض الموت، ظهرك للجدار وعليك أن تقاتل بكل شراسة لكي تخرج منها حيًّا، استخدم قدراتك وقدرات مستشاريك الذهنية، يدعم قرارك معرفتك بجنودك، وفهمك لإمكاناتك، ونصرة حلفائك .. فإذا عزمت فتوكل على الله؛ إنها ليست مجرد كلمة تقال، فحينما تستوفي ما تستطيع في عالم الأسباب يستوفي لك التوكل ما لا تستطيع، بهذا يكون إحسان التوكل على الله، وتكون قد تخلصت من التردد والحيرة.

التردد بين الخيارات يفتح المجال أمام الاحتمالات اللامتناهية، فالقادة لا يمكنهم العيش بين الاحتمالات بل يتعين عليهم الاختيار بين أحدها، هناك احتمالات تَكسر الإرادة وأخرى تَنهض بها، فالرغبة بالحياة والمحافظة على المكاسب والإبقاء على ما في اليد قد تجعلك تنهزم وتقبل بالاستسلام؛ وهذا معناه أنك اخترت الذل واستسغت أن تموت كل يوم، في حين أن خيار القتال واستشعار الموت مع كل خطوة يدفعك للحياة ويقودك للتمكين والعز.

ولذلك لطالما ردد خالد بن الوليد ﵁ لقد جئتكم برجال يحبون الموت كما تحبون الحياة، هنا ندرك كم كان صعبًا على القادة اتخاذ القرار بالقتال في غزوة مؤتة، كما يتبين لنا أن لا حدود لعبقرية خالد ﵁.

***

القائد الفطن في الغزو عليه القيام بخطوات تأسيسية ليضمن لحملته النجاح في تحقيق أهدافها، فما يصلحه الحوار تمتنع فيه العصا، وما تقيمه العصا يرفع عنه السيف، وبهذا يبقى للسيف أقل عدد من المهام، أثناء المسيرة للقتال حيد من استطعت، وقم بعقد تحالفات مع كل من يكره عدوك، واحصل منهم على ما ينقصك من معلومات عن العدو، ثم أرسل وحدات صغرى لتحقق اتصالًا أوليًّا مع العدو، كل ما وصل إليك من معلومات

استفد منها في بناء خطة الهجوم، وكل من تحالفت معهم رتب أدوارهم في الهجوم.

القائد الفطن لا يغيب عنه المشهد الداخلي الذي يحتاج إلى مهارة الجراح لتنظيف الداخل، فالداخل أيضًا بحاجة إلى تحييد البعض والتحالف مع البعض، فمن الناس من يتألفهم ليكف شرهم ويضمن ولاءهم، ومنهم من يبني معه علاقة حسنة ليحافظ على ولائه، ومنهم من يحبس ليؤدب، ومنهم من يقتص منه.

القضاء على مؤامرات الداخل والتحالف مع المناوئين للعدو وتوفر المعلومات؛ هذه خلطة اجتماعية وأمنية لتحقيق النصر، بقي أن نضيف لها ما هو متاح من إمكانات عسكرية واقتصادية؛ هكذا يعمل المطبخ السياسي ليكون حاضرًا لكل الميادين وحتى ميدان أرض الموت.

***

ولأنك تظن أنك تملك الخيارات فإنك لا تورط نفسك بعمق كاف في أمر واحد تقوم به حتى النهاية، فيضيع الوقت والطاقة والموارد بين الخيارات، ولا تحصل أبدًا على ما تبتغيه، **أحيانًا**[14] **-عند الضرورة- وليس أصلًا،** تحتاج إلى أن تغرق سفنك أو تحرقها وتترك لنفسك خيارًا واحدًا، النجاح أو السقوط.

للعمل في أرض الموت عليك الاختيار بين ما هو سهل وما هو صحيح، عليك أن تحدد أصل المشكلة، وهي ليست في المحيطين بك؛ وإنما في نفسك، عندما تواجه **خيار المواجهة؛** يلوح في خلفية تفكيرك طريقًا للهروب، إذا لم تسيطر على مخاوفك؛ ستجد

[14] لقد انتصر بها كلا من صن تزو (قبل الميلاد) وكورتيز (1521م) وذلك لوجود مقومات نجاح لها على مستوى الجيشين، إلا أن عواقبها وخيمة إن كانت كما قال كعب بن الأشرف وهو يجهل ما يحاك له (إن الكريم لو دعي لطعنة بليل لأجاب)، فكان فيها حتفه ولله الحمد والمنة، أو ما حدث مع جيش الروم في معركة اليرموك، حيث كان وادي الرقاد خلفهم ولم ينفعهم.

وقناعتي لا يُلجأ لهذه الاستراتيجية إلا اضطرارًا، ومن المفيد بيان أنه لم يصح في الروايات التاريخية شيئًا عن ما قيل عن حرق طارق بن زياد للسفن، ولا المقولة الشهيرة: "العدو أمامكم والبحر خلفكم" عند فتح الأندلس عام (711م – 92هـ).

شيئًا ما تلجأ إليه إذا ما ساءت الأحوال، التسويف وطول الأمل دائمًا ما يفتحان أمامك المجال الزمني، قد ترى هذا الملاذ نعمة، لكنه في حقيقة الأمر نقمة.

إن حالة الضرورة لها أثر غير معقول في إلهام الجنود بتحويل اليأس إلى شجاعة مفرطة، إنها استراتيجية أرض الموت، والتي لها مقومات خاصة حتى تدخلها ونسب النجاة في صالحك.

***

من هذه المقومات: الهدف الذي تنشده من الحرب، الدافع والمحرك لانطلاقة الجنود [في سبيل الله وثمرته الجنة]، معرفتك بطبيعة القائد المقابل وقدرتك على قراءة أفكاره ونواياه، قدرتك على الإيهام بغرس خطر محتمل ينسجم مع نفسية قائد العدو بحيث يجعله لا يلتفت لما تهم به، فهمك لطبيعة الميدان الذي تدخله [الأرض]، فهمك للوقت الذي اخترته للمواجهة وما يرافقه من عوامل الطبيعة [المناخ، الرؤية، الفصل السنوي]، قوة إرادة جنودك ومهارتهم التدريبية وكفاءة أسلحتهم، الحالة المعنوية لوحداتك ووحدات العدو، ما يمكنك أن تقدمه لجنود العدو لتهزمهم قبل اللقاء [القضية التي يفنون أنفسهم فيها ليست عادلة ولا مشروعة]، واحذر أن تستفزهم بتصرفاتك المتعجرفة؛ فتنمي عندهم فلسفة أرض الموت، التزم بأخلاق الحرب التي اشتهرت بها، واعمل على فتح ممرات نجاة أمام جنود العدو في المعركة، وامنح مدن الخصوم فرص السلامة من القتل، والأمان للممتلكات، واحذر أن تمعن في الإذلال، بهذا ترفع من نسب النجاة والنصر في أرض الموت.

***

كثرة الخيارات سلاح ذو حدين، فهي من طرف تبرز حجم الإمكانات المتاحة ومرونتها، ومن طرف آخر تستهلك الوقت اللازم لاتخاذ قرار العمل بأحدها، وتُظهر

القائد بموقف المتردد أو الحائر بينها، وقد تكون خيارات الخصم محدودة فتمكنه من اتخاذ القرار في وقت أقل وتساعده على التفاعل بسرعة مع الأحداث، ويفاجئنا بتحركاته ونحن لا زلنا نفاضل بين الخيارات ونضع الافتراضات في متاهة اللاقرار.

ضع نفسك تحت إلحاح الزمن؛ فهو أثمن من أن تضيعه، قم بوضع تسلسل عملي لخطوات التفاضل بين الخيارات، استبعد الخيارات التي تتطلب خططًا مركبة أو تنسيقًا معقدًا، فالخطة ينفذها جندي بسيط في نهاية المطاف، استخدم الخيار الذي يحفظ دماء جنودك ويستنزف خصمك، استخدم الخيار الذي يخدع خصمك ويربكه، استخدم الخيار الذي يكسر إرادة جنود الخصم ويرفع من معنويات جنودك، اختر دائمًا ما يوافق مهارات جنودك ويناسب أسلحتك ومعداتك، وتدعمك فيه الأرض والمناخ والزمان.

عند مناقشة الخيارات ارجع دائمًا للمبادئ واتبع التعليمات بحسب نوع الحرب [نظامية - عصابات]، مخالفة المبادئ تضعك أمام احتمال واحد: الهزيمة، من يحقق النصر بمخالفة بعض مبادئ الحرب عبقري قادرٌ على التنبؤ برد فعل القائد المقابل، وهذا نادر فلا تخالف المبادئ حتى تستوعبها وتمارسها سنوات طويلة.

فلسفة أرض الموت لا يجب أن نحولها إلى مقامرة، نندفع إليها لمجرد كسر الرتابة في الحياة أو الجمود في الموقف العسكري، إنها نوع من التجديد لتحقيق المفاجأة والصدمة للعدو، وهي تحدٍ مدروس يصاحبه نفسية مغامرة في مناخ اضطرار لا مناخ اختيار.

***

في التدريب يجب على القادة إخضاع الجنود لسلسلة من التمارين لأخطار وحالات يحتمل مواجهتها، مثلا العمل حال التعرض لكمين، العمل حال الحصار أو التطويق، التواجد في منطقة قصف مدفعي، التعرض لهجوم كيماوي، التعرض لقصف جوي، التعرض لإنزال بحري أو جوي، القتال المتلاحم مع انتهاء الذخيرة، إخلاء الجرحى أو

سحب الغنائم... إلخ.

في اللحظات الحاسمة [نكون أو لا نكون]، يسبقها دائمًا إعداد نفسي للجنود كغرس روح التحدي، وإدخالهم في عدد من المغامرات المحسوبة بدقة، والاطمئنان لنتائج خوضهم عدة معارك، للوقوف على أقصى طاقة تحمل لهم، فطبيعة معركة الإسلام اليوم هي [الأمة الإسلامية بكل شعوبها مع طليعتها المجاهدة] **ضد** [التحالف العالمي والتحالف الإبراهيمي المحارب بقيادة اليهود تحت رعاية أمريكا].

***

تاريخ القائد العسكري وإنجازاته، قدراته على قيادة وإدارة جنوده وحروبه، سلوكه الإنساني مع جنوده وحسن رعايته لهم ولمن خلفهم، علمه العسكري ومهاراته الميدانية، قدراته على التعاون مع المجاورين وإلزامهم بتأدية واجبهم، فهمه لخارطة الصراع وصورتها الكاملة وإحسانه تقسيمها وتوزيع المهام، حسن اختياره وتأهيله للرجال وقادة أفرعه والعمل بالمخلصين لا المداهنين، بناؤه النفسي والأخلاقي وجمعه بين الشجاعة والرحمة وحسن الإعداد والتخطيط، فكل ما سبق وغيره عوامل بناء ثقة تجعل الجند وقادتهم جاهزين للحظات الفارقة.

اللحظات التي يضطر فيها القادة الأفذاذ إلى قرار [نكون أو أبدًا]، لا يظن أحد أنهم لم يتحضروا لهذا القرار!، لقد كانوا على أهبة الاستعداد لهذه اللحظة، وبذلوا الوسع في الأخذ بكل الأسباب الممكنة، واستثمروا الموارد المتاحة وفق رؤية صائبة، وسارعوا بالتحرك قبل استعداد عدوهم، إنها معركة بدر؛ بين الهمة بإحسان التوكل ضد عنجهية الكفر وبلادته.

***

كيف يمكن تحفيز الجنود؟ وجعلهم أكثر فاعلية وأقدر على التضحية؟.

اعتمد جنرالات الحرب على الخطب النارية، دفعت هذه الخطب الحماسية الجنود لانطلاقات قوية وزخم كالسيل الهادر، لكن الخطب النارية لا تأتي بنفس النتيجة دائمًا لأن هناك مقدمات عملية يلحظها الجنود إذا لم تتوفر أولًا فلن يكون للخطب أثر، وقف أبو جهل في يوم بدر خطيبًا وكان فشله في المعركة ذريعًا.

في واحدة من معاركه دعم صن تزو الخطب النارية باستراتيجية أرض الموت وكذلك كورتيز فعل عندما حرق السفن، وهي استراتيجية [نفسية] تعتمد على الضرورة الملحة بانعدام وجود خيارات للانحياز عند الحاجة، أو أن نفسية القائد والجنود تأبى الانحياز ويقدمون الموت عليه، قد يكون القائد متهورًا أو عبقريًا حينما يرى أن هذه الاستراتيجية هي الحل الوحيد لحسم المعركة فيبتلي جنوده بها، القائد [العنيد المتمرس] لا يُخضع جنوده لهذه الاستراتيجية إلا بتوفر مقومات أسلفنا بعضها، فإن لم تتوفر فالنتيجة ستكون كارثية.

اعتمد المسلمون على ربط جنودهم بالغيب، بالإيمان بالله وأن أجرهم عنده سبحانه وتعالى، فارتضتها نفوسهم واستقرت عليها، مع الأخذ بالأسباب في حدود الاستطاعة، فجاءت تحركاتهم وكلماتهم الحماسية تسير وفقًا لهذا؛ ففي غزوة بدر قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، قال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟!، قال: نعم، قال: "بخ بخ" فقال رسول الله ﷺ: ما يحملك على قولك بخ بخ؟، قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها»، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل رضي الله عنه، وبلغ المسلمون التوجيه الإلاهي فلم يغادروه، قال تعالى: { قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ {52} سورة براءة، وهو معهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فعناصر التضحية والفداء: دين سماوي خال من الشوائب والتحريف، وقيادة ربانية ترافق وترفق بجنودها، الذين يتبعونها في العسر واليسر والمنشط والمكره، قيادة تجتهد لتعيش الأجيال القادمة تحت ظلال الإسلام .

والأمة حاضرة بكل طاقاتها للتضحية بأعز ما تملك إذا وجدت: طليعتها المخلصة وتنظيمها القوي الجاد، ورؤيته الواضحة، وقيادته الحكيمة الأمينة والمخلصة التي تخضع للقرآن وتحمي بالسنان.

بمثل هذا يجب أن نحفز جنودنا لبذل الوسع في الجهاد، وغيره من مؤسسات الأمة.

الحركة الجهادية في بعض جبهاتها اليوم؛ ليس لديها ما تخسره، والتحالف العالمي عليها لديه الكثير ليخسره على أرضنا وعلى أرضه وأرض حلفائه، وهذا مناخ أرض الموت، اليأس من التغيير يولد الروح الاستشهادية، هذه الظروف الرهيبة التي ترفع الصراع إلى أقصى حدوده، وتأخذه لأبعد من ميدان القتال التقليدي، هذه الظروف التي فرضتها أمريكا واليهود وأذنابها والمتأمرون معها على أهلنا وأرضنا وثرواتنا، تغلق كل الأبواب ولا تفتح الآن إلا بابًا واحدًا.

وليفهم ذلك جيدًا كل من يحلم بأنه قادر على إدارة صراع سياسي مع العدو اليهودي والغربي أو ما يطلقون عليه المجتمع الدولي.

***

يؤثر في اتخاذ هذا القرار (اللاعودة) مناخ الاضطرار فهذه الاستراتيجية تناقض استراتيجية [لا تجعلها حربك الأخيرة]، كذلك الذين يتخذون مثل هذه القرارات هم من الصنف الطموح جدًا الذي لا يسمح لنفسه بالراحة، وهم في حالة نشاط وحركة دؤوبة قاتلين بذلك التعب، لأن التعب وليد الروتين والملل، وطموحهم يقودهم إلى خوض مغامرات شبه انتحارية لمستقبلهم، لم ينجح في هذا الدرب المتهورون الغارقون في أحلام

اليقظة، ولم يجتازه إلا من أحسن الاستعداد له.

***

وبقيت كلمة:

المسلمون لا يفقدون الاتجاه حين يفقده الناس ولا يضيعون حين يضيع الناس؛ فلديهم ما يرجعون إليه دائمًا فيصوب خطواتهم ويجدد مسارهم، عقديًا يعرفون ربهم ويعملون على تحقيق مراده مِن خلقهم، ورحلتهم في الحياة رسالة مقدسة يحملونها للناس .. كل الناس، لا يوجد حرية مطلقة على هذا الكوكب ولا يمكن ذلك، والحرية يصلحها الدين والقيم والعادات والتقاليد والفطرة السليمة، ولولا التجهيل الغربي للمسلمين خلال القرن الأخير وعمالة حكامهم وجيوشهم والبديل السيء الذي يحاولون غرسه بين أبناء المسلمين، لعاش الناس على هذا الكوكب في أمن وسلام ورغد في ظلال ونعيم ما اختاره الله لهم، قال تعالى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ {68} سورة القصص، المسلمون هم جنود الرحمن وحراس عقيدته وسفراؤه لصلاح البشرية؛ يحملون للناس الحرية الحقيقية ويقدمونها لهم بحب وحرص وإخلاص، وحتى حروبهم سارت وفق توجيهات ربانية وحملت للبشرية الهداية ونحت عنها أسوء ما يفعلونه في الحروب؛ فأَطلق عليهم خصومهم لقب الفاتح الرحيم.

***

الجزء الثاني:

العمل الجماعي

بسم الله الرحمن الرحيم

وحدة الصف

اهتم الإسلام بغرس روح الأمة عند أتباعه، قال سبحانه وتعالى { وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ {52} سورة المؤمنون، وقدم رمزية الدين على كل رمز دنيوي؛ ليربط الناس بما لا يفنى، فالدين يأتي أولًا ليقتل حظوظ النفس وينقل النفس البشرية من نرجسيتها وأنانيتها إلى روح الفريق ومفهوم الأمة الواحدة، وحصر ما يتفاضلون به بينهم بالتقوى وطلب رضا الله، وأعلن ذلك رسول الله ﷺ في أكبر مؤتمر يجتمع فيه المسلمون؛ فقال[15]: «يا أيُّها النَّاسُ! إنَّ ربَّكُمْ واحِدٌ، وإنَّ أباكُمْ واحِدٌ، ألا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ على عجميٍّ، ولا لِعَجَمِيٍّ على عَرَبِيٍّ، ولا لأَحْمَرَ على أَسْوَدَ، ولا لأَسْودَ على أَحْمَرَ؛ إلا بِالتقْوى، {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}، ألا هَلْ بلَّغْت ؟».

ولا يمكن في ملخص هذا الجزء التفصيل فيما قرره الدين لتحقيق وحدة الصف، وأكتفي باستعراض بعض ما تربت عليه الأمة:

تربت الأمة على العدل فتحققت المساواة، وتربت على المشاركة فكانت الحسبة، وتربت على الشورى فوفرت الأمن الداخلي، وتربت على الولاء والنصرة فتحررت من الإثنية والقبلية والحزبية وكل ما يفرق الأمة، وقدم الدين برنامجًا اقتصاديًا لا مثيل له ربى الأمة على التكافل والتعاون فأثمرت روح الألفة والأخوة ... إلخ، وكان ثمرة هذه التربية وحدة الصف وتماسكه التي منحت الأمة فتراتها الذهبية في تحركاتها السياسية والعسكرية، والتي تميزت فيها بالتوفيق في: القيادة والاقتصاد والتنظيم والاستراتيجية

[15] قال الشيخ الألباني رحمه الله: صحيح، لكن عَزوه الى السنن وهم، فانه لم يروه أحد منهم وإنما هو في مسند الإمام أحمد، وقد كنت توقفت فيه قبل سنين، ثم يسر الله تعالى لي جمع كثير من طرقه وحققت الكلام عليها فتبين لي أنه صحيح بمجموعها، وانظر صحيح الترغيب 2964 والصحيحة 2700 وغاية المرام 313. أهـ المصدر تراجعات الألباني.

والسيطرة، وهذه هي عناصر تحقيق النصر في كافة الميادين.

يقول الحق سبحانه وتعالى عن الأمة: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ {110} سورة آل عمران، وحتى تعود الأمة لسابق عزها فعليها أن تعيد البناء على الأسس والمبادئ الأصيلة وفق دينها وعاداتها وتقاليدها وموروثاتها الثقافية، وأن تنفي عنها كل دخيل من ميراث ميكافيلي وأتباعه.

قال تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ {103} وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {104} وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {105} سورة آل عمران، وقال تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {60} سورة التوبة، وقال تعالى: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {9} إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {10} سورة الحجرات، وقال تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا {29} سورة الفتح.

***

ولا ربط بين المعاناة الحالية والدين، فالتربية للروح والعقل والجسد شيء والتقدم العلمي شيء آخر؛ شاركت في تقدمه وتطوره البشرية مجتمعة من عهد آدم عليه السلام وإلى أن تقوم الساعة، فهذا ميراث بشري لا يختص بشعب أو عرق ولكنه ثمرة مجهود البشرية في ميادين الحياة.

فالأمة في حالة مخاض خطيرة فهي تعاني من التجهيل الذي فرضه الغرب عليها، وتعاني من الحكام العملاء الذين اشتروا كراسي الحكم بخيانة الدين والأمة، وتعاني من التربية المستوردة التي تسلخ الإنسان من أحسن تقويم ومن الفطرة السليمة إلى انتكاسة فطرية ليقبع في أسفل سافلين، وإلى أن تعود للتربية السليمة والتخلص من التجهيل؛ ستظل البشرية والأمة تعاني من أمراض التربية السيئة، التي تستلزم بالضرورة إجراءات وسياسات تضبط التحرك الجماعي لتيسير مراحل الإيقاظ والإفاقة، لتستعيد الأمة الحكم على أرضها وتتحرر من موبقات القرار السياسي العالمي، بل وتبدأ باتخاذ قراراتها وفق هدي ربها ودينها الذي ارتضاه للناس، قال تعالى: { ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ... {3} سورة المائدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

القيادة والتنظيم والاستراتيجية والاقتصاد والسيطرة

5- استراتيجية وحدة القيادة والصف

يعرف المرء بمن معه .. الليث لا يقود فريقًا من الضباع .. والأسود لا يقودها إلا أسامة .. وبقدر ما يمكنهم التواصل بقدر ما يكون النجاح .. والبراعة تكمن في الانسجام والسيطرة بين القائد وأركانه؛ وإطلاق العنان لهم للإبداع .. وهذا معناه أنك تفهم بنية مجموعتك .. أو صممتها بالشكل المناسب.

حضور القائد و قدرته على الإلهام .. تظهر في: تفاعل الجنود وإحساسهم بالهدف الكلي .. ومن خلال منحهم حرية التصرف لإنجاز الهدف .. وتنمية روح الفريق التي تمنحهم اندفاعة لا تقاوم .. وأن تتحمل معهم نتائج العمل .. مهما كانت .. فأنت المسؤول الأول عن النجاح أو الفشل.

***

المعادلة الصعبة تكمن في انتخاب القيادات للعمل والسيطرة عليهم، وأن تطلق لهم العنان للإبداع دون أن ينطلقوا خارج حدود الخطة، أن ينفذوا روح أفكارك دون أن يكونوا آلات.

النجباء لديهم أجندتهم ونمطهم في التفكير وحظوظ أنفسهم، فإن أحكمت عليهم الخناق أفسدتهم وتمردوا عليك بالصمت وتحينوا الفرصة لإفساد خططك، وإن تغافلت عنهم أفسدتهم بصراع أناني داخلي على السلطة يسارع بالانهيار أو الهزيمة، وفقدان السيطرة.

إذا كنت تهدف لتوحيد الأجندة وإحسان تفاعلهم وتنمية روح الفريق فعليك: باختيار أهل الكفاءة والخبرة لا أهل الولاء والصحبة، الإحسان في توزيعهم على التخصصات،

الإنصاف في توزيع المهام ودعمها بالإمكانات التي تنجحها، وتنسيق التعاون بين الوحدات والقطاعات على كامل الخريطة، الاهتمام بقنوات التواصل لسرعة وصول المعلومات والتجاوب معها، فرض مناخ الشورى للمساهمة في صناعة القرار، فسح مجال مرن بإتاحة الفرص لاستثمار إبداعهم فتشبع طموحهم، الجدية والحزم في المتابعة والمسائلة والمحاسبة [ثوابًا - عقابًا - عفوًا] تكسبك الهيبة والاحترام وتقتل روح التمرد الذاتية.

التزامك بما تدعوهم إليه هو إلهام لهم باقتفاء أثرك، ربطهم بالخالق وبما عنده وتنمية الإيمان في قلوبهم ينمي الولاء له سبحانه، تعهدهم بالتربية وتزكية النفس يذهب شوائب الصدور، حرصك على العدل والإنصاف يبعد الحسد والبغضاء بينكم، المسارعة للإصلاح فيما شجر بينهم يبث مناخ المحبة والثقة، إشاعة روح التكافل الإسلامي تبني روابط الإخوة وتدعم الصداقات، نشر معاني الوفاء الإخلاص التضحية الفداء تلد جيلا من المحسنين، كل هذا، يقتل حظوظ النفس وجموحها إن شاء الله.

***

بعض القادة لديهم موهبة فطرية رائعة في وضع الخطة والعناية بالتفاصيل والتحضير للمواقف الطارئة، ويضيع منهم أحد أهم ركائز النصر [السيطرة]: وضوح الأوامر، سلسلة القيادة، وشبكة الإتصالات التي تنتقل من خلالها الأوامر والمعلومات والقرارات، فإن كانت السلسلة والشبكة لا تعملان على الوجه المطلوب والأمر تم صياغته بشكل ضبابي فلا يمكن تنفيذ أي استراتيجية كما خطط لها.

الصف الأول من سلسلة القيادة يجب أن يكون من الأسود الذين يجيدون فن المناورة والانقضاض، وحينما يتلقفون الأوامر يتخذون من الأسباب ما يمكنهم من تنفيذها، أما إن كانوا من الضباع فأول ما يفكرون فيه هو تأول الأمر، خاصة إذا أصدر لهم بصيغة مهذبة وضعيفة سيرون في أوامرك ما يريدون رؤيته، ويحولون الهدف من مجهود رئيسي

إلى هدف محتمل.

الصف الثاني من سلسلة القيادة والذي يتولى مباشرة التنفيذ إن لم تشملهم شبكة الإتصالات مع القيادة العامة، وكانت الأوامر التي وردتهم تم تأويلها، فسيكونون مترددين في كل حركة، ومرعوبين من التصرف على سجيتهم، وجنودهم يتحولون إلى أسراب تائهة، وهكذا تتحول الضبابية عند رأس القيادة إلى إرتباك وفتور عند القاعدة.

***

بخلاف الإنكسار في سلسلة القيادة، هناك خطأ أكثر شيوعًا يقع فيه كثير من القادة عند تحليل أسباب الفشل، حينما تنظر للأحداث بصورة عكسية: فتلوم ضباطك غير الأكفاء، أو التكنولوجيا الناقصة لديك، أو المعلومات الاستخبارية الخاطئة ... إلخ، إذا استمر تحليلك بهذا الشكل فأنت على موعد مستمر مع الفشل، والهزيمة ستظل في ركابك.

والحقيقة أن كل شيء يبدأ من قمة الهرم: وما يحدد فشلك أو نجاحك هو أسلوبك القيادي والتسلسل القيادي الذي تصممه وشبكة التواصل مع سلسلة القادة، فإذا كانت أوامرك غامضة أو ضعيفة فحين تصل إلى الميدان ستكون قد فقدت معناها، سلسلة القيادة هي من صنعك أنت وهو عمل فني يتطلب رعاية واهتمام وتجاهله لا يحقق إلا الخطر، يعتمد النجاح على السرعة التي تصل بها المعلومات في الاتجاهين عبر شبكة اتصالات القادة.

ضعف السيطرة معناه أن السلسلة فقدت واحدة أو أكثر من حلقاتها: وضوح الأوامر، سلسلة القيادة، شبكة التواصل.

***

عند اختيار قائد عسكري جديد ينشأ صراع داخلي صامت مع المجموعة البيروقراطية، كذلك مع الطامحين لنفس المنصب من كبار القادة[16]، من يسيطر على صنع القرار ويستمر مسيطرًا أثناء تنفيذه؟.

الصراع الداخلي للسيطرة على مستوى القيادة يتطلب حلمًا وحكمة، على القائد الجديد أن يتجنب الدخول في تحديات، وأن يتفادى مراد الخصوم بهدر الوقت واستنزاف القوة في معارك فرقاء، والغوص في تفاصيل صغيرة تعمي عن الصورة الكلية.

لتغيير الحالة البيروقراطية ومناخ المنافسة على القائد أن يبادر بأمرين: الأول اختيار وتوظيف طاقمه[17] الذي قام بانتقائه وتدريبه وتشغيله والتأكد من كفائته وحسن تصرفه في الظروف العادية وتحت الضغط خلال مسيرته العملية، الثاني العمل على تأهيل[18] الذين كانوا يعوقون سلسلة القيادة ودمجهم بروح الفريق وبأسلوب غير مباشر.

الحزم من الحكمة، ومطلوب مع العناصر التي يصعب عليها أن تنسجم مع أسلوب الإدارة الجديدة، هذه العناصر لا يمكن اصطحابها أثناء المسيرة العملية ولا بد أن تغادر لتعمل في إدارة أخرى.

على القائد الجديد أن يقوم بتعيين مساعدين يشاركونه الرؤية وقادرون على التصرف وفق أسلوبه، يوفرون عليه الوقت في التفاوض مع كل شخص صعب، ويساهمون في

---

[16] المسلمون ليسوا استثناء، فهذا أمر بشري خاضع لحظوظ النفس، ورغبتها في التملك والسيطرة، وليس كل القادة خالد بن الوليد ﷺ والتاريخ زاخر بالمؤامرات الداخلية للقرب من السلطان وتولي المناصب، ولا شك أن هذا خلاف التربية الإسلامية الصحيحة ولكنه واقع النفس البشرية.

[17] سبق وبينت أن هؤلاء لا بد أن يكونوا من النجباء (الأسود)، وليسوا من (الضباع) الذين أفضل صفاتهم أنهم من أهل الولاء فقط، هؤلاء النجباء قام القائد خلال مسيرته بانتقائهم وتدريبهم وتشغيلهم والتأكد من نزاهتهم وكفائتهم وحسن تصرفهم في الظروف العادية وتحت الضغط.

[18] هنا ملاحظة هامة جداً هذا التصرف لعلاج المنظومة القديمة مقبول وحكيم لكونهم جميعا يعملون داخل النظام القائم، أما في حالة الثورات أو حروب العصابات فهذا التصرف يعد حماقة سياسية لأننا لسنا أمام فريق منافس في إطار نظام نقيمه، وإنما أمام فريق معادي يعمل على إعادة نظام نباشر هدمه.

نشر روح الفريق لتصبح سياسة عامة، ويحلون بديلا عنه في الاجتماعات قليلة أو عديمة الجدوى، ويحمونه من الغرق غوصًا في التفاصيل الصغيرة لينشغل بالصورة الكلية، وهم يدعمون بلا شك سلسلة القيادة والسيطرة بصورة عامة وبشكل غير مباشر، والناس سيتبعونك دون اتهامك بالتسلط، وهذا قمة المهارة لتحقيق أقصى سيطرة في الصراع الصامت الداخلي.

***

إذا كان ميدان الحرب مقسمًا بين فصائل أو تنظيمات متنوعة، فهو ميدان خطير، فصائل مختلفة المشارب تواجه عدوًا واحدًا، أشبه بجيش له خمس قيادات أو أكثر، الناس ضمن مجموعات تكون لديهم ميول سياسية وانتماء للفصيل أو التنظيم، وما يقولونه أو يفعلونه هو للترويج عن أنفسهم فقط ولإرضاء الآخرين.

في حين أن الفرد جريء ومبدع فإن المجموعة تخشى المخاطرة وتَعلق في خوفها، إنها تملك عقلا خاصًا بها، عقل حذر وبطيئ في اتخاذ القرار ومعدوم الخيال.

عندما تعقد تحالفًا من عدة فصائل أو تنظيمات ذات مرجعيات مختلفة فلا تسمح بخرق أحد أهم قواعد الحرب والسيطرة {وحدة القيادة}، يميل البعض لمنح المجموعة مزيدًا من القوة انطلاقا من رغبة بعض القادة بأن يظهروا ديموقراطيين فيترك للمجموعة اتخاذ القرار وصياغة الاستراتيجية، هذا هدم وليس بناء، ومن هنا ندرك عبقرية الشورى وما تمنحه من مرونة للقائد.

القيادة الموزعة هي وصفة للكارثة وهي سبب أعظم الهزائم العسكرية في التاريخ، إن تعيين قائدين أو أكثر لقطاع عمليات يجعلها يتشاكسان فيما بينهما أكثر من قتالها للعدو، لا بد من اختيار قائد عسكري واحد لقيادة التحالف، تحت سيطرته جميع الجنود ويشرف على كامل الميدان، ومخول من الفصائل المتحالفة بكامل الصلاحيات، وعليه أن يصطفي

وبعناية هيئة أركانه ويجعل منهم فريق عمل واحد، قديمًا قالوا: لا يجتمع سيفان في غمد.

***

قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {29} سورة الزمر.

التقسيمة[19] الطائفية والعرقية والدينية في أنظمة الحكم تحمل في طياتها بذور الفشل، العنوان لبنان والعراق ومن سار على دربهم، إنها قنابل موقوتة توشك أن تدمر الإنجازات على قلتها، هنيئا لزعماء الطوائف وتعساً لأتباعها، ولا بواكي على لبنان والعراق.

الإصرار على الإمارة الإسلامية في أفغانستان على تشكيل حكومة تمثل كل الإثنيات والمذاهب؛ هي دعوة لزرع مزيد من عناصر التفتت بين أبناء الشعب الأفغاني، ماذا حققت أنظمة الحكم الثلاثية في لبنان (النصارى والسنة والشيعة) والعراق (الأكراد والسنة والشيعة) لقد حافظت هذه الأنظمة على بقاء جميع أنواع النيران تحت رماد ثلاثية الحكم، والانهيار في لبنان والتفسخ في العراق هو مصير كل من يقبل بهذه الثلاثية النكدة، لماذا لم نسمع مثل هذه الدعاوى في فلسطين؟؛ نظام ثلاثي يمثل تواجد (اليهود والنصارى والمسلمين) بدلاً من النظام العنصري اليهودي المحتل المدعوم بريطانيًا وأمريكيًا!.

***

* الخطوة الجوهرية لبناء سلسلة قيادة فعالة هي جمع فريق من أصحاب المهارات الذين يشاركونك أهدافك وقيمك، عليك أن تبحث عن الأشخاص الذين يعوضون عن نقصك ويملكون المهارات التي تفتقر إليها، لا تختر إطلاقًا رجلًا فقط بسبب سيرته الذاتية اللماعة أنظر تحت جلده إلى تكوينه النفسي واحظَ بمن ليست ذاته متضخمة، اعتمد على الفريق

[19] من كتاب ألف تغريدة وتغريدة .. عابر سبيل، لم ينشر بعد.

الذي كونته ولكن لا تكن أسيره، إذا حظيت بالمشهورين فاحذر أن تغيب عنهم، انقطاعك يمثل فرصة لبناء قاعدة قوة خاصة بهم.

* إلى جوار هؤلاء احذر صنف من البشر يمو داخل التنظيمات يركض وراء مصالحه وينشئ عصبة تدفع بأجندته الخاصة لإحداث شرخ في البنيان الصلب، هذا الصنف يفسر أوامرك وفقًا لأهدافه الخاصة، قبل اختيار أركانك وقادة أفرعك تحرى عنهم وتجنب تعين أصحاب الحظوظ الذاتية، وإن ابتليت بهم سارع بعزلهم ولا تمنحهم الوقت أو المساحة للمناورة داخل التنظيم، لا تكثر من إحسان الظن ما أن تتعرف عليهم بادر بعزلهم لكي توقفهم عن بناء قاعدة قوة ينطلقون منها لتدمير النظام.

* حافظ على سلسلة قصيرة لتأمين سرعة نقل المعلومات من الخنادق، لتحسن التأقلم بسرعة مع ظروف الحرب، القادة العظام لا يكفون عن التواجد بكثرة مع جنودهم، وعليهم أحيانًا أن ينظروا في رسائل جنودهم ويوظفوا من يثقون به لمتابعتها، في وقت الحرب ابنِ شبكة غير رسمية تنقل لك وقائع الميدان، بالموازاة مع الشبكة الرسمية والتي تكون عادة أبطأ، شكل مجموعة سفراء فوق العادة ترسلهم في العمق لجلب أو توصيل المعلومات، أو للتفاوض مع العدو، هذا الفريق يمنحك مرونة في السلسلة وفسحة في المناورة في بيئة صلبة.

* انتبه إلى الأوامر نفسها شكلًا ومضمونًا، الأوامر الضبابية لا قيمة لها وأثناء تنقلها من مستوى لآخر تصبح معكوسة، اجعل أوامرك واضحة فيها تفصيل للبنود الهامة وتشمل على مقترحات لمواجهة بعض الأحداث الطارئة المحتملة، هذا النمط يجعل ضباطك يعرفون كيف تفكر، لذلك اجعل أوامرك ملهمة تفتح المجال للإبداع والمشاركة في إطار الخطة العامة.

***

الخوف على عملية التغيير لا يقف على القلق من تحركات الداخل والانشقاقات وطموح القادة الشباب وسعيهم نحو السلطة، الخطر الأكبر دائمًا ما يأتي من الخارج: إما من العدو وهذا لا يخفى على أحد حيله ومكره ودسائسه، وإما من الحلفاء حينما ينسحبون من الميدان؛ عندما يلوح لهم في الأفق إشارات تحقق هدفهم من التحالف، وإما من الداعمين الذين يوفرون الدعم المالي لحركة التغيير وهذه هي الطعنة الأخطر؛ ساعتها يتبين أننا لا نملك قرار التغيير، وأننا سلمناه بطيب خاطر للداعم أو الممول، حينها نفهم معنى استقلالية الاقتصاد، وباختصار فإن النسبة التي نفقدها من استقلالية القرار تعادل وربما أكثر مما نحصل عليه من تمويل، ونخضع في مقابلها لمتطلبات الداعم سواء في تأثيره على ضراوة الصراع أو في إصراره على اغتصابه لامتيازات اقتصادية مستقبلية أو آنية في المناطق المحررة؛ يستعيد بها أضعاف ما أنفقه على الحركة.

ولعلاج استقلالية القرار من مخاطر الحلفاء[20] والداعمين يتعين علينا أن نجتهد في تقليل النفقات، ونحرص من حرق المراحل، ونسيطر على الأراضي المنتجة [المزارع - النفط - الخامات والثروات والمناجم ... إلخ]، ونقيم مشروعاتنا واستثماراتنا الخاصة، ويمكن الاعتماد على الدعم الشعبي ودعم الأمة بكل طمأنينة، وبهذا نحقق الاستقرار والطمأنينة لمسيرة التغيير والاستقلال والسيادة للقرار، فخطر عملية التمويل أسوء من المخاطر التي تواجه عملية السيطرة الداخلية؛ وفي كلٍ خطر.

***

حفلت أفغانستان بعدد من القادة المخلصين وغير المخلصين، كما حظيت بمرجعية شرعية واحدة [المذهب الحنفي]، الحلفاء قبل الأعداء اجتهدوا في إفساد الاستراتيجية، وأوصلوا المجاهدين إلى سبعة أحزاب، وتحكموا في الأحزاب السبعة وأداروا ضراوة الصراع تحت

[20] راجع فصل الحليف في كتاب الصراع ورياح التغيير الجزء الثالث.

مظلة الدعم الاقتصادي، مما جعلها تخسر وحدة القيادة وتفقد السيطرة، وانتشرت الفوضى والقتال الداخلي، والأمّر أن طعم الانتصار على الاتحاد السوفيتي كان له غصة ومرارة، هذا الدرس استوعب بدقة، وحينما انتظم المجاهدون تحت راية الإمارة وقيادة أمير المؤمنين ومرؤسيه حققوا خمسة أركان للنجاح: وحدة القيادة، التمويل الشعبي، الاستراتيجية، التنظيم، السيطرة.

ساحات الصراع التي تفتقر: {للقيادة .. للاستراتيجية .. للتنظيم .. للسيطرة .. للتمويل}، هي ساحات تعيش حالة من الفوضى بما تعنيه الكلمة، لا أحد يسمع للآخر، وليس هناك نقاط التقاء، وكلمة الفصل بيد حلفاء الخارج، كل فصيل يفعل ما يحلوا له، والاجتماعات بينهم تخلوا من اتفاق، وأحيانا تدار لمعرفة ما عند المنافس، وتكرارها هو كسب لمزيد من الوقت، والصدام قادم بينهم، والعدو الماكر يتحين فرصته.

ولندرك جميعا أن الخلل في أحدها {وحدة القيادة، الاقتصاد، التنظيم، الاستراتيجية، السيطرة} نتائجه الدخول في متاهة، خروجنا منها مرهون بتوفيق الله أولًا ثم اجتهاد القيادة في إصلاح الخلل.

***

السلطويون رؤساء سيئون متعجرفون، يبغضهم جل من يعمل معهم، ويسايرهم من يعرفون من أين تؤكل الكتف، وينافقهم كل من يرغب في تأمين مستقبله، السبب الرئيسي لعجرفة هؤلاء الرؤساء أنهم يرون سلم الإدارة الهرمي [العامودي] فقط -الذي يمنحهم الفرصة لإبراز ما عندهم- إن الإدارة بالسلطة [بالفعل والنهي] قد تنجح عمليًا لكنها فاشلة تمامًا اجتماعيًا، وكثيرًا ما تعرضت المنظمات بسببها لهزات عنيفة وإضرابات واعتصامات، وغادرها خيرة الكوادر الذين اصطدموا بالمتعجرفين.

هؤلاء لا يمكنهم رؤية أي تجانس أفقي على المستوى الاجتماعي، إن سلم المسؤولية

هام وخطير ولكن إدارة الناس شيء آخر، ولا يروض المسؤول مثل الإحسان، فالإدارة بالحب والعقل هي النموذج الأمثل للنجاح، إنها سلطة القلوب والعقول، التي تهتم بالعمل وبالفرد.

ولهذا أفضل لفظ المسؤول عن الرئيس، فالمسؤولية مفهوم يسير في كل الاتجاهات أما الرئيس فهو مسار من أعلى لأسفل فقط .. حسرة .. ما أكثر الرؤساء وندرة المسؤولين.

***

6- استراتيجية الوحدات المكتفية ذاتيًا

توزيع الجيش العامل على جبهة واحدة إلى: وحدات عسكرية ذات حجم مناسب مكتفية ومستقلة ذاتيا .. تضاعف من قدرتك على المناورة باستخدامها في القطاعات والمحاور المحيطة للعدو أو على طريق تقدمه، وتحقق المفاجأة التي تحبطه وتستهلك جنوده وقياداته الصغرى نفسيا.

خطورة هذه الوحدات تكمن في مرونتها وقدرتها على الاجتماع تحت قيادة واحدة في فيلق أكبر عند الحاجة لذلك .. إنها تحقق مفاجأة التجمع والانتشار في أوقات قياسية.

المفاجأة هي: القيام بما لا يتوقعه العدو .. المفاجأة تتعلق بالوقت والمكان وخطة التنفيذ .. ونجاحها يحدث للعدو إرباكًا وصدمة تؤثر في سير العمليات على الأرض .. بعض الأعداء قد تبلغ به الصدمة من المفاجأة أن يستسلم دون قتال.

مما يعين على تحقيق ذلك:

* يجب أن تكون عالما بقدرات العدو وإمكاناته.

* وبنفسية القائد المقابل وقدرته على رد الفعل.

* أيضا استعدادك للانتقال من المركزية إلى اللامركزية.

* وقدرة وسرعة استجابة جنودك للتكيف مع الانتقال.

* ووجود القيادات [الأسود] المبدعة التي تباشر آليا علاج أي خلل أو ثغرة يبصرونها خلال التنفيذ.

***

عادة ما تبنى المنظومة القيادية مصاحبةً للتطور العلمي والتكنولوجي، ولكن في بعض الميادين يصعب أن تصمم المنظومة القيادية مستفيدة بالكامل من التطور التكنولوجي، فهذا ميدان لازالت المنافسة عليه بعيدة عن التيارات الإسلامية.

يعوض عن ذلك بناء مؤسسة فائقة التنظيم، ذات عقيدة عسكرية متفوقة، وتخضع لقيادة تتحلى بالجرأة والمقدرة على الإبداع والحركية استراتيجيًا وتكتيكيًا، قيادة لا تتشبث إلا بالخطوط العامة فاتحة المجال أمام القيادات الميدانية الشابة للإبداع.

إن إدراكنا وعلمنا بقدرات العدو وإمكاناته وحجمه ومستواه التقني يجعلنا نبتكر الشكل التنظيمي الذي يصلح لتحقيق أهدافنا ويسمح لنا بالتفوق الحركي على العدو ويتيح لنا الوصول إليه وضربه والانحياز دون أن يهدد وجودنا، ويعمل على إرباك العدو واضعًا إياه في حالة من الشك داخل متاهة من الاحتمالات.

***

الجيوش أو [الجماعة الجهادية] الناجحة هي تلك التي تفتح مجالًا واسعًا من الحركة أمام القادة الميدانيين، صراع اليوم هو مناورات الوحدات الصغرى المرنة في ميادين التكتلات الضخمة الصلبة، هذه المناورة تتطلب مهارات الظهور المفاجئ والاختفاء السريع، ولا يمكن خلق هذه الحركية بجسم مركزي، الحركية تتطلب قدرة فائقة ودقيقة على الانتشار للاختفاء والتحرك، ومهارة للتجمع والحصار والضرب، ثم الإخلاء والاختفاء مرة أخرى، وهذه المهارات تتطلب تنظيمًا لا مركزيًا يعتمد على الأسود الماهرة التي تتقن هذا الفن وتبرع فيه وتبتكر.

لقد كانت مناورة انحياز القاعدة من المكلا نموذجًا للتعبير عما أريد بيانه، فقد تحولت المنظومة بكامل ثقلها وقواتها من الحالة الصلبة إلى الحالة الغازية بسرعة ومهارة فائقة الدقة

فبدا وكأنهم قد اختفوا في الهواء، وحينما زال خطر المواجهة تحولوا للحالة السائلة التي نحتت عند هطولها صخور الأرض وتربتها مشكلة الوادي الذي يناسبها ولا يسمح بحصارها، لتنساب منه بلا صخب بمرونة وخفة عند الحاجة، إنها حالة زئبقية، تعاود التقدم باتزان وحكمة من محاور عدة لتتحد بانسجام تام عند الهجوم، وتنسل منتشرة مرة أخرى بمهارة وإبداع وجمال بعد الفراغ منه.

لقد كان توفيق الله عظيمًا، وكانت القيادة بارعة وعلى مستوى الصراع.

***

يكمن جوهر الاستراتيجية في البحث عن أفضل الأساليب والطرق والأدوات لتحقيق الأهداف، أما عمق التفكير الاستراتيجي يجعلك في وضع تمتلك فيه خيارات تفوق خيارات العدو، فبدلا من أن تكون مقلدًا لخطة سبق تنفيذها في مناخ مشابه من خلال قائد ماهر تمثل لك الخيار الوحيد، فإن إحسان التوكل على الله يمنحك التوفيق ويفتح لك أبواب للتفكير السليم والعميق ويجعلك قادرًا على اللجوء إلى خيارات أخرى بحسب الظروف، يقول الحق سبحانه وتعالى {... وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {282} سورة البقرة.

تكرار الخطط يعتبر تصرفًا مبرمجًا لسلوك دروب سارت عليها معارك سابقة؛ سبل إجهاضها أو إفشالها معروفة سلفًا ومبرمجة أيضًا في عقلية العدو، التصرف السليم يعتمد على قدرة القائد على تجاوز التقليد إلى الاجتهاد.

القدرة على رؤية الصورة الكاملة للساحة الحقيقية للصراع [معرفة العدو المباشر، الأرض، المناخ ، إمكاناتنا، حلفاء الطرفين، الأدوات المتاحة أمام الطرفين، موازين القوة في الدوائر الثلاث المحلية والإقليمية والعالمية ... إلخ] تساهم في بناء الاستراتيجية السليمة، وعبقرية القائد تتعدى معرفة وفهم نفسية القائد المقابل والقدرة على التنبؤ الصحيح

باستراتيجيته إلى ابتكار استراتيجية تمنح جنوده خيارات تتفوق على حيل أعدائهم.

ومهارة القائد تتعلق برد الفعل السليم والسريع أمام تصرفات العدو الاستراتيجية أو الميدانية المفاجئة، الذي يمنحه هذا التفوق تحليله لبنية الجيش وقولبتها بما يناسب أهدافه، تقسيم الجيش لفرق أو ألوية مستقلة ومكتفية ذاتيًا تمنح القائد الأعلى الليونة وتفتح أمامه مجالًا أوسع للمناورة، كما تطلق يد القيادات التنفيذية لإخراج إمكاناتهم.

إنها أشبه بمرحلة النضج للتحول من شبل إلى أسد شاب ليصبح مع الوقت أسدًا راشدًا وحكيمًا.

***

النصر أو الهزيمة كلاهما مضلل، فالنصر تتوه في زخمه كمية الأخطاء التي واكبت مسيرته، والهزيمة تضيع بانتكاستها الخطوات السليمة، والتنظيمات والجماعات التي تتغافل عن النقد الذاتي لمسيرتها أو لحروبها؛ تتفشى فيها عوامل التفكك والانهيار، ولا شك أن أشد الجماعات انتكاسة تلك التي عرفت سلبياتها ولم تسع لتصحيحها.

حينما نسعى لمأسسة المنظومة العسكرية فنحن بحاجة لأمرين أساسيين: الأول وضع الهيكل التنظيمي السليم والمناسب، الثاني شغل الهيكل بالأكفاء، هيئة أركان الحرب لا بد أن تدار من خلال مجموعة عسكرية دربت تدريبًا خاصًا ودرسوا التاريخ العسكري وأتقنوا فنون الاستراتيجية والتكتيك والقيادة.

لتحقيق الليونة والمرونة يجب أن تكون بنية هذه المؤسسة ليست ثابتة، وعلى القائد الأعلى للقوات أن يعدل من حجمها وتشكيلاتها لتناسب الأهداف المطلوب تحقيقها، كما تناسب طبيعة المعركة الراهنة، وبعد كل حملة لا بد من تقييم الآداء وبقسوة من خلال مراقبين، حتى تتعلم قيادة أركان الحرب من أخطائها وأخطاء الآخرين، وبهذا تظل المؤسسة وكوادرها خاضعين للتصويب ودائمي التطور.

***

إن بناء عقلية القيادات وصقلها لتعرف كيف تفكر يعتبر الإنجاز الأهم لإدارة الصراع، كما أن إدخالهم في سلسلة من التمارين تنمي قدراتهم على اتخاذ القرار المناسب بشكل مستقل، فالإلتزام بنص الأمر أو روحه أو إدارك الهدف المرجو من الأمر هو موهبة عقلية، يمكنها أن توازن بين تحقيق النتائج وكيفية[21] تحقيقها بالشكل الصحيح من منطلق أوامر الإسلام.

هناك دائما نوعان من الأوامر أحدهما يجب إطاعته حرفيا، والآخر يجب الالتزام بروحه، والمنتبه الواعي للفرق بينهما هو القائد الذي نرجوه لإدارة المعارك، ذلك الذي يقوم دون تردد أو سؤال بما يتطلبه منه الوضع الراهن وبالطريقة المناسبة ودون انتظار الأوامر، معركة أحد نموذج لكل من الأمرين: ففي معسكر المسلمين الأمر كان واضحا وغير قابل للاجتهاد للرماة بالتمسك بالجبل وعدم تركه، وفي معسكر الكفار كلف خالد بن الوليد بقيادة الفرسان في القتال فحافظ خالد على هدوء الأعصاب وتحين للثغرات وتدخل في الوقت المناسب أثناء سير المعركة.

فقه الأوامر قد يعني أحيانًا أن يتصرف القائد العسكري وفقًا لإلهامات الميدان حينما لا ينسجم الأمر مع تطورات المعركة، يدرك القائد العبقري روح الأمر ويعمل بمرونة في لحظة حربية فارقة بين إدراك النصر أو الاستسلام للهزيمة.

***

الخلاصة:

* بنية عسكرية لينة قابلة للتقسيم والتشكيل المناسب.

---

[21] نحن مسلمون ومطالبون بسلامة الوسيلة لنبل الغاية التي نسعى لها، فلا يقدم تحقيق النتائج على كيفية الوصول لها أو الوسائل المتبعة فيها، فالصحة الشرعية شرط لا يمكن المناورة فيه.

* متابعة النقد الذاتي لتصحيح الأخطاء وإحسان الإصلاح.

* تلقين هذه الفلسفة للقادة الأصغر للاستفادة منها في المستويات الأدنى.

* القدرة على التمييز بين حالتي الأمر [الملزم والمرن] والعمل بهما.

* وأخيرًا، القدرة على التنسيق[22] بين التشكيلات في إطار الصورة الكلية للصراع لتحقيق الهدف المنشود.

***

وبقيت نقطة، الانضباط وروح الفريق.

{... وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {10} سورة الأنفال، ومن عوامل تحقيق النصر أيضا الأخذ بالأسباب ومنها: المعايير العالية ، التدريب، الانضباط.

عند الرغبة في تحقيق الانضباط على القادة أن يميزوا في تعاملهم وأوامرهم للجنود بين الجيوش النظامية وجيوش المتطوعين [المجاهدين]، وموضوعنا الآن هنا هو [جيوش المجاهدين النزّاع من القبائل والقادمون من بيئات متنوعة]، سيواجه القادة طبائع متباينة من الناس، كل طبيعة يناسبها أسلوب معين لتقبل الأوامر والعمل بها لبناء روح الفريق معه، وأسلوب الانضباط العسكري الكامل لا يمكن العمل به معهم، ومن هنا بدلا من أن يكون الانضباط عنصرًا للانسجام قد يكون سببًا للخلاف والتوتر والاضطراب، ومن براعة القائد أن يحسن ارتباطه بجنوده ويفهمهم بشكل واضح، ويحسن التعبير العملي عن قوله تعالى { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {10} سورة الحجرات، فيشيع إحسان الظن بينهم، وأن يتعهدهم بنصحه فيحثهم على مكارم الأخلاق، ويمنعهم من التجسس والشك والغيبة ويعمل على الصلح بينهم، ويقف حائلا

---

[22] راجع تمرين الصيد العظيم لجنكيزخان.

بين الاستهزاء والتنابز ويسعى في إحسان التعارف بينهم، وعليه أن يتواجد قريبا منهم ومعهم في الميدان كما في الصلاة، وأن يشاركهم العبادات الجماعية كما يدخلهم التمارين العسكرية، وأن يجتمع معهم على موائدهم دوريًا وفق ظروفه، عليه أن يشاركهم أو ينظم لهم بعض أنواع اللهو والمسابقات المباحة، قد يكون الأنفع أن يحقق اختلاطًا في أماكن الإيواء وفصائل القتال فيجمع بين الأعراق أو المجتمعات المختلفة في مكان واحد أو قد يقسمهم بحسب مجتمعاتهم، ويظل المسجد وميدان القتال الأصل في اجتماع الكل، وعليه أن يتنازل عن بعض الانضباط الخارجي [اللباس مثلًا، أسلوب الكلام، وما كان على شاكلتهما] مقابل أن يحافظ على روح الفريق وأخلاقياته، عليه أن يحاول برفق ترويض سلوكيات الجنود القادمة معهم من مجتمعاتهم المتنوعة والتي قد تكون غريبة أحيانًا، ويدفع بها لتحقيق الأفضل.

يجب أن ينتبه القادة لروح التكافل الإسلامية التي تلزمه شرعًا بتفقد رعيته والنصح لهم والاهتمام بالجانب الإنساني في حياتهم وظروفهم الاجتماعية، وما يتبعها من أعراف لا يسعه تجاهلها، كما عليه الانتباه لتغذية الروح بنشر أهل الوعظ ليذكرهم بالله ويربطهم به، فيتلون عليهم آيات الله ويزكوهم ويعلموهم الكتاب والحكمة.

إنها روح سورة الحجرات

***

بسم الله الرحمن الرحيم

روح التكافل والتضحية

7- استراتيجية الروح المعنوية

الإيمان بالله .. وضوح المنهج .. القيادة الربانية .. صدق الأخوة .. نزاهة شركاء المسيرة .. انتشار العدل .. الانسجام بين همة الشباب وحكمة الشيوخ .. إنكار الذات والتمسك بالفريق .. النبوءات والمبشرات .. البطولات والأبطال .. الراية والشعارات .. الرموز والقدوة؛ كل هذا أساس نهضة المعنويات وبها ترتقي .. فنحن أمة جمعنا:

إله أحد .. نبي واحد .. كتاب واحد .. رسالة واحدة .. قبلة واحدة .. أمة واحدة.

اهتم الإسلام بالروح المعنوية وعمل على إخراج الأنا من الفرد المسلم إلى نحن [الأمة] .. وجعل ثمرة ذلك هو النصر الجماعي في الدنيا .. وجعل الرفعة في الدنيا للدين .. وجعل التمكين له والهداية للبشر سبيلًا للغاية [رضا الله] .. وبين أن المعنى الحسن للعزة والكرامة المصاحبين للأنا لا يأتي إلا من خلال الدين وللأمة كلها وليست حكرًا أو ثوبًا خلع على أمير أو حاكم أو ورثتهم [نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ...] .. وأكد الإسلام أن حقيقة الثواب للفرد بالآخرة .. وزّهد في حظ الدنيا وجعل التخفف منها إشارات على الطريق النقي الطاهر.

***

فالطريقة المثلى لرفع الروح المعنوية هي: أن يكون الدين هو الرمز وما الفرد والجماعة والدولة والإمكانات والأشياء والأدوات إلا أجزاء من دائرة تتكامل لتخدم القضية الأساسية، الدعوة إلى الله باللسان وبالسنان، فالدين يعمل على ربط ضمير الفرد بالكل وتزكيته بالتضحية والتواضع لإفراغ صدره من الأنانية والكبر والتعالي، و ترسيخ الإيمان بالغيب وأن ما عند الله هو خير وأبقى، وأن دعوتهم وجهادهم من أجل قضية عادلة،

بهذا تجتمع الأجزاء وتتحول إلى كل متناغم، وهذا يشبع أي نفس مؤمنة، هذا ينتشلهم من مصالحهم الخاصة، ويغلب جانب الفداء والتضحية، ويجعل المصالح الفردية تتقاطع مع المصالح العامة، فالعز والفخر في نصرة الإسلام والخزي والعار في خذلانه أو نصرة غيره، فحسن التزام الفرد بدينه يجعله مرهف الحس إزاء الضمير الجماعي الساعي لنيل رضا الله.

***

الإيمان حالة نورانية من رقي المشاعر وإرهاف الحس ترشد الفرد للكل وتأخذ بضمير الجماعة لحقيقة الارتباط بالخالق سبحانه وتعالى، إنها حالة من الخشية والشوق {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ {23} سورة الزمر، هنا تطيب التضحيات فتهون الصعاب وتسمو الروح ويصبح فناء الجسد زورق نجاة يرتقي بالروح من حياة البرزخ لتسكن في حواصل طير خضر، قال تعالى {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ {169} سورة آل عمران، وقد سأل مسروق عبد الله بن مسعود عن هذه الآية فقال [إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا؟ قالوا أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا يارب نريد أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُرِكوا] رواه مسلم.

***

يسلك بعض القادة بوعي [تعمد] أو بدون وعي، بعلم أو بجهل، فيعمد لرفع المعنويات

بالمبالغة في المدح والتزكية، أو الكرم في المكافآت والعطايا، وتوزيع المناصب ومنح الصلاحيات ... إلخ، هذا السلوك يؤدي لإتلاف النفوس وإفساد العقول وشراء الضمائر وإظلام للحالة النورانية وفسخ للتعاقد الروحاني، هذا السلوك يفسح المجال أمامهم للهيام في عالم الأسباب مفتقرين لواعظ داخلي أو خارجي يردها، وفي الختام يكتشف القائد أنه أفسدهم بالدلال المفرط الذي نمّا عندهم الإحساس بالأنا وحب الدنيا والزهد في التضحية.

وحينما يراجع القادة أنفسهم في محاولة الإصلاح بالعقاب والانضباط يتحول الحب المصطنع إلى كراهية حقيقة، أو حينما يحاول إعادة بناء ضمائرهم بإلهاب مشاعرهم بالخطب الرنانة أو الأنشطة الجماعية لن يجد منهم إلا كلمات السخرية والاستخفاف، لقد تلفت الأجساد وتبعها الأرواح والضمائر ورزحت فيها العقول.

حقيقة ما حدث أنه اشترى ولاءهم بالمنح والعطايا، فلم تكن لله وإنما لرمزيته فقط، لقد بدأ بشراء ولائهم فأفسدهم ثم أراد عالجهم فكسب عداوتهم، فأي تغيير عما اعتادوه سيجابه بحالة دفاعية للمحافظة على مكتسباتهم، ما أكثر هذا وما أكثر من أفسدهم الدلال والمال، ولا صلاح لذلك إلا بصلاح القيادة والبطانة التي تنتبه لفساد الرمزية وفساد السلوك، فيعملون منذ البدء بما فلح به الرجال الأوائل.

***

لعلاج الذين أفسدهم الدلال والمال والمناصب والقرابة سبيل، لنعلم أن الروح المعنوية معدية، سلبا أو إيجابا، فالمطلوب إعادة تعيينهم في مجموعات تم تربيتها بشكل سليم، مجموعات مرباة ومنسجمة ونشطة لكي تلتقط الأرواح التائهة والعقول الشاردة وتفيض عليها هدى وفق منهج سليم لرفع المعنويات بطريقة طبيعية، هذا الوجدان الجماعي يحد من محاولة العودة لسلوكهم الأناني، ومن أبى بعد ذلك سيواجه وبسهولة بالعزلة والعزل،

وهذا آخر ما يرجوه إنسان.

ولكي ننشأ مجموعات نشطة وفعالة قادرة على احتواء الأزمات وناجحة في تجاوز العقبات فهذه بعض الإرشادات التي يجب أن يعمل القادة على غرسها أو تنفيذها:

الإيمان بالغيب وأن ما عند الله خير وأبقى، المحافظة على الطاعة في وقتها من صلاة وصيام وزكاة، ترسيخ مبادئ الزهد في الدنيا وإشاعة روح التكافل والتضحية، تقديم نموذج القيادة الصادقة التي تشاركهم المناخ الذي يتحركون فيه، تحقيق الوحدة الفكرية، خوض المعارك وفق استراتيجية سليمة لتحقيق النصر في الحرب، توفير التدريب الراقي للمجاهدين، توفير الأسلحة والمعدات المناسبة، تعيين القيادات البارعة المؤمنة، توفير عناصر النجاح للعمليات العسكرية، المعاش المناسب لكل شريحة[23]، والمكافأة للمجتهدين، إحسان التماس الأعذار لعوام الأمة ودعوتهم برفق وحلم، وحسن التألف للمترددين، ونفصل في بعضها تاليًا.

***

نقاط هامة لرفع معنويات الجنود في ميدان المعركة:

أولًا: عدالة القضية التي يقاتلون لأجلها: فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان، يتوجب على القادة والكوادر وأهل العلم العمل على توعية جنودهم وكشف الحجب أمام أذهانهم عن الواقع الذين يعيشون فيه، ويهمنا هنا حقيقتين الأولى مراد الله منهم، والثانية جوهر الوجود الإنساني، قال تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ

[23] الأساس المالي واحد للجميع ثم يراعى بعد ذلك عدد من هم في كفالته، الخطوة التالية هي للأقدمية ثم أصحاب التجربة والكوادر، وذلك من سنة أمير المؤمنين عمر ﷺ حينما فرق بين أهل السبق ومن لحقهم.

مُّجِيبٌ {61} سورة هود، [التوحيد، عمارة الأرض]، وبحسن بيانهما يتولد لدى الناس إرادة التغيير وتتضاعف لدى الجنود الرغبة في الفداء والتضحية لنصرة معتقدهم من طرف والعيش الكريم في ظلاله من طرف آخر، يستشكل كثير من الناس دور الدين كمحرك للثورة، لكنهم جميعا يدركون حقيقة الظلم الاجتماعي وسوء توزيع الثروة والاستئثار بالسلطة، وهي أيضًا مطالب شرعية حث الإسلام على رفعها بإقامة العدل والتكافل وإيكال الأمر للأمناء من المؤمنين، إن عدالة القضية وارتباطها برضا الله يوفران للجنود والناس المحفز الأساسي للقتال والتضحية لتحيا الأجيال القادمة في ظلال الشريعة بحرية وكرامة وفرص لمستقبل أفضل.

***

ثانيًا: الإنسان روح وجسد ولكل منهما متطلباته، ولا بد من الحرص على تقديم هذه المتطلبات:

* الروح: تنشط بزيادة الإيمان بالله وعالم الغيب، وتتغذى الروح على الكلمات والمواقف والمبشرات والنبوءات، وتنهض بهم محلقة في أجواء من الحماسة والعاطفة مقتربة من السماء راغبة في ما عند الله، وليس بعد كلام الله ورسوله كلمة إلا ما ربطت بين الآيات والأحاديث وشرحهما، قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ}، وقال سبحانه {إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ}، وقال أيضا {إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ}، وقال جل في علاه {وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ}، وقال رسول الله ﷺ «والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»، وقال أيضًا «أبشر يا أبا بكر! أتاك نصر الله، هذا جبريل على ثناياه النقع»، وقال عليه السلام «الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم»، وقال وهو يتبسم؟ «تلك غنيمة المسلمين غدًا إن شاء الله».

أما المواقف والبشريات والنبوءات فكثيرة جدًا منها: للمظفر قطز ما رد به عادية التتر [فحمل الملك المظفر رحمه الله بنفسه في طائفة من عساكره، وأردف الميسرة حتى تحايوا ورجعوا، واقتحم المظفر القتال وباشره بنفسه، وأبلى في ذلك اليوم بلاءً حسنًا، وعظمت الحرب وثبت كلٌ من الفريقين مع كثرة التتر، والمظفر يشجع أصحابه، ويحسن إليهم الموت، ويكرُّ بهم كرة بعد كرة، حتى نصر الله الإسلام وأعزه، وانكسرت التتر، وولوا الأدبار على أقبح وجهٍ بعد أن قتل معظم أعيانهم.]، ومن البشريات يقول الشيخ محمد المنجد[24]: [ثم يرصدون أنه بعد [11 سبتمبر] تضاعف عدد الداخلين في الإسلام ثلاثة أضعاف من أهل البلاد الأصليين، وهذا يعني بأن الناس هناك يريدون التعرف على الإسلام والقراءة عنه]، ومن النبوءات ما ورد عن الطائفة المنصورة [لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله] إنها أمة عجيبة مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره.

***

* الجسد: ميدان العمل هو ميدان التضحية والفداء، والبذل والعطاء، أن تقدم كل ما تملك روحك وجسدك ومالك مقابل أن تحيا الأجيال القادمة في ظل الإسلام فهذا قمة الجود، وهذه هي الحالة المثالية للإنسان الذي تجرد من متطلباته لنصرة دينه وحبًا للناس، لكن للحرب وللنفس البشرية متطلبات هامة بدونها نفقد قدرًا من الطاقة والمعنويات، في الميدان الجسدي للحرب لا بد أن تكون معدة الجنود ممتلئة وعلى بدنهم زي يناسب العمليات كما يناسب فصول السنة، حتى تستمر اندفاعاتهم القتالية وتظل معنوياتهم مستقرة، وفي الميدان النفسي لا بد أن تكون بجيوبهم أموال تخلفهم من هم بحاجة لها لمواجهة متطلبات الحياة.

---

[24] حال الأمة اليوم وواجب الدعاة في رفع المعنويات، دروس للشيخ: محمد المنجد.

إنها المسؤولية إحساسًا والتزامًا، ويمكن تفسيرها في كلمة وحديث وإدراك: [الرعاية]، [كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته]، [لو عثرت بغلة بالعراق لرأيتني مسؤولا عنها أمام الله تعالى لم أسوّ لها الطريق].

تكاليف العملية القتالية عادة محسوبة، لكن التكاليف المصاحبة لها والتالية لأحداثها لا يمكن حسابها، كل الحروب تكلف كلا من المنتصر والمهزوم، لأنها تخلف قتلى وهذا يعني أرامل وأيتام، وهناك الجرحى وهذا يعني رعاية طبية ونفسية، وللحرب أسرى وهذا يعني مجهودًا سياسيًا وماليًا أو قتاليًا، كما تخلف الحرب وراءها مفقودين وهذا يعني إضطرابًا وقلقًا اجتماعيًا.

فعلى القادة الانتباه لحجم الأمانة التي على أكتافهم، كما عليهم الالتزام بمسؤليتهم لضمان ثبات الصف ولاستقرار المعنويات ولنماء الثقة باطراد، وعليهم الاجتهاد في توفير: شؤون إدارية قوية، وتكليف أكفأ وأنشط العناصر بمسؤليتها ويتابعونه بأنفسهم.

ميدانيًا: يجب توفير وجبات منتظمة أثناء القتال ولا بد من توفير وجبة ساخنة خلال اليوم القتالي، توفير الملابس والأحذية المناسبة التي تسهل مهمة الجندي في ميدان القتال، الإبداع في مهارة الإخلاء للجرحى ونقلهم من ميدان المعركة.

اجتماعيًا: لا بد من توفير الكفالة والمعاش المناسب مع مراعاة القدم والتجربة والكوادر، ولا بد من تقدير المجتهدين بمكافآت، توزيع الغنائم، رعاية أسر الشهداء من أرامل وأيتام وتوفير حياة كريمة لهم بعيدًا عن الاهتزازات التنظيمية، إحسان الرعاية الطبية للجرحى، تكثيف الجهود للبحث عن المفقودين، الاجتهاد في فك الأسرى بالمال أو بالقتال أو بالخطف ... إلخ.

***

ثالثًا: القدوة وليس العبرة : كن في الطليعة حقق الاتصال الحسي مع الجنود ولا تكسر

قلوبهم بفخامة سيارتك أو جمال أسلحتك ومعداتك، خاصة إذا كان بعض القادة يمثلون قدوة تصل إلى حد الأسطورة عند الجنود.

حينما ينشأ التنظيم يتحتم على القائد أن يقود من الأمام وليس من الخلف فهذه لازالت بعيدة جدًا، عليه أن يبذل من الجهد أكثر منهم فهو أشبه بقائد ميداني عليه أن يقدم القدوة لجنوده حتى يتبعوه، حتى يكون لومه أو مدحه لهم في محله بل يصبح محفزًا فعالًا ومطلوبًا من جنوده حتى تستمر معنوياتهم مرتفعه وهمتهم عالية، من المهم جدًا للقائد سبر أغوار النفس البشرية ليتمكن من إحسان إدارتها على الوجه الأكمل، عليه أيضًا تحريك غريزة المنافسة الحميدة بين جنوده ومساعديه.

كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة، فخرجوا نحو الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ وقد استبرأ الخبر، وهو على فرس لأبي طلحة عُري، وفي عنقه السيف، وهو يقول: «لم تراعوا لم تراعوا] ثم قال: «وجدناه بحرًا] أو قال: «إنه لبحر]. رواه البخاري ومسلم.

الروح المعنوية للقائد مُعدية؛ وأنت كقائد تحدد الإيقاع لا تتركه للجنود، إذا أدرك المساعدون والجنود أن أي تضحية يمكنك عملها فلن يترددوا في التسابق إليها والعكس صحيح، أن تجعل من نفسك مثالًا هو أفضل طريقة لوضع الإيقاع الصحيح للعمل وبناء الروح المعنوية، حين يرى المساعدون والجنود إخلاصك وتكرسك للقضية فإنهم يتغذون من معنوياتك وروحانياتك المرتفعة ومن تضحيتك الذاتية وسيسابقونك لمعاييرك وستجدهم يركضون خلفك، عليك أن تجد الهدف وتوحد إرادة جنودك وتجعلها تنسجم سويا لتحقيقه.

ومما رواه مسلم في صحيحه عن غزوة حنين ... قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ.

تولد المشكلة عندما يتحول القائد إلى صنم، فإن تمكنت منه الغيرة والحسد فهذا بداية الطريق للتسلط [الدكتاتورية]، فيغار من بروز بعض الكوادر والأبطال ويبدء في تهميشهم أو تحويلهم لمستشارين بعيدًا عن أعين الجنود، هنا يكون القائد قد غرس بذور التفكك والانشقاقات وتم تحديد موعد لنهاية التنظيم بعد أن كان طول عمره مأمولًا، فعلى القادة أن يجتهدوا على أنفسهم بالطاعة والتجرد والبطانة الصالحة.

***

رابعًا: إيقاظ الحماسة: والمحافظة عليها والتخطيط لإبقاء جذوتها مشتعله مع التعقل حال الاندفاع للأمام، الخمول والكمون قاتل للحماسة، لذلك لابد من بقاء الجنود في حالة من الحركية والنشاط باتجاه الهدف[25] التالي، الإسلام يخاطب الروح والجسد وإلهابه للمشاعر ليس تلاعبًا ولا تمثيلًا وإنما تحضيرًا للنفس لحثها على بذل الوسع لإنجاز ما تؤمن به، القادة الصادقون فقط هم الذين ينجحون في إحسان آداء فرض التحريض وإلهاب الحماسة {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا {84} سورة النساء.

ولِتحافظ على اشتعال الحماسة لابد من تنمية روح الفريق وتشجيعها وتهيئة مناخ الانتماء لفريق، وسعي الجنود للانضمام إلى كتيبة أو مجموعة لها قدرات خاصة وسجل حافل من البطولات ولها شعار وراية وزي ورموز تجذب الشباب وتشعرهم بالفخر بأن يكونوا من أعضائها.

روح الفريق أيضا تنمو من خلال التدريب الأساسي، فكل وفد جديد لمعسكر التدريب يعتبرون أنفسهم رفاق سلاح ومسيرة من اليوم الأول وإلى أن ينالوا الشهادة أو

[25] بعض الجيوش تستهلك طاقة جنودها بأعمال تافهة ليس المرجو منها شيء اللهم إلا صرف واستهلاك طاقتهم حتى لا تتحول إلى غضب إزاء القيادة الفاشلة.

التمكين، وكلما مضوا سويًا في التدريبات التالية كلما تعمق بداخلهم أنهم فريق واحد متفاهم يعرف قدراته وما يمكنه عمله، وكلما كان التدريب جادًا وقويًا كلما زادت الثقة بينهم ونما شعور الفدائية والتضحية من الفرد للفريق ومن الفريق للفرد إنه الإيمان والمسؤولية، إن رابطة إخوة السلاح من أقوى الروابط.

ويضاعف من الروح المعنوية للجنود حسن وجودة أسلحتهم، فمثلًا امتلاك سلاح مضاد للطائرات يطرد الإحساس بالعجز في مقاومتها ويجعل الجنود يندفعون للأمام بحماسة مطمئنين على تحيد طيران العدو.

يتشكل أي فريق من مجموعة من المؤمنين بقضيتهم، مجموعة حريصة على التضحية في سبيلها، من الممكن جمع هؤلاء في فريق عمل، وقد يشكلون بأنفسهم فريق عمل وهذا كثير في حرب العصابات أن يحدث انسجام بين مجموعة من الأفراد تجمعهم صفات مشتركة، وقد يكونون منضبطين أو فوضويين إلا أن الصفة المهمة هي التزامهم بأداء ما يوكل إليهم من مهام على أكمل وجه، هذه الزمر تُبقي معنويات الجيش مرتفعة وتساهم في خلق ما يمكن تسميته القوات الخاصة، بإيجاز الفريق يمكن تكوينه أو قد ينشأ وحده، المهم إحسان رعايته لإحسان استثمار جهوده.

إن أربعة من الجنود الشجعان لا يعرف بعضهم البعض لا يمكنهم مهاجمة أسد، في حين أن فريقًا من أربعة جنود أقل منهم شجاعة لكن يعرفون بعضهم البعض ويثقون بأنهم يمكنهم الاعتماد على بعضهم فسيهاجمون بإقدام، هذه هي خلاصة[26] علم تنظيم الجيوش.

***

خامسًا: امزج بين الحلم والحزم: كن حليمًا عادلًا حازمًا وأحسن الموازنة بين الثواب

[26] الكولونيل تشارلز أردن دو بيكو.

والعقاب، فكثرة المكافآت لأي سبب تفسد المراد منها، وكثرة العقاب يدمر الروح المعنوية، وحسن الالتزام بالعدالة يمنح المجتمع سلامته والجيش قوته والدولة هيبتها.

المعيار في نظرية الثواب والعقاب هو: اتباع الحق والعدل والإنصاف {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا {58} سورة النساء، وأن تقول للمحسن أحسنت وللمسيئ أسأت {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ {60} سورة الرحمن، الصدق وليس المجاملة [اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد]، تأليف القلوب وليس شراء الذمم {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {63} سورة الأنفال، المداراة وليس المداهنة "المداراة: بذل الدنيا لصالح الدين وعكسها المداهنة"، العقاب وليس الانتقام {مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ {160} سورة الأنعام، فالهدف تعديل السلوك وردع مرتكب الجرم وضمان عدم تكراره وإخافة الغير ووعظهم.

يتساوى الناس في الحقوق لا وجود للمحاباة، يمنح الإيمان والعدل والكفاءة [أصحاب الجدارة] الدور والمهمة وحتى اللقب، روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، وأطلق رسول الله ﷺ على أصحابه ألقابًا وكناهم بصفاتهم الجبلية: أمين الأمة، الصديق، الفاروق، ذي النورين، تاجر الرحمن، أسد الله، سيف الله، الأسد في براثنه، مؤذن الرسول، خطيب الأنصار، سفينة، ذات النطاقين ﵃، وعرف رسول الله ﷺ بالصادق الأمين.

التربية القرآنية تقودنا دائمًا لتقديم الترغيب على الترهيب، فالثواب يأخذ بيد الناس ويشجعهم على الخير، والعقاب ضرورة فبعض الناس يكيفهم رؤية السوط وبعضهم لابد

أن يمس السوط جلدهم، وعلى قائد الجند أن يكون حليمًا حازمًا لا يحابي أحدًا ويقدم ويؤخر الناس على كفاءتهم وبذلهم.

***

سادسًا: قاوم الإشاعات والدعاية المضادة، قاوم الروح المعنوية المتردية، شكل رأيًا عامًا جديدًا.

الإشاعة والدعاية السوداء تغذيها عدم وضوح القيادة وسرية الاتفاقيات وضبابية الكلمات والمواقف، وسوء الاستشهاد بالأدلة من أحداث تاريخية أو معاصرة مشابهة لواقعها، تُقاوم الإشاعة والدعاية السوداء بحسن إيمان القائد وبطانته وشوراه وعدم وقوعهم فيما يغذي الإشاعة مما أسلفنا، كما تقاوم الإشاعة بالحزم مع المرجفين والمثبطين وعزلهم بأسرع وقت وتقديم العناصر الأكثر التزامًا وانضباطًا وحماسةً هؤلاء سيكونون درعا ضد أولئك المرجفين المثبطين.

الكلمات [سواء كانت إشاعة مضادة أو كلمات تحفيزية] أو الكلمات المصحوبة بمواقف من الاستكبار والفخر الأجوف تصيب الجنود من الخارج تلامس عاطفة وربما هوى ولا تلامس إيمانًا، وقف أبو جهل خطيبًا متكبرًا مفتخرًا فقال: [والله لا نرجع حتى نرد بدرًا فنقيم ثلاثًا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدًا].

الكلمات المصحوبة بالمواقف الإيمانية للقيادة والتي تخرج من القلب وبصدق وتواضع تصيب القلوب في الداخل خاصة في أحلك الأوقات يقول علي ﵁: ما كان فينا فارس يوم بدر إلا المقداد ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح، وعند اللقاء خطبهم فكان مما قال: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين».

مقاومة الروح المعنوية المتردية [الإحباط واليأس والعجز]: القائد السيء يصيب كوادره وهيئة أركانه بحالة من الإحباط تخلف خمولًا ويأسًا، فيتولد عندهم موقفًا متضادًا [الثورية والخمول] في نفس الوقت، هنا لا بد من تغيير القائد الذي خلف برنامجه هذه الحالة وما ترتب عليها لاحقًا من هزائم، القائد الجديد لكي يعيد بناء الثقة لكوادره وجنوده عليه أن يتخذ أسلوبًا غير مباشر للوصول لمكامن الطاقة لديهم فيحفزهم بها، عليه أن يعيد تدريبهم ميدانيًا وأن يزيد الاحتكاك بين كافة المستويات متكلمًا عن المعاني الإيجابية التي غابت لفترة والتي تمسك بالمبادئ وتبرز الشهامة والوفاء والمروءة وتحرك الطاقة وتلهب الحماسة، ويتفادى الحديث عن المعاني السلبية التي تلحق الخزي والعار بفاعلها، مجموعات الجند لها شخصية جماعية، وبإحسان توجيهها تزداد صلابتها الإيجابية مع الوقت والعكس صحيح، شدد على الفاعلية والنشاط لأنها تؤدي إلى النجاح؛ والنجاح يرفع الروح المعنوية وهو المطلوب.

كان خالد بن الوليد رضي الله عنه قائدًا ملهمًا موفقًا مبدعًا مجددًا، ومنذ توليه القيادة في معركة مؤتة لم يعرف الفشل إلى ركابه طريقًا، وأصبح يمثل أسطورة عسكرية في نظر جنوده، وشعروا أنهم جزء من إسطورته فصحبوه بإيمان وثقة في توفيق الله له رغم أن خالدًا كان لا ينام ولا يُنيم، كما أنه لم يفسدهم بالدلال أو قرب منه غير الأكفاء، فلقد كان زاهدًا راغبًا فيما عند الله، ولطالما خاطب جنوده بالعزة والمروءة ولم يخاطب جشع النفوس، وحينما يكافئ أو يرقي أحدًا فكانت تُمنح على الجدارة لا على حسابات قبلية أو سياسية، قاد خالد من الأمام وتكسرت في يده السيوف، فأوجد حالة من الإثارة والفدائية بين الجنود فنافسوه في الإقدام، والدارس لمعارك خالد يجدها درسًا في القيادة تتكدس الصفحات ولا تحتويه وتتوه الحروف عجزًا عن التعبير، عجزت النساء أن يلدن مثل خالد، رحم الله أبا بكر قد كان أعلم بالرجال مني، وعلى مثل خالد فلتبك البواكي.

***

الحرب صراع إرادات، سواء أكانت حربًا باردة أم ساخنة، فإنها بين الشعوب وليست بين القوى المسلحة وحسب، والإيمان بالله هو جوهر الروح المعنوية وهو مصدر الإرادة، وهي حالة روحية وإيمانية عقلية ونفسية تثبت الشجاعة والأمل، وتتجسد في روح الفريق وحب الوحدة والتصميم والعزيمة، وتنبعث من الدين والقيادة والانضباط واحترام الذات والإيمان الراسخ بعدالة الدوافع والأسباب، والجانب الذي يحافظ على طاقة القوة المعنوية يمكنه التحرك بنجاح حتى النهاية رغم كل العقبات، أما إذا فُقدت الطاقة المعنوية فإن كل الخطط والإجراءات والإمكانيات تصبح عديمة القيمة.

الروح المعنوية المرتفعة تضاعف من أداء الجيش وتجعل قدرات المجاهد تتفوق على اثنين من خصومه وقد يصل تفوقه إلى عشرة وربما ألف .. قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ {65} الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ {66} سورة الأنفال، وكان بعض فرسان الصحابة يعد بألف رجل في القتال منهم الزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وخارجة بن حذافة وطلحة بن خويلد الأسدي رضي الله عنهم جميعا.

نحن بحاجة إلى المؤمنين حقًا، الذين يقيمون الصلاة، ومن أموالهم ينفقون، الذين يصلحون ما أفسدته الظنون والحوادث، الذين يذكرون الله كثيرًا، وإذا ذكروه وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا، فأحسنوا التوكل على الله، إذا استغاثوا الله استجاب لهم، وبشرهم، وربط على قلوبهم، وثبت أقدامهم، وعلمهم، {.... وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {282} سورة البقرة.

حقيقة الانتماء لله وللدين يثمر وحدة الأمة، الإرتماء خلف الأشخاص أو التنظيمات دون التزام بمرجعية سليمة يفرخ تشتتًا في الصف على مستوى التنظيم الواحد، وعلى مستوى التنظيمات العاملة يحرم من فكرة التوحد المستقبلي، وليس في هذا تزهيد من التنظيمات أو الجماعات ولا يقول بهذا إلا من ليس له حظ في مشروعات التغيير، ولكن المقصود أن الفرد والتنظيم والجماعة يجب أن يكون ولاؤهم وانتماؤهم ومرجعيتهم لله ودينه الذي ارتضاه، قال تعالى {... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ... {3} سورة المائدة، هنا ومن هنا فقط تطمئن النفوس أن المسيرة سليمة صحيحة، وتبقى السنن، وتبقى الأسباب.

وأبشروا عباد الله فقد أخرج أحمد في مسنده عن تميم الداري: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ».

***

ماذا إذا لم نحقق النصر وكانت الأخرى، احذر أن تُغطي عليها أو تنكر أسبابها الرئيسية، لكي تنهض قويًا ابدأ بالعمل على إصلاح الأخطاء، واحرص على ألا تقع في براثنها مرة أخرى، واعمل على نثر بذور النصر القادم من درس التعثر لا من الهروب من مسؤولية الانتكاسة.

حمراء الأسد عنوان لما أرغب في كتابته، وإليكم أحداثها لتستنبطوا منها كيفية النهضة بعد أي خسارة:

فبعد أحداث غزوة أحد، أمر رسول الله ﷺ بلالًا أن ينادي إن رسول الله ﷺ يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس، وقد أثخنتهم الجراح حتى رسول الله ﷺ، فاجتمعوا في حمراء الأسد، وكان رسول الله ﷺ يأمرهم في النهار بجمع الحطب

فإذا أمسوا أمرهم أن يوقدوا النيران، فيوقد كل رجل نارًا، فلقد كانوا تلك الليالي يوقدون خمسمائة نار حتى تُرى من المكان البعيد، فذهب ذكر معسكر المسلمين ونيرانه في كل وجه حتى كان مما كبت الله عدونا.

وكانت قريش أيضًا تجد في نفسها أنها سارعت بالخروج دون أن تحقق شيئًا حتى لحقهم معبد ابن أبي معبد، فوجد أباسفيان وقريشاً بالروحاء، وهم يتلاومون ويقولون: [لا محمدًا أصبتم ولا الكواعب أردفتم فبئس ما صنعتم، فهم مجمعون على الرجوع]، ويقول عكرمة بن أبي جهل: [ما صنعنا شيئًا أصبنا أشرافهم ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم قبل أن يكون لهم وفر]، فلما جاء معبد إلى أبي سفيان قال: «هذا معبد وعنده الخبر، ما وراءك يا معبد؟ قال: تركت محمدًا وأصحابه خلفي يتحرقون عليكم بمثل النيران وقد أجمع معه من تخلف عنه بالأمس من الأوس والخزرج، وتعاهدوا ألا يرجعوا حتى يلحقوكم فيثأروا منكم وغضبوا لقومهم غضبًا شديدًا ولمن أصبتم من أشرافهم. قالوا: ويلك ما تقول؟ قال: والله مانرى أن نرتحل حتى نرى نواصي الخيل». وكان مما رد الله أبا سفيان وأصحابه كلام صفوان بن أمية قبل أن يطلع معبد وهو يقول: [يا قوم لا تفعلوا فإن القوم قد حزنوا وأخشى أن يجمعوا عليكم من تخلف من الخزرج، فارجعوا والدولة لكم فإني لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم]، ومر بأبي سفيان نفر من عبد القيس يريدون المدينة، فقال: [هل مبلغو محمدًا وأصحابه ما أرسلكم به على أن أوقر لكم أباعركم زبيبا غدًا بعكاظ إن أنتم جئتموني؟ قالوا: نعم. قال حيثما لقيتم محمداً وأصحابه فأخبروهم أنا قد أجمعنا الرجعة إليهم].

وهكذا كان حال كل معسكر أحدهما جريح راغب في مطاردة عدوه، والأخر تتنازعه الأفكار وأجمع على الفرار.

وخلد الله سبحانه وتعالى حال الصحابة رضوان الله عليهم بقوله: {الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ

وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ {172} الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ {173} فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ {174} سورة آل عمران، بهذه الروح حشد رسول الله ﷺ أصحابه ورفع لهم معنوياتهم وأعاد لهم ما افتقدوه في أحد، وجاء تعقيب الله جابرًا لكسرهم وبلسمًا لجراحهم فوعدهم بعظم الأجر وبين حسن إيمانهم ومدحهم الله على صنيعهم، فتم إزالة آثار غزوة أحد، وعادت الروح المعنوية، ونُثرت بذور النصر من رحم المعاناة والجراحات.

***

الجزء الثالث:

الحرب الدفاعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحرب الدفاعية

الدفاع والهجوم وجهان لعملة واحدة هي الحرب .. والحرب والسياسة وجهان لعملة واحدة هي التغيير .. القبطان الخبير يعرف كيف يستفيد من ظاهرة المد والجزر للإبحار أو الإرساء .. الهجوم والدفاع أشبه بحركة المد والجزر وكلاهما يؤتي ثمرته إذا استخدم في الزمان والمكان المناسب .. القائد الماهر وهيئة أركانه يعرفون متى يتوجب عليهم الإقدام أو الإحجام لتحصيل الثمرة .. والإقدام أو الإحجام في المناورات السياسية يؤتي ثماره إذا استخدمنا أيًا منهما في الوقت الصحيح .. والدعوة والجهاد كلاهما يأتي بثمرته إذا استُخدما بالقدر المناسب وفي المكان المناسب والزمان المناسب.

الحرب الدفاعية:

الدفاع هو الشكل الأكثر حكمة وحلمًا في الحرب، استراتيجية المعارك الثلاث الأولى للمسلمين [بدر وأحد والخندق] كانت استراتيجية دفاعية، وقد خضعت بشكل عبقري لمبادئ الحرب والدفاع في ذلك الزمان: الاستطلاع الجيد لميدان المعركة، احتلال الأرض الحاكمة وذات الموارد الحيوية، الشؤون الإدارية الخفيفة مع قصر خطوط الإمداد، الأمن والسرية، المفاجأة، الخداع، الروح المعنوية.

يرتب الدفاع في الحرب النظامية وفق مبادئ وأسس عسكرية، في المعركة الدفاعية يترك للعدو القيام بالخطوة الأولى، ثم يتولى المدافع تحطيم قواته وامتصاص زخم هجومه في عمق الدفاعات، وحينما تطول أو تقطع خطوط إمداده وتنهك قواته وتنهار معنوياته عندها يقوم المدافع بالهجوم المضاد، هذه الكلمات البسيطة تعني امتلاك المبادأة والتحول من الدفاع للهجوم [الآن نغزوهم ولا يغزونا].

حرب العصابات في انطلاقتها تتبنى استراتيجية دفاعية [فالعصابات موجودة وغير

مرئية]، تظهر لتضرب ولا تقف لتلقي الضربات، تختار ميدان وزمن المعركة ولا تستدرج لها، تمارس عمليات الإغارة والكمائن والتسلل فتقتل وتدمر وتخطف وتغنم، وتنسحب إلى اللامكان[27] برشاقة واحترافية، ومطاردها يتوه في تقفي أثرها في اللامكان، وهي تكمن له في منعطفاته وأوديته تتخطفه وتغنم وتحيل طاقة هجومه إلى فشل وإحباط ورعب، وتعيده مهزومًا مقهورًا يائسًا فاقدًا الرغبة والإرادة في العودة إليها.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: [الحرب لا يصلح لها إلا الرجل المكيث].

***

مبادئ الحرب:

هي حقائق أساسية تؤثر على كيفية تنفيذ الحرب وهي عبارة عن مجموعة من الآراء المنطقية المعقولة التي نتجت من تجارب عديدة ومن خلال الحرب.

[1] الغاية [انتخاب وإدامة القصد]:

تحديد الغاية من القتال هو المبدأ الأهم، فلا معنى لبقية المبادئ الأخرى إن لم يكن للصراع هدف محدد ومستدام، وهدف القتال في الإسلام ملخص في قوله تعالى {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ {193} سورة البقرة، {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {39} سورة الأنفال، والغاية ذات بعد سياسي وهو إقامة الدين، والحرب نوع من السياسة ولكن بوسائل عنيفة.

[2] المبادأة [الآن نغزوهم ولا يغزونا]:

---

[27] وحدات العصابات تظل متحركة في منطقة كبيرة دون أن تتخذ لها مكانًا ثابتًا تأوي إليه، من هنا كتبت مصطلح اللامكان للدلالة على حركيتها.

الدفاع يهيئ الظروف المناسبة لإحراز المبادأة، الهجوم هو وسيلة لتحقيق المبادأة وحرية العمل، والقيادة السياسية تعمل على إحراز المبادأة بوسائل دعوية وتقنية ونفسية بدرجة تكافئ في أهميتها وتأثيرها الهجوم المادي للقوات العسكرية.

[3] المرونة:

هي المقدرة على تبني خطط وإحداث التغيرات المناسبة فيها لمواجهة التطورات المحتم حدوثها في الغايات السياسية، وهي توفر حلولًا تبادلية لمختلف المشاكل والمواقف الطارئة في الميدان.

[4] الحشد:

هو دفع القوة اللازمة والمتوازنة المادية والمعنوية في المكان الحرج والوقت المناسب لتحقيق مصالح وأهداف الأمة، التفوق الكمي أو النوعي ليس شرطًا حتميًا لإحراز النجاح طالما أمكن تحقيق تفوق أخطر على العدائيات الرئيسية الأكثر خطورة.

[5] الاقتصاد في القوى:

الموارد المعنوية والمادية المتاحة ليست دائمة، لذلك فالحشد من النقاط الهامة التي تتطلب الاقتصاد في استخدام الموارد المتاحة، وأندر عناصرنا هو المقاتل العقائدي فلا يستهان بدمه خاصة وقد انتشرت العمليات الاستشهادية التي تحتاج إلى ترشيد، ولا بد من دراسة جدوى تحويلها من سلاح استراتيجي إلى سلاح تكتيكي!!.

[6] المناورة:

إن مصطلح المناورة يعني تحقيق الانسجام بين ثلاثة عناصر النار والحركة والأرض، حركة المناورة المخفية والمطبقة بشكل سليم تسهم مباشرة في تحقيق المفاجأة واستثمار النجاحات وتقليل التعرض.

[7] المفاجأة:

استخدام غير تقليدي أو معتاد للقوات لإفقاد العدو توازنه وإرباكه، وتتعلق بالمكان والوقت والتكتيك والسلاح، واقترانها بالسرية والخداع والجرأة يمكنها أن تغير توازن القوى بشكل حاسم، وتمهد لانتصارات أضخم بكثير من قدرة القوة المتاحة.

[8] الاستثمار "استغلال النجاح":

إن مبدأ الاستثمار يزيد القوة الدافعة، ويتيح توسيع وتعزيز المكاسب والإخلال باتزان العدو وإجباره على الدفاع.

[9] الأمن:

الأمن يحافظ على القوات، ويمنع العدو من معرفة نوايانا ويقلل من فرص تدخله، والأمن وقت الصراع هو الذي يوفر الحماية للأهداف الحيوية وللشعب ولمؤسسات وموارد الأمة وللقوات المسلحة من كل الأخطار والمفاجآت الخارجية والداخلية في السلم والحرب.

[10] البساطة:

تعني الوضوح وعدم التعقيد أو الضبابية، الأوامر المحددة الواضحة تقلل من الاضطراب وسوء التقدير، فمن السهل تنفيذ خطة بسيطة بدلا من تنفيذ خطة معقدة، والخطط البسيطة عادة مرنة ويسهل السيطرة عليها.

[11] توحيد القيادة:

بمعنى أن الاستفادة القصوى من القوة الفعلية للقتال تتطلب توحيد الجهد تحت سيطرة قائد واحد بهدف إيجاد التماسك والتلاحم بين الغاية والجهد والسيطرة، وتوجيه كل طاقات ومصادر القوى المادية والعقلية تجاه الغاية المنشودة بفضل قوة السلطة

والسيطرة المُحكمة.

[12] الشئون الإدارية:

هي التي تضمن ضخ الدماء في شرايين المعركة حتى تضع الحرب أوزارها، وتمكن القطاعات الميدانية من تحقيق هدفها خلال العمليات [الاتصالات والمواصلات والإمداد والإخلاء ... إلخ].

[13] التعاون:

المعركة اليوم أصبحت معركة أسلحة مشتركة [القوات البرية والبحرية والجوية والدفاع الجوي] فلابد من المزج بين القوى القائمة لإخراج عمل عسكري سليم، ويجب تنسيق التوقيتات وتنظيم التعاون مع المجاورين وقوات الإسناد الأرضي والجوي والبحري تفاديا للأخطاء.

[14] الروح المعنوية:

الروح المعنوية هي مصدر الإرادة القتالية وتتجسد في روح الفريق وحب الوحدة والتصميم والعزيمة، وتنبعث من القيادة والانضباط واحترام الذات والإيمان الراسخ بعدالة الدوافع والأسباب، أهم عناصر تؤثر في إدامة المعنويات: الإيمان بالله عز وجل والرضا بالقضاء والقدر، المنهج الرباني الذي تساس به الأمة، الثقة في القادة على اختلاف مستوياتهم، الثقة في كفاءة التدريب واستخدام السلاح مع الجماعة، إن كمال الإيمانيات والروح الدينية هما المحرك الرئيسي للعمل في الميدان.

***

مبادئ الدفاع :[28]

---

28 معلومات عسكرية - قلامي الغيلي - بتصرف.

1- التعامل مع الأرض[29]:

ذات الأهمية التعبوية [وتعرف بالأرض الحيوية] وهي التي إذا ما احتلها المهاجم أصبح المدافع في وضع لا يتمكن فيه من خوض معركة دفاعية ناجحة في منطقة مسؤوليته ويجب إعادة احتلالها، فلا بد من احتلال النقاط الحاكمة والتموضع فيها، وجعل الأماكن الدفاعية الرئيسية مرتكزة عليها مستفيدة من الأودية والمنخفضات لضربها بالنيران وضرب الفروع المؤدية إليها، إن الأرض تمنح المدافع الأفضلية أو تحرمه منها؛ ولذا وجب الاهتمام بدراسة الأرض من كل المصادر المتاحة: الخرائط بأنواعها المختلفة ومن الطبيعة ومن أهلها المتمرسين فيها، وقديمًا قيل: قتل أرضًا عالمها وقتلت أرضٌ جاهلها.

2- التنظيم بالعمق [العمق الدفاعي]:

أثبتت الأحداث والمعارك التاريخية فشل التنظيم الدفاعي الخطي، لأن خرق هذا الخط من جهة محددة أو الالتفاف عليه من محور معين، يعني انهيار كل ما وراء هذا الخط [خط "ماجينو" الفرنسي – خط "سكفريد" الألماني – خط "بارليف" اليهودي]، لذلك اعتمد أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية على النظام الدفاعي بالعمق.

3- المساندة المتبادلة:

إن التنظيم في العمق يفرض شروطًا دقيقة في كثير من الأحيان، إذ أن العمل يكون على عدة جبهات جانبية وأمامية وخلفية، لذلك يجب تحديد قطاع عمل كل فصيل، وهذا الفصيل يساند الفصيل المجاور عند الضرورة، في حال احتلت أو قصفت أو في حال تعرضها لهجوم قوي والعكس صحيح، إذ أن مبدأ التساند يجعل الفصائل كخلايا الجسم يعطي بعضها بعضًا أسباب الاستمرار.

[29] الأرض في حرب العصابات يجب أن توفر الصمود والازدهار.

4- المدافعة في جميع الاتجاهات [الدفاع الدائري]:

يصمم الدفاع مبدئيًا لصد هجمات العدو على أكثر طرق اقترابه احتمالًا، إلا أنه يجب اعتبار إمكانية قيام العدو بهجوم من اتجاه غير متوقع مما يلزم القائد أن يخطط دفاعه لجميع الجهات كما تملي عليه الأرض. بعض الوحدات التي تعمل كجزر مكتفية ذاتيًا يجب أن تؤمن قتالًا دائريًا حول نفسها حتى لا يفاجأ المدافعون من أي جهة غير متوقعة.

5- الحيطة والأمن:

الحيطة هي الإجراءات التي تمنع العدو من استطلاع مواقعنا عن طريق: التمويه والاختفاء والتحصين، هذا من جانب سلبي، أما من الجانب الإيجابي [الأمن] فإن قائد الموقع يتحتم عليه أن يرسل دوريات استطلاع للمحاور الأرضية، ويركز في الأمام دوريات ثابتة [كمائن] تسمى بعناصر الإنذار المبكر، هذا بالإضافة إلى جهاز التوعية الذي يشرف على تثقيف القادة والجنود في الجوانب الأمنية.

6- الانتشار:

انتشار القوات والمواقع الدفاعية محكوم بشرط أن لا يؤثر هذا الانتشار على قوة المدافعين، بل يزيد من مرونتهم وصلابتهم أثناء القتال، ومن الضروري تجهيز خنادق وخطوط المواصلات التي من خلالها يصلون نقطة بأخرى، إن الانتشار السليم والتحصن القوي والارتباط الوثيق لهذه المواقع يزيد من فعالية نيراننا ويقلل من فعالية نيران العدو.

7- الوقت:

الوقت مؤثر في إعداد الدفاعات وبقدر توفره يختار بين الدفاع المجهز أو الدفاع على عجل، وتظهر أهمية استغلال الوقت في عملية تصاعد هجمات العدو الذي سيرافقها تصاعد في أساليب دفاعات وحداتنا الصديقة .

8- المرونة:

يعني هذا المبدأ الاستجابة لكل المتغيرات المفروضة في أرض المعركة، ويظهر أثرها في عمليات تدمير العدو على الخطوط الدفاعية والانتقال من موضع لآخر إلى وقت انطلاق للهجوم المضاد، وتتلخص هذه الاستجابة بفاعلية عناصر الاحتياط لصد موجات الهجوم وإراحة المقاتلين المنهكين مع الحفاظ على خطوط المواصلات الداخلية والخارجية الأساسية والرديفة حتى يبقى الإتصال جاريًا بكل مبادئه.

9- الضراوة:

كلمة تقف بالمقياس ما بين المناورة والاستماتة، وتعني عمليًا استنفاد جميع الوسائل القتالية، من معركة ثابتة إلى دفاع مرن إلى هجوم مضاد إلى انحياز جزئي [خالد بن الوليد ﷺ في معركة مؤتة]، ويجب الابتعاد كليًا عن البقاء في مكان واحد؛ عندما يكون هذا المكان ثمنه الاستماتة في الموقع، أي أن الضرواة مخالفة للدفاع المستميت.

10- تنظيم النيران:

تعني هذه الكلمة: التخطيط المدروس لكل شبكات النيران في المعركة، بغية التنسيق الفعال بين الوحدات الداخلية والخارجية الصديقة، وضرب كل الزوايا الميتة والمنبسطة أو المنفرجة ضمن خطة متكاملة يراعى فيها الدقة والعنف والإيقاع والاستمرارية مع مراعاة لمبادئ النيران.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

التدبير لا التبذير ولا التقطير

8- استراتيجية الاقتصاد في القوى

الاقتصاد لا يعني الشح أو التبذير فكلاهما قد يكون سببا في الإخفاق .. الاقتصاد هو الإحسان في إدارة الموارد والإمكانات .. ليس ما تملكه هو الذي يحقق لك النصر بل كيف تستعمله .. الوفرة والثراء يفقدان الإحساس بالحدود .. المجاهدون معنيون بالواقع وحدوده .. حين تملك أقل فستتعلم كيف تحسن استعماله وعندها يصبح الزمن حليفك.

{وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا {29}

سورة الإسراء

أن تحلم بما تريده ثم تحاول العثور على الوسائل لتحقيقه هي وصفة جاهزة للإنهاك والهدر والهزيمة .. السعي المبكر لامتلاك ما هو عند العدو يحولك لنسخة أضعف وستفقد روح الابتكار .. ابتكر وامتلك من الفكر والوسائل ما يفقد قوة العدو زخمها ويحيدها في الصراع .. فكر فيما لديك واستعمله بمهارة.

***

الاقتصاد في القوة أحد أهم مبادئ الحرب .. والتاريخ مليئ بالعبر لقادة بارعين في الحرب، ورغم انتصارهم في كل المعارك إلا أنهم خسروا الحرب لعدم مراعاتهم لهذا المبدأ واضطروا إلى التوقف والانسحاب، هذه الانتصارات التي بطعم الهزيمة أو الموازية للهزيمة يطلق عليها [نصر بيروسي]، فرغم أن الملك بيروس انتصر في معاركه على الرومان إلا أن تكلفة هذه المعارك كانت كارثية، فالقوات التي انتصرت لم تعد كافية ماديًا ومعنويًا لشن حملة تحسم بها نتائج الحرب مما اضطرها لإنهاء الحملة، وأهم عناصر التكاليف كان في أعداد القادة أصحاب الخبرة والتجربة الذين قتلوا في الحرب، هذه تكلفة لا يمكن تعويضها

في الحال.

***

قبل وأثناء سير المعارك هناك إشارات ترشد وتنبئ بما هو ممكن أو ما هو متوقع، تقارير وحدات الاستطلاع والمخابرات عن قوة العدو أو فساد الحلفاء فيها إرشاد لاستغراق وقت أطول في الإعداد للمعركة أو لتأجيلها وحتى إلغائها واستغلال القوة المتاحة لتهيئة أجواء التفاوض لتحقيق تسوية مناسبة، وفي الحرب حساب التكاليف من أهم تلك الإشارات التي يجب أن تلهمك متى تستمر ومتى تقف، عندها يمكنك توفير مواردك ومعداتك وتحافظ على الخبرات والأرواح.

القائد الذي لا يتمكن من ضبط نفسه وكبح جماحها وينساق وراء حظها، وينصت لتزيين الحلفاء، ويستدرجه إغراء الهدف والمكاسب المحتملة، ويرى ما يريد رؤيته، ويتعامى عن المصاعب والخسائر المحتملة أو يظن وجود إمكانية لتعويضها، وكلما مضى في أوهام اليقظة أبعد متجاهلًا الحسابات والتكاليف كلما توغل في منحدر الخسائر وارتكب المزيد من الأخطاء؛ التي تقود لمعضلات جديدة تتسبب بتكاليف جديدة لم تكن في الحسابان.

أضف لذلك هناك حسابات غير منظورة وأخرى غير ملموسة ولكنها باهظة الكلفة، منها تهديد الاستقرار الاجتماعي للحاضنة أو الشعب، فقد الرصيد السياسي الطيب، ضياع الوقت والذي كان يمكن استثماره لتحقيق أهداف استراتيجية أكبر وأعمق، استهلاك وهدر الموارد بلا فائدة ترجى أو تعويض مناسب، الحالة النفسية للأمة التي راهنت على قدراتك، رغبة الثأر لدى الكثيرين الذين تجاهلتهم أو قمت باستغلالهم وخذلتهم وحتى أولئك الذين خسروا في المعركة، التاريخ والناس لا يرحمون من يتجاهل التكاليف.

أي نصر يتحقق بتكلفة عالية في الأرواح والمعدات والموارد لا معنى له، قم بحساباتك

اليوم كاملة وأحسن التحضير لتقاتل في يوم آخر.

***

ستظل قائمة الأعداء واضحة في عين القيادة التي تبصر أيضا الأعداء الذين يتخفون في لباس الحلفاء والأصدقاء، أي كيان أو شخص لديه ثلاث قوائم أساسية: قائمة الأصدقاء والموالين، قائمة المحايدين المتربصين، قائمة الأعداء الألداء، والحكيم من يراقب حركة القوائم ليزيد من عدد الأصدقاء ويقلل من عدد خصومه، ويدرك أن الانتقال داخل القوائم من أعلاها لأدناها أو الانتقال من قائمة لأخرى يعتمد بالدرجة الأولى على قدراتنا الذهنية والنفسية لإدارة الصراع، فنحن لا ننزلق لأي صراع ما أن تُدق طبوله، فهناك مسيرة طويلة يجب أن نخطوها قبل أن ننخرط في الحرب، وعندما يتوجب علينا خوض الحرب فلا بد أن يتم ذلك وفق شروطنا.

***

الوقت هو العنصر الأكثر أهمية والذي بحسن استثماره يمكننا من بناء أنفسنا في مقابل زيادة عناصر التفتت في منظومة العدو، دراسة العدو وإدراك نقاط ضعفه المخفية وراء قوته العاتية عنصر لا يقل أهمية عن الوقت، ففي ضوء ذلك يمكننا من بناء استراتيجية ناجحة لإدارة الصراع، فالنصر في الحرب يتحقق بمحصلة القوتين الخشنة والناعمة.

الاستخبارات الفعالة عنصر آخر في طريق النصر، والسعي من خلالها لمعرفة نوايا العدو لا يقل أهمية عن معرفة عناصر قوته وضعفه الظاهرة، مع دفع العناصر الذكية "الدهاة" إلى المناورة النفسية عالية السرية لتخذيل الأعداء وغرس بذور الشك بينهم وتهيئة مناخ من انعدام الثقة لفك تحالفهم [نعيم بن مسعود نموذجًا].

العمليات النوعية السرية لضرب مفاصل العدو لتعميق نقاط ضعفه، ولإثارة كبرياء الخصم، هذه العمليات تزيد من حدة تفاعل عملية التفتت الداخلي لمنظومة العدو.

بناء القوات العسكرية المناسبة لخوض الحرب؛ لا علاقة له بالحجم والضخامة، وإنما بالحركية والقدرة على المناورة في ميادين الحرب المختلفة، لنتخيل صورة نبي الله "داوود" عليه السلام وهو يواجه بالمقلاع العملاق المدجج بالسلاح "جالوت" ويصرعه به {وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ}.

الحرب الإعلامية لخلق اضطراب في مناخ الرأي العام الداخلي لجماهير العدو تتسبب في أزمات داخلية [من المعارضة السلبية إلى الثورة الحقيقية] مما يدفع العدو لتوجيه جهوده للسيطرة الداخلية فينشغل بها عنا، أو خلق مناخ ضاغط لإيقاف الحرب [الجنرال جياب فيتنام] مما يمنحنا مزيدًا من الوقت، أو دفع الإعلام لاستعراض عدالة قضيتنا وصدقها ونبلها وأنها لخير البشرية جمعاء بلا تمييز، ولبيان تعدي وظلم الأعداء وفسادهم وجشعهم لإشباع شهواتهم المادية التي تدمر البشرية جمعاء.

المبادرة إلى المناورات الاقتصادية لفك تحالف الأعداء أو تحييد بعضهم [مقترح عرض ثلث الثمار على غطفان خلال أجواء غزوة الأحزاب]، الضربات "العسكرية الاقتصادية" للبنية المالية الهشة لأي عدو تستهلكه وتستنزفه وتنتف ريش زهوه ريشة ريشة.

المعارك العسكرية والضغوط الاقتصادية والحيل النفسية والقلاقل الاجتماعية والاضطرابات الأمنية والهجوم الإعلامي هي أدوات بيد القيادة السياسية تديرها وتناور بها وفق الاستراتيجية "الخطة العليا" التي تعمل على تحقيق الهدف العام للصراع وفق مراحل متتالية، من المهم أن نفقه المرحلة التي نمر بها لنحقق أهدافا متتالية تشكل مرتكزًا لبعضها البعض لبلوغ الهدف العام، ففي مرحلة الضعف نهدف لتحقيق توازن استراتيجي واقعي مع العدو، وفي مرحلة التوازن نهدف لتحقيق تفوق استراتيجي على العدو، وفي مرحلة الحسم نعمل للقضاء على إرادة العدو القتالية، وهذه المراحل طال وقتها أو قصر مرتبطة عضويًا بالصراع أيًا كانت استراتيجيته أو وسائطه.

الاقتصاد في القوة يعني ترشيد الصراع وذلك بدفع القوة المناسبة بخطة مناسبة لتحقيق هدف محدد، فلا يستخدم السيف في موضع العصا، فإذا أحسنا إدارة الصراع وترشيده من خلال التزامنا بالشروط السابقة؛ فإن كثيرًا من الأعداء بمرور الزمان يفضلون الانتقال إلى قائمة الحياد، وبمزيد من الوقت ينتقلون منها إلى قائمة الأصدقاء، علينا الاهتمام بالوقت لفسح المجال أمام المناورات السياسية وأدواتها لضخ مزيد من القوة الناعمة واستعراض القوة الخشنة سواء دارت رحى الحرب أو لم تدور.

***

إن البدهية العسكرية «هاجم نقاط ضعف العدو بنقاط قوتك» إذا اعتمدنا مبدأ الاقتصاد في القوة؛ تدعونا: لزيادة تكاليف الحرب على العدو، كما تدعونا للعمل على إبقاء كلفة الحرب علينا منخفضة من خلال تبني استراتيجية واعية وواقعية يمكن تطبيقها، لا توجد قوة في العالم ليس لها نقاط ضعف غير محمية أو غير متطورة، حتى ضخامة القوة وتكاليفها العالية يمكن أن تتحول إلى نقطة ضعف تهزمه [الاتحاد السوفيتي].

المطلوب أولًا: تحديد نقاط الضعف لدى العدو والعمل عليها؛ ومنها: عدم الاستقرار السياسي الداخلي، التفكك الاجتماعي والانحراف الأخلاقي، التعددية العرقية والنزاعات بينها، الموارد الاقتصادية الضعيفة، جنون العظمة عند قائده، تحييد داعميه الاقتصاديين، أو ضرب المرتكزات التي تدعم اقتصاده، مثلًا: ضرب طريق الحرير البحري للبضائع التجارية وللنفط لحرمانه من ثمرة عمليات النهب التي تدعم اقتصاده [الولايات المتحدة الأمريكية].

والمطلوب ثانيًا: إبقاء نقاط ضعفك الخاصة خارج المعركة، وتحفظ قوتك على المدى الطويل.

حين نكشف نقاط ضعف أعدائنا ونستهدفها ستمثل ضربة كبيرة تحط من معنوياته،

وترهقه، وساعتها ستنكشف لديهم نقاط ضعف جديدة لا بد من استثمارها، وهكذا.

***

يمكن فهم مبدأ الاقتصاد بالقوة من خلال عقد مقارنة بين نفسية المجتمعات البشرية الفقيرة وأسلوب إدارتهم لما لديهم، وبين نفسية المجتمعات البشرية الغنية وأسلوب إدارتهم لما لديهم، الإحساس بالحاجة وإدراك الواقع والحدود يدفعنا لحسن استثمارها، فَقْد هذا الإحساس يدفعنا للحياة داخل أحلام اليقظة حيث لا واقع ولا حدود، الحالمون بالسيطرة [بن زايد وبن سلمان] يتوهون في أوهام يقظة، وينفقون مدخرات الأمة على أعدائها لتحقيق أوهامهم وسيفيقون منها حين يُستبدلون إن شاء الله ولا مستقبل لهما.

المجاهدون المتفاعلون مع الواقع [باليمن والصومال] عليهم ألا يتركوا الانهيار القادم لأُسر الخليج يسقط بيد عدو الله والأمة الحلف اليهودي الأمريكي، وعلى المجاهدين أن يحضروا أنفسهم ويجتهدوا للسيطرة واستثمار الفرصة.

علينا أن نركز على ما هو بين أيدينا وأن نحسن إدارته، متى نظهر ومتى نختفي، متى نكثف الضربات ومتى نقتصد فيها، التحرر من النظر تحت أقدامنا لنبصر إلى حدود الأفق وندرك ما وراءه.

التعلق بالإنفاق لتوفير إمكانات تشابه إمكانات العدو تستنزفنا وتستهلكنا، وتحولنا إلى نسخة مصغرة منه تلعب في ميدنه ووفق تكتيكاته، تذكر أن ما لديك من إمكانات محدود وهذا الإنفاق يسبب هدر الموارد كما يؤدي إلى انتكاسات لا تنتهي [الشام].

الاستفادة مما هو بين أيدينا وفق استراتيجية وتكتيكات تناسبنا تحول ضعفنا إلى قوة مهما طال وقت الصراع [الصومال].

حينما يملك العدو التفوق الجوي؛ علينا أن نمتلك التفوق الأرضي من خلال هجمات

نوعية تحط من معنويات العدو وتخلق رأيًا عامًا مناصرًا لإيقاف الحرب [فيتنام].

***

الاستراتيجية هي موازنة بين الوسائل والأهداف، لابد أن نضع في اعتبارنا المعطيات لنا ولجيش العدو، النسبة بين الجيشين إذا كنا نخوض حرب نظامية، الانسجام بين قوتنا والأرض التي سنحارب عليها، استعمال الخداع من خلال جمع المعلومات المخابراتية والتفنن في الدعاية، الروح المعنوية لجنودنا، استثمار الطقس، الامتيازات السياسية المتوفرة، كل هذه العوامل لا تضع أساسًا للخطة فقط بل تحدد النتائج التي يجب تحقيقها من المعركة.

ما يجعلنا ننتصر في الصراع ليس تراكم القوة العسكرية، ولكن:

أولًا: إيماننا بالله والتزامنا بشريعته وروحانيتها وإحسان التوكل عليه سبحانه {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}.

ثانيًا: المنهج الإسلامي [السليم من الانحراف والتمييع]، ونموذجه البشري الذي يقود الصراع بإنسانية ورقي؛ والمطروح كبديل للمنهج الاستغلالي السائد ونموذجه البشري الشاذ.

ثالثًا: اجتهادنا في عالم الأسباب بالسعي لتحصيل أسباب القوة حسب الاستطاعة {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ}.

رابعًا: فهمنا لعدونا واستثمار نقاط ضعفه وحسن إدارة الصراع باقتصاد لتعميقها وتحضيره للانهيار.

خامسًا: لتحقيق التمكين لابد من إقامة الدين في الأرض الجديدة، ولن يكتمل النصر إلا بحسن إدارة الأرض الجديدة، وهذه المرحلة تستدعي البيان لا السنان، ومن الاقتصاد

في القوة في هذه المرحلة: استدعاء القوة الناعمة لتعمل في ميدانها، وتبقى القوة الخشنة في مكمنها لحراسة مسيرة القوة الناعمة، قال الحق سبحانه وتعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ {125} وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ {126} وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ {127} إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ {128} سورة النحل.

الانتصار في ميدان المعركة شيء، والانتصار في إدارة ما بعد النصر العسكري أمر آخر، لأن للصراع ميادين آخرى؛ ربما ليست دموية لكنها لا تقل شراسة عنها، إنها معركة القوى الناعمة، وحجر الأساس فيها هو الدعوة، التي تسير على درب العدالة، وترفع حسن الخلق راية لها.

أحمد الهادي إلى سبل الهدى *** كم بدا منه لأهل الأرض نصح
هاشمي قرشي طاهر حسن *** الأخلاق زكي الأصل سمح
جاء بالدين الحنيفي وقد طبق *** الأرض من الإشراك جنح
فأرى الناس الهدى بعد الردى *** فإذا الحق تجلى منه صبح
فانجلى الشرك وولى دبره *** وعلت للدين آطام وصرح

***

بسم الله الرحمن الرحيم

العمق الدفاعي وقوات الاحتياط

9- استراتيجية الهجوم المضاد

"الحرب لا يصلح لها إلا الرجل المكيث" عمر بن الخطاب ﷺ.

قمة المهارة في الدفاع حينما نتحول للهجوم المضاد بسرعة وبزخم محسوب دون أن نترك مجال للعدو ليلتقط أنفاسه ليعيد تنظيم قواته .. القائد العبقري هو الذي ينتظر بصبر وبرودة أعصاب وإرادة فولاذية [نقطة الانقلاب] التي تتبادل فيها كفتا الميزان الارتفاع .. ننطلق من الدفاع إلى الهجوم المضاد مدمرين قوات العدو ومسببين له حالة من الارتباك والانهيار.

ولطالما كان خالد بن الوليد ﷺ بارعا في اكتشاف نقطة الانقلاب.

عباقرة الحرب هم الذين يجيدون المزج بين الدفاع والهجوم والتنقل بينهما لسحب أو إغراء العدو ليندفع إلى الموضع المناسب للهجوم المضاد للقضاء عليه .. التحول من الهجوم إلى الدفاع ومنه مرة أخرى للهجوم عملية غاية في الدقة والحساسية .. الهجوم المضاد يعتمد على وجود قوات احتياط لديها قدرات حركية عالية.

***

الهجوم المضاد هو أحد ركائز الخطة الدفاعية، والهدف منه هو منع قوات العدو من أن تستغل النجاح الذي حققته في اختراق موقع دفاعي لتجعله نجاحًا حاسمًا، ويسهل تحقيق هذا الهدف حينما يصبح العدو مشتبكًا وعالقًا في الشبكة الدفاعية، ولا يتم دفع قوات الاحتياط للهجوم المضاد إلا بعد التأكد من أن الخرق ناتج عن هجوم حقيقي، لأن الهجوم المضاد آخر ورقة تحتفظ بها القوات في المعركة الدفاعية.

يشن الهجوم المضاد بواسطة الأنساق الثانية بدفع احتياطي الأسلحة المشتركة بهدف إعادة الوضع الدفاعي إلى ما كان عليه أو الانتقال إلى الهجوم المضاد العام إن كانت الفرصة سانحة وأسباب نجاحها قائمة.

تعتمد الخطة الدفاعية والهجوم المضاد على وجود عمق دفاعي وشبكة من الخطوط التي تعمل على امتصاص زخم الهجوم وتشل حركية العدو، وهذا بلا شك يحتاج لعنصر الوقت لإحسان بنائه، ولا بد من منحه للقوات للتحضير الجيد للمعركة.

***

من عناصر نجاح المعركة الدفاعية المتعلقة بالهجوم المضاد:

* تعتمد الخطة الدفاعية لتنفيذ هجوم مضاد فعال على معلومات استطلاع ميدانية دقيقة، وكذلك معلومات استخباراتية للتأكد من نية العدو بالهجوم [كورسك 1943]، أو من خلال خطة خداع يتم فيها تسريب معلومات للعدو تغريه بالهجوم، لابد من دراسة العدو ومعرفة قدراته **وأسلوب قادته ونفسياتهم**، كذلك لابد من جاهزية قوات الاحتياط وحسن تدريبها والمحافظة على الروح التعرضية لها بعيدًا عن روح الخنادق.

* الاختيار السليم للأرض التي توفر الحماية لقواتنا وتصعب مهام قوات العدو وتعيق تقدمه وتحصره في قطاع يحقق التفوق للقوات المنفذة للهجوم المضاد ويسهل القضاء عليه.

* تنسيق التعاون وتوزيع الجهد بين الأسلحة المشتركة في الدفاع والهجوم المضاد لتحقق:

- توفير إسناد ناري قوي ومحبط على قوات العدو المهاجمة.
- استهداف قوات الاحتياط لدى العدو لحرمانها من المشاركة في المعركة.
- القيام بإجراءات التأمين لقوات الهجوم المضاد.

* من أهم بنود الأمن في المعركة الدفاعية إعداد خطة تخفي وتمويه غاية في السرية لأمرين:

الأول: إخفاء نية القوات المدافعة بالترتيب لهجوم مضاد.

الثاني: إخفاء قوات الهجوم المضاد عن عيون جواسيس العدو.

* يجب أن يتم اتخاذ قرار تنفيذ الهجوم المضاد في الوقت المناسب بحيث تكون قوات العدو أنهكت في الشبكة الدفاعية، ووجود قواتنا للهجوم المضاد في الأماكن المناسبة على أجناب ومؤخرة العدو.

***

الهجوم فاضح؛ فالذي يبادر للحركة أولًا يفتح الباب لتوقع حركاته التالية، وما قد يكون خبأه كمفاجأة يصبح محتملًا في عقل القيادة المدافعة، وبالنجاح في صد الضربة الأولى يصبح المهاجم في غاية الضعف، وهذا يسهل مهمة الإعداد للهجوم المضاد، سواء كان هجوم العدو حقيقيًا على الأرض أو محتملًا فالخطة الدفاعية الجيدة تعالج فيها كافة السيناريوهات.

العقل السياسي والعسكري المتزن والحليم يتمتع بمرونة مع عمق في فهم العمليات العسكرية ويسخرها لتحقيق النصر في المعركة، فهو قد يمارس سلسلة من العمليات متنقلًا من الدفاع للهجوم للانسحاب للدفاع ثم العودة للهجوم ببراعة وقوة وثبات جنان ورباطة جأش، مع مصاحبته وانسجامه مع سلسلة من القيادات الأصغر التي تمتلك الخبرة والتجربة، وجنود تم إعدادهم لتنفيذ المهام المختلفة في أوقات متقاربة.

وعلى مستوى أعلى من المعركة الميدانية نرى نضجه وبراعته في تحديده لنظرية الحرب المناسبة لطبيعة الصراع، فقد يختار العمل بنظرية العصابات ويسير في مراحلها بقوة في مناطق وقد يستخدم في مناطق أخرى **مبادئ** الحرب النظامية، وقدراته النفسية

والذهنية تجعله يتمتع بمرونة كافية للانتقال بين المراحل أو التملص من خطأ النظرية وتصحيح المسار.

حالة الجمود والانكماش التي تمر بها التجربة الجهادية في سوريا، والانشغال بالقتال بين شركاء الأمس، تجعلنا نلاحظ بُعد القيادات السياسية والعسكرية عن المرونة الذهنية التي تمنعهم حتى من التوقف لإعادة التفكير: في أسباب الانكسارات المتتالية حيث يجب إعادة النظر في استراتيجية الحرب، أو ما يترتب على القتال بينهم من ضعف للصف الداخلي وانكسار لقلوب الأمة وتفوق لعدوهم، أو العمل على إعادة الروح والأسباب التي ساهمت في انتصاراتهم السابقة، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمهم رشدهم ويأخذ بأيدهم لما فيه الخير للإسلام، قال تعالى {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ {152} سورة آل عمران .

***

حينما يمتلك العدو قوة أو امتيازًا نفتقر إليه، فأحد أركان خطتنا أن نعمل على تحييد هذه القوة من خلال: تهيئة مناخ يمنع العدو من استخدامها أو يحد من فاعليتها وفي نفس الوقت نعالج نقطة الضعف هذه عندنا بزيادة مهارتنا في ضوء المتاح من إمكانات.

بشكل عام تتمثل قوة العدو ونقطة ضعفنا في الحركية، العدو يمتلك سلاح الطيران فعلينا أن نمتلك مهارة التخفي، السلبي والإيجابي، عند التقدم للقتال يجب تحقيق تماس أثناء الهجوم، مع سرعة اختفاء وبراعة وتشتت أثناء الانحياز، هذه الخطة تعتمد على حساب الوقت المتاح من اتصال قوات العدو لاستدعاء الطيران من قواعده وحتى وصوله لنقطة الهجوم، هذا أيضا خاضع للخبرة من خلال التجربة وحساب الزمن المرتبط

بالمسافة بين موقع العدو وقواعد الطيران التي ينطلق منها، ترتبط فاعلية الطائرات بدون طيار بسلوكنا الخاطئ على الأرض، بتفلت المعلومات للجواسيس النشطين أو الاستخدام المنفلت لتقنيات الاتصال.

أحد عناصر قوة العدو هي الاستخبارات وبالتالي يجب أن يكون عنصر القوة عندنا هو الأمن واحتراف مهاراته.

أحد نقاط قوة العدو هو الإعلام، وقدرته على خلق رأي عام موالي، فيسعى العدو ليبرر انتهاكاته واعتداءاته -التي يحاول ويجتهد في إخفائها- من خلال الإعلام بالظهور بمظهر الضحية، وبدلا من أن يقوم إعلامنا بهذا الدور فإنه يساهم في خلق رأي عام معادي بالظهور كقاتل بلا ضمير لا يراعي مشاعر الامتدادات الاجتماعية لمن يقتلهم، ولا يحسن خطاب شعوب الأعداء لبيان نزاهة وعدالة قضيته باللغة التي تظهر الحقيقة، نجح الجنرالات في فيتنام في كسب الرأي العام على أرض العدو وفي بيئته وحولوا الإعلام لسلاح يخدم قضيتهم، ما حدث في تجربة العراق صف العالم كله وحتى التيار المجاهد أيضًا ضدهم، وبذلك خسروا معركتي السمعة والميدان، وفقدوا كل دعم معنوي يسهل لهم تحركات ما بعد العمليات (الاختفاء – الإيواء – العلاج ... إلخ).

***

الاستفزاز وإثارة الخصم وتهيجيه بالوسائل العسكرية والدعائية، مع خطة خداع ذكية وطُعم تم إعداده بدقة، في إطار تنوع عملياتي بين الدفاع والهجوم والانسحاب، مع مظلة أمنية تخفي نوايانا وتستر تحركاتنا، تمثل خطة استدراج، تثمر عن سحب العدو للأرض التي نجيد العمل عليها لاستهلاكه واستنزافه حتى يتم القضاء عليه.

الاستفزاز والإثارة والتهييج يجعل الخصم في حالة عدم اتزان ذهني، ويدفعه هذا لارتكاب سلسلة من القرارات الخاطئة والتي يصعب علاجها، وهجومهم عادة ما يكون

هشًا تم التجهيز له على عجل، بهذا الاستدراج يتم استخدام قوة العدو ضده فهو وإن تملك قوة عسكرية كبيرة إلا أنها تدار من خلال قيادة مستفزة ومتعجلة تسيئ التخطيط وتندفع بلا عقلانية لما خططنا له آنفًا، حيث تنتظره وحدات الهجوم المضاد.

لا يمكن تطبيق استراتيجية الهجوم المضاد تحت كافة الظروف، فقد تلجئنا بعض الظروف للمبادرة إلى الهجوم بدلا من الانتظار، وقد تضطرنا بعض الظروف للانحياز بدلًا من تدمير أنفسنا بصمود يفتقر للحكمة، وهكذا نحمي أرواح جنودنا ونحافظ على قواتنا لنقاتل في يوم آخر.

الحلم [السكينة والرزانة والصبر] يفسح المجال لاستثمار أخطاء العدو، ويفتح الباب أمام العديد من الخيارات، مفتاح النجاح على المستوى النفسي أن تتمتع ببرودة أعصاب مع خصم تغلبه طبيعته البشرية وتدفعه للانفعال.

لازلت معجبًا بالانحياز الرائع من المكلا للمجاهدين باليمن، وأدعوا لهم بالتوفيق في معركتهم الأمنية والإعلامية، كما أنتظر هجومهم المضاد حينما تتهيأ الأسباب ويحين الوقت، فالإيمان يمان والحكمة يمانية.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

امتلاك سلاح للردع يغني عن استخدامه

10- استراتيجية الإرهاب [الردع]

الردع هو: "امتلاك حقيقي أو نفسي لقدرات تكبح جماح العدو وتمنع نشوب الحرب المباشرة على أرض الدولتين .. لكنها لا تمنع من إكمال الصراع في قطاعات أرضية أخرى" .. الردع النفسي لا يعتمد على قدرتنا على خداع العدو فقط وإنما على سمعة وتاريخ مليء بالمواقف القوية والصادقة وسوابق في تنفيذ التهديدات.

قال تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ {60} سورة الأنفال.

من المهم بيان أن مجرد امتلاك قدرات للردع لا يمنع اعتداء العدو .. الذي يمنع العدو من العدوان هو يقينه من أنك ستقوم فعلًا باستخدام ما تملك من قدرات للردع .. وهذا يعني ببساطة أنه سبق وقمت باستخدامها ولا يوجد ما يمنع من استخدامها مرة أخرى .. هنا فقط تتحقق القاعدة التالية [امتلاك سلاح للردع يغني عن استخدامه].

من الردع أيضا القدرة على تحقيق خسائر كارثية في أهداف العدو الحساسة أي ما يكون نوع الهجوم [العمليات الفدائية نموذجًا]، من هنا أجد أن تحويل العمليات الاستشهادية من سلاح استراتيجي إلى سلاح تكتيكي بالجبهات هو خطأ فادح فما يمكن تحقيقه بقذيفة أو عبوة لا تهدر عليه الأرواح.

***

من التعريف السابق نرى أن الردع هو امتلاك لوسائل القوة والتلويح أو التهديد

باستخدامها في إطار حوار الإرادات، ليصبح الردع عملية نفسية تستهدف إرادة قيادة العدو، وسبق وبينا في دروس التكتيك أن النصر في المعركة يتحقق بالقضاء على إرادة الخصم القتالية وليس باحتلال آراضيه فقط.

ويمكن للاختصار حصر الردع في شكلين:

الأول التهديد باستخدام القوة الخشنة: [بالعقاب أو بالحصار أو بالحرمان].

الثاني: التلويح باغراءات القوة الناعمة: [المنح والحماية والتقنية].

ولكي يؤدي الردع مهمته يجب تغطية عدد من المبادئ والالتزام بها كما جاء في التعريف:

* امتلاك قدرات: قد تكون قدرات "عقدية، عسكرية، اقتصادية، سياسية، جغرافية" وكل شكل مما سبق صالح في تحقيق ردع يحقق الهدف المرجو منه.. شريطة الوفاء بتنفيذ التهديد في حالة عدم استجابة العدو، وهذا ينقلنا للمبدأ التالي.

* المصداقية: وقد عبرنا عنها في المقدمة بأنك فعلا صادق في تنفيذ التهديد وذلك وببساطة لأنه سبق وقمت باستخدامها ولا يوجد ما يمنع من استخدامها مرة أخرى، قد تخسر المصداقية لمجرد وجود تناقض بين كلماتك وأفعالك فهذه كلها رسائل يدرسها العدو بعمق ويبني قراره في ضوء فهمه لنفسيتك أيضًا.

* العقلانية: الواجب توافرها في طرفي النزاع خاصة إذا كان على نفس القدر من امتلاك عناصر القوة والقدرة على استخدامها فمن خلال الحوار - وهو بعد غاية في الأهمية في مسألة الردع أو الردع المتبادل- يتوصل الطرفان لاتفاق مناسب لكل منهما، وكذلك الحال إذا كان أحد طرفي النزاع أقل قوة، الحوار العقلاني يمثل وجه القوة الناعمة التي تؤدي لتحقيق الردع المطلوب.

* المعلومات: لا بد من توفر معلومات دقيقة عن قيادة الخصم على المستوى النفسي،

وما هو الأسلوب الذي يناسب نفسيته [التهديد أم الإغراء]، وبطبيعة الحال المقصود بالقيادة هي مجموعة الصقور والحمائم المساهمة في صنع القرار، فبدراستهم نصل لمدى تأثير كل عضو على الباقين وما يمكن أن يحققه ذلك لنا.

* الإعلام: السري والعلني، فما يتحقق "بالوشوشة" لا تُرفع فيه الأصوات، وللإعلام جانب هام في بيان قدراتنا وما يمكن أن نفعله، فالإعلام يقدمنا للعالم كله ويعرض هويتنا ودعوتنا وقدراتنا ولكن لا للإعلام الذي يفضح ما ينبغي أن يبقى مستورًا، فالإعلام عليه أن يستعرض ما يؤكد مصدقيتنا ويستر ما نخبئه من مفاجآت.

السيرة النبوية مليئة بنماذج كثيرة لاستراتيجية الردع وقد باشروا المبادئ السابقة ونجحوا في فرض إرادتهم على خصومهم.

***

قد تنجح بعض العمليات العسكرية الذكية والتي يقف خلفها دهاة الحرب في أن تكون حاسمة في ردع العدو، فقد نضطر للقيام بمناورات محسوبة ذات درجة مخاطرة عالية، هذه المناورات كإجراء عسكري قد تحدث أثرًا يمثل نوعًا من الردع بحيث يمنع العدو من القيام بما خطط له، مثال ذلك: بأن يقوم العدو بدفع قوات عسكرية من مناطق مختلفة للتجمع في منطقة عمليات للقيام بهجوم عام لضرب مركز ثقل قواتنا، وفي حالة إتمام العدو لعملية التجمع سيملك تفوقًا كاسحًا قد يقضي على قواتنا بالكلية، في مثل هذه الحالة تقوم القيادة العسكرية لقواتنا بدفع وحدات صغرى ذات حركية عالية وتدريب راق للقيام بمناورة سريعة للوصول إلى مقرات انطلاق هذه القوات ومهاجمتها بشراسة وبزخم وأكثر من مرة أو مهاجمة أجناب أو مؤخرة الوحدات المتحركة لمنطقة التجمع أثناء تقدمها، هذه المناورة تربك حسابات العدو ويصيبه الكثير من الشك ويرغب في تأمين قواعده؛ فلو كان خصمه ضعيفًا لما قام بمناورات قوية في العمق ولما هدد قواعده بهذه الشراسة، هذه

المناورات تجعل العدو يستدعي الوحدات التي انطلقت للتجمع للدفاع عن مقراتها ويعيد تفكيره في عملية الهجوم العام.

بهذا الشكل ردعت هذه المناورات العدو عن تنفيذ مخططاته، ورغم كونها قوة تقليدية إلا أنها عمليًا تحولت إلى سلاح ردع أحبط هجوم العدو، [مناورة جاكسون 1862 الحرب الأهلية الأمريكية].

المناورة السابقة اعتمدت على:

* فهم نفسية الخصم والتأثير فيها: فمن المهم جدًا كيف يراك العدو ؟،حينما تكون قيادة العدو حساسة وحذرة إلى درجة الوسوسة وتخشى من الأخطاء وما يترتب عليها من لوم ومساءلة، فالتحركات الأرضية الواعية السريعة على نقاط ضعف الخصم أو على وحداته المتحركة، مع قوة الهجمات وغزارة النيران، تؤثر في تصور الناس لتخلق صورة مرعبة عنك تتضخم آليًا وتتشكل وهمًا مخيفًا في عقل قيادة العدو يربكها ويحبط مخططاتها، ولقد نُصر رسول الله ﷺ بالرعب مسيرة شهر.

* التحركات الأرضية المحسوبة: كالانطلاق لضرب قواعد القوات المتحركة، أو العمل على مجنبات أو مؤخرة القوات المتحركة نفسها، أو التحرك في اتجاه مقر العدو الرئيس، أو عاصمته، يجعل العدو يعيد حساباته سواء حول القوة التي تهاجمه أو مركز الثقل الذي رغب في القضاء عليه، وببساطة فإن ظهورك بجرأة في الوقت الذي يظن العدو أنك ضعيف فيه قد يُصَعب عليهم فهم تصرفاتك، هذه الحالة تمر قلقًا وكثيرًا من الخوف عند خصمك، تمنحك السمعة التي ترعبهم وتزيد من حلفائك، كما تمنحك الوقت الكافي للتحضير لمعركة تفرضها أنت عليهم.

السيرة النبوية العطرة مليئة بهذه التحركات [الدوريات] لإظهار القوة وردع المتربص.

* فهم ميدان المعركة استراتيجيًا مع توفر قوات ذات جاهزية حركية ومدربة جيدًا:

تجعلك تضعهم في المكان والزمان المناسبين دائمًا لتنفيذ مناورات في العمق، فحينما يهاجم العدو الريف الداعم لك، فالخطوة المناسبة هي أن تقوم بضرب الريف الداعم والموالي له وبنفس القوة، فالعين بالعين، ويجب أن تعاني مدنه كما تعاني مدننا، وأن ما يفعله في ريفنا لن يمر دون ثمن موجع ومؤلم، وعليه أن يتوقع في مقابل كل هجوم نتعرض له هجومًا يلحق به أضرارًا مضاعفة، وهذا لا يمكن تحقيقه بدون قوات معدة جيدًا ورؤية خريطة الصراع كاملة وليس أجزاء منها، [تكتيكات العصابات - بروس اسكتلندا].

* فرق بين الرسائل السياسية القوية وشكوى الضعيف، عندما تكون عرضة للهجوم وتسارع لتطلب من العدو التوقف أو أنك تهدده أنك سوف تفعل كذا أو كذا إن لم يتوقف، فهذه رؤية محدودة تنم عن الضعف كما تفضح نواياك، كذلك إن أرسلت له كلمات دبلوماسية مهذبة تنقل له فيها مخاوفك فهذه شكوى لا تسمن ولا تغني، المطلوب أن تكون على قدر المسؤلية جادًا في جعل أقوالك أفعالًا فليكن ردك يحمل التلميح الذي يجعله يتصور الباقي، [إلى نقفور كلب الروم الجواب ما تراه لا ما تسمعه]، هكذا تكون الرسائل.

وبقيت كلمة مفادها "إذا فقد الردع مصداقيته فإن عناصره تتحول آليًا إلى نقاط تحفيز ترفع من معنويات الخصم".

***

النقد الذاتي والإصلاح والتغيير للردع:

عندما تسير المناورات السياسية والعسكرية باطراد ملحوظ في اتجاه مسدود، وتصبح الرؤية ضبابية والتخبط سمة عامة للعمل، والفشل مصاحب للمجموعة القيادية ولا يغادر ركابهم، والهزائم والانكسارات والانشقاقات تتوالى، والقرارات يائسة وعواقبها مهلكة وكارثية، وخيمت ظلال الإحباط على النفوس ولا شعاع ضوء في نهاية النفق،

وبات انسداد الأفق واضحًا، فلا بد هنا من وقفة للمراجعة والإصلاح.

وأول خطوات الإصلاح تتم بسنة الاستبدال أي تنحية الفاسدين والفاشلين، وهذا الأمر ليس مقصورًا على الحكومات والطواغيت فقط، فكثير من الجماعات والتنظيمات وفصائل التيار الإسلامي تعاني من المظالم والفساد وتحتاج إلى إصلاح حقيقي على يد أبنائها، أي من الداخل لتعالج الآفات التي ابتليت بها بفعل المؤثرات الخارجية، لكن .. عندما يواجه الإصلاح عنادًا ومقاومة من الفاشلين ويصبح برنامجهم الرئيس مناهضة محاولات الإصلاح وإفشالها، فلا بد من ردعهم بوقفة للتغيير.

ولا بد أن يكون التغيير أيضًا من الداخل، هذا نموذج مصغر لثورة إصلاح داخلية لا بد منها: أهم صفات القائمين على التغيير كونهم أصحاب تقوى ودين، وعلى وعي واطلاع بالواقع، وأعرف بمواطن الخلل وأوعى بالعلاج وجرعاته وتوقيتاته، عليهم أن يشكلوا شبكة داخلية من الحلفاء المخلصين الراغبين في التغيير والمسيطرين على بعض المفاصل، وعليهم أن يحظوا برعاية وتأييد أهل الفضل الأقوياء ولا يحرموا أنفسهم من نصحهم وتجربتهم، وعليهم أن يكونوا قريبين من الجنود كاشفين لهم مواطن الخلل وسبل العلاج، وعليهم أن يدركوا متى وكيف وأين يتم الانتقال بين السيف والدرع لردع الظالمين.

فالقيادة قد تكون هي السيف الذي يضرب في وقت وقد تكون الدرع الذي يحمي في وقت آخر، وكذلك الجنود تارة يكونون السيف وتارة يكونون الدرع.

ولو أن تنظيماتنا الإسلامية عامة والجهادية منها خاصة مارست النقد الذاتي وباشرت الإصلاح ونقت صفوفها من شوائب وآفات الداعمين والمتآمرين لكان في ذلك ردع لكل مجموعة قيادية غرقت في أوهام اليقظة أو دجنتها أيدي العابثين.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

امنح نفسك مسافة لترى الأمور على حقيقتها

11- استراتيجية فض أو رفض الاشتباك

أثناء الصراع قد تواجه قواتنا ظروف اشتباك غير مواتية .. وفي إطار ربح الحرب يتعين علينا أن نتجنب بعض المعارك التي إن خضناها تسببت في أذى مادي ومعنوي لقوتنا يستغرق وقتًا طويلًا لجبره [جاور - كوباني - حلب - حماة] .. هنا لا بد من مقايضة المكان بالزمن .. الدفاع والهجوم ليسا وجها الحرب فقط فالانحياز وجه آخر.

"الانسحاب .. الانحياز .. التراجع" أسماء تدل على عمل عسكري منظم لا علاقة له بالفرار .. الفرار حالة من الفوضى تؤدي إلى كارثة في الأرواح والمعدات [مصر 1967 .. الانحياز مناورة عسكرية منظمة بدقة عالية وتخطيط راق [انحياز مؤتة].

يتخذ قرار الانحياز عندما يختل ميزان القوى بشكل ملحوظ .. ويستمر التراجع حتى الوقت الذي ترى فيه القيادة أن الانحياز حقق توازن القوى من جديد .. سواء تم ذلك بوصول قوات دعم .. أو الوصول إلى أرض شديدة الوعورة .. أو تبعثر قوات العدو وإصابتها بالإجهاد خلال المطاردة .. أو طول خطوط إمداد العدو وضعف حمايتها .. حين تكثر أخطاء العدو فهذا وقت انتهاء الانحياز والعودة لتسديد الضربات المرنة والسريعة.

***

الانحياز يبدأ بأعمال خداع تساهم في تغطية قطع التماس مع العدو، وتتم العودة إلى الخلف بانتظام بهدف: الاختفاء مؤقتًا لتجنب خوض معركة حاسمة مع العدو [حرب العصابات]، أو بغرض احتلال موقع أفضل لمتابعة القتال [انحياز قندهار - المكلا]، أو العودة لقاعدة الانطلاق [انحياز زورمت - مناورة فض الاشتباك في مؤتة]، أو من أجل كسب الوقت وتعديل الوضع وتدعيم التعبئة أو استدعاء الاحتياط [الانسحاب

التكتيكي]، أو العودة بعد تنفيذ مهام قتالية [كمين - إغارة - استطلاع - تسلل للخطف أو التخريب ... الخ].

و يتم الانحياز في وقت يمنح القوات المنسحبة غطاءً من الرؤية الضعيفة [الليل أو الضباب] ليحرم العدو من أي تفوق، وتحدد فيه محاور الانحياز بدقة متناهية مع توفير حماية لهذه المحاور، الحماية جزء من مناورة التراجع وأسلوب من أساليب القتال التأخيري.

***

مبادئ الانسحاب:

* المرونة: يجب أن تكون الخطة قابلة للتطوير لتواجه أي مستجدات أثناء عملية الانسحاب.

* البساطة: ينبغي أن تكون الخطط واقعية ومنطقية وسهلة لكي يمكن فهمها وتنفيذها.

* السرية: وتشمل سرية التوقيت وخط السير وخطة الانسحاب.

* العمل التعرضي: ينبغي أن لا ينسى الفرد أن الانسحاب ينبغي أن يستهدف تحطيم العدو مثال ذلك المواضع التي ينبغي مسكها والقتال فيها، الكمائن ومصائد المغفلين، حقول الألغام، مناطق شن الهجوم المقابل ... إلخ، ينبغي تذكير الجنود باستمرار حول الطبيعة [التعرضية] لأي انسحاب جيد التخطيط والتنفيذ.

* المعنويات: إن خير محرك للمعنويات في مثل هذه الظروف هو أن تُبقي رجالك على اطلاع تام بما تنوي خطتك تحقيقه ولا تخف الحقائق غير السارة فإن بإمكان الجنود ذوي الضبط العالي إبداء المساعدة في استعادة الموقف ولكن ينبغي أن تكون قاسيًا في قمع الإشاعات والمبالغة في الحوارات السلبية.

* السيطرة: ابدأ بخطة بسيطة، وضعها بدقة وبصورة مباشرة ثم قم بالإشراف على

تنفيذ الأجزاء المهمة فيها وبصورة مباشرة مثل الاستطلاع المبكر والمفضل للطرق والمثابات ونقاط التفقد ... الخ، تعويض العتاد في مختلف المراحل، تأمين وجبات طعام حارة كلما كان ذلك ممكنا. المحافظة الدقيقة على الوقت والارتباط الفعال مع الوحدات الساندة والتي في الأجنحة.

* الأمن: ينبغي التأكيد على الأمن باستمرار كما ينبغي معالجة أية ثغرة في الأمن بسرعة وبحزم من أجل المحافظة على سلامة الخطة وعلى أرواح أولئك المشتركين فيها.

***

يرى المؤلف[30] "روبرت جرين" أن الهجرة النبوية مثلت نوعا من فض الاشتباك الدعوي ورفض الاشتباك العسكري، ففي مشهد الصراع الفكري الداخلي مع قريش والعداء الأعمى لأي تغيير لم تعد مكة خصبة بالقدر المناسب لنجاح الدعوة، كما أن العداء بلغ قمته حين قرر كفار قريش اغتيال النبي ﷺ، ولذلك جاء القرار الاستراتيجي بالهجرة للمدينة حيث وفرت أرضًا خصبة مثلت القاعدة الصلبة لانطلاق الإسلام للعالم أجمع، كذلك عملية خروج نبي الله موسى عليه السلام ببني إسرائيل من مصر، مثلت أيضا شكلًا من فض الاشتباك مع قوة قاهرة، وانتقل إلى الأرض التي أعاد فيها بناء نفسية بني إسرائيل خلال سنوات التيه.

ثم خلص "جرين" إلى أن استراتيجية فض أو رفض الاشتباك تمنح القدرة على التفكير السليم لأنك تبقى بعيدًا عن عنف المعتدي متحررًا من رد الفعل الثأري والذي يعيق رؤية المشهد الكامل ويحصر الحركة في الفعل ورد الفعل بعيدًا عن تحقيق الهدف الرئيس، فجاءت الهجرة لتحصن المسلمين من الانغماس في اشتباك يستنزفهم ويقضي عليهم، وعوضًا عن ذلك منحتهم الوقت الكافي لتُخلص نفوسهم من عبء مرحلة وتدخل لمرحلة

---

[30] بتصرف وليس نصاً.

البناء والنمو ثم العودة ليس للثأر ولكن لتحقيق الهدف العام وهو نشر الإسلام بإخلاص وتجرد وشفافية.

إن استراتيجية فض أو رفض الاشتباك تمنحنا المسافة الفعلية لنرى الأمور على حقيقتها بدلًا من الانغماس الذي يحد من رؤيتنا فنفقد القدرة على إحسان التفكير والتدبير، الشجرة لا يراها الواقف تحتها ولكنه إذا تحرك عنها يراها كاملة.

***

من منتصف القرن الماضي وإلى يومنا الحاضر مثل السجن نوعًا ما من فض الاشتباك الإجباري بين التيارات الإسلامية وأنظمة الحكم في كافة الدول الإسلامية، بدأ بالإخوان المسلمين ومرورًا بغيرهم، وقد منحهم السجن كثيرًا من الوقت لتقييم التجربة وإعادة إخراج رؤيتهم للصراع، وبطبيعة الحال فمناخ السجن المفتقر للحرية والمعبأ بالقهر والإذلال[31] والتعذيب وبأفكار معلبة، فرض عليهم اتجاهات محددة من الاستسلام أو المسايرة مارًا بالمراجعات السلبية والانعزالية إلى التكفير العام، مناخ السجن مشحون بهواء مسموم لا يجعل فض الاشتباك حقيقيًا وإنما يجعله اشتباكًا مأسورًا ومقهورًا.

هذا المناخ لا يساعد على الخروج برؤية سليمة للتغيير وإنما فلسفة تمنحهم نوعًا من الحياة وفق برامج عمل مشوهة وفاسدة، ولأنها أنتجت في ظلام الأسر والقهر فسوف تكون رؤية مأسورة بقوانين وفلسفات لا تسمح لها بالتغيير مهما تماهت مع طبيعة نظرية النظام الحاكم لتبادل السلطة، وهذا مشاهد من العقد الأخير للقرن الماضي ومطلع القرن الحالي.

وحتى عندما أوصلت الثورات الأخيرة بعضهم للسلطة وبعضهم لمناخ المنافسة عليها

---

[31] ما وقع للنساء في سجون الطواغيت حطم إرادة كثير من المخلصين وحملهم فوق طاقتهم، وأثر على قرار الصراع عندهم، ولهذا حاولوا تجنب كل ما قد يجرهم لتجربة السجن ثانية، وفي ضوء هذه الجملة يحكم عليهم البعض بقسوة ويعذرهم أخرون.

جاءت مسيرتهم متوافقة مع النفسية المقهورة المهزومة.

وهنا نلحظ الفارق الكبير بين فض أو رفض الاشتباك الذاتي في مناخ حركي حر باللجوء إلى مناطق منيعة على العدو تمنحنا الوقت الكافي لاستعادة المبادرة، والعودة مرة أخرى لتحقيق الهدف العام، المناخ الحر يجعلك تلحظ الفارق بينك وبين الآخرين أن تفهم نفسك وأنصارك وعدوك، ترى المشهد الكامل وعلى حقيقته وهذا ليس سهلًا أثناء الاشتباك أو في ظلام السجن، ولذلك تأتي البرامج في المناخ الحر استكمالًا لما سبق وعلى نفس الدرب، ولكن .. بوعي ونضج أكبر فتصحح ما وقعت به من أخطاء وتسد الثغرات، كما تسعى لتحصيل ما يمكن من أسباب للتمكين غفلت عنها سابقًا، وتحسن التوكل على ربها وترجو منه التوفيق والرعاية فالنصر منه سبحانه وتعالى {وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ {126} سورة آل عمران.

قد يكون هناك فريق من التيار الإسلامي بحاجة لسنوات التيه ليخرج من أصلابهم من هو أشد منهم عودًا، ولكن هناك أجيال آخرى نمت على ربا الحرية في أفغانستان والصومال واليمن والمغرب ... إلخ، امتلأت صدورهم بعبير الحرية ورياح التغيير، وإن شاء الله لن يذهب جيل أحفادهم حتى يقطفوا ثمرة ما غرسه أجدادهم.

***

الجزء الرابع

الحرب الهجومية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحرب الهجومية

تشابه عناوين مبادئ الحرب بين المسلمين وغيرهم لا يعني أن جوهر الحرب متشابه .. فالفارق في المضمون والغاية كبير جدًا .. جوهر الصراع عند غير المسلمين هو المصلحة .. ومحركها الجشع والحسد .. وغايتهم سرقة ثروات الآخرين واستعبادهم .. ولا يختلف بقايا أهل الكتاب عن غيرهم في ذلك .. فنصوص التوراة المحرفة تدفعهم لإبادة خصومهم .. وما يمنعهم أحيانا عوامل ليست أخلاقية كما يزعمون .. ربما تكافؤ القوى .. ربما الحاجة الاقتصادية لهذه الأيدي .. ومَنَعَهم مؤخرًا استغلالهم كحقل تجارب أو قطع غيار بشرية .. قال كبيرهم "لا يوجد صداقة أو عداوة دائمة ولكنها المصالح".

المسلمون[32] حينما خرجوا جهادًا في سبيل الله حملوا رسالة الحب والخير والحرية للبشرية .. وهدفهم من الحرب ومازال؛ تحطيم أغلال العبودية لغير الله .. وتصحيح العقيدة فيعبدوا الله الواحد الأحد .. ولصبغة مسيرتهم إليه سبحانه وتعالى بشريعته .. ودربهم بمنهجه .. إن جوهر الصراع قائم على تحرير العقل .. برفع كل الحجب المادية والنفسية عنه ليتلقى الرسالة ويختار الطريق.

***

قبل الشروع في العمل العسكري يجب أن ننتبه للفارق الكبير بين الدين الإسلامي كمحرك وضابط للنظام الذي يتبعه، وبين بقية الأنظمة الحاكمة الأخرى بالعالم، فالغاية في الإسلام هي أن تدين البشرية بالوحدانية لله والعمل بشريعته سبحانه وتعالى، ولذلك استهدف الإسلام العقل والروح ووجه إليهما رسالته، وخاطبهما بالحكمة والموعظة ووفر لهما كل سبل الإقناع الدعوية والجهادية، وعلى العكس من هذا استهدفت كافة القوى

[32] كتاب الصراع ورياح التغيير الجزء الثاني فصل الاستراتيجية صفحة 199، وأنصح بقراءة فصل الاستراتيجية.

الأخرى الجانب المادي فهددت وجود الإنسان وما يملك، وعمدت إلى الاستيلاء على الأرض وما بها من خيرات وثروات، أو الإبادة للبشر، أو استعبادهم، هذه المقدمة هامة حتى نفهم ويفهم خصومنا أيضا منهج الإسلام في الصراع مع الأخر[33].

***

مبادئ الهجوم:

1- الغاية والمهمة والمحافظة عليهما:

في ضوء الدين الإسلامي وفهم غايته يدار الصراع {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ {193} سورة البقرة.. {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {39} سورة الأنفال، تقوم القيادة السياسية بتحديد المهمة وتسندها للقيادة العسكرية وتراقبها لتظل محافظة عليهما.

تقوم القيادة العسكرية بالأتي:

أ- تقيم المهمة في إطار فهم التأثير المطلوب إحداثه ومقارنة ذلك مع الإمكانات المادية والتقنية المتاحة، وفي ضوء ذلك تقوم بالعمل على استكمال النقص أو بناء القوة المناسبة لتنفيذ المهمة، "اعرف نفسك ونقاط قوتك ونقاط ضعفك".

ب- بالتوازي مع البند [أ] تقوم القيادة العسكرية بتقدير الموقف، حيث يقوم القادة بدراسة العدو دراسة شاملة لتحديد جوانب القوة والضعف، "اعرف عدوك ونقاط قوته ونقاط ضعفه".

ج- التخطيط لتنفيذ المهمة وإحداث الأثر المطلوب، وذلك وفقًا للظروف التي

[33] الكفار: وهم كل من لا يدين بالإسلام من: أهل الكتاب أو الوثنيين أو اللادينين وغيرهم.

ستخوض فيها المعركة: "الوقت والمناخ وطبوغرافية الأرض ... إلخ"، وتهيئة القوات للقتال معنويا، والقيام بالحشد الإداري، وفق خطط زمنية محددة لتصل للجاهزية عند ساعة الصفر.

د- المتابعة للمحافظة على الغاية باستمرار سواء عند التخطيط أو الإدارة، ومراجعة المهام مع القرارات التنفيذية للمحافظة على الاتجاه وعدم الانحراف نحو أهداف أخرى.

***

2- المعلومات:

لا يتوقع النجاح في أي معركة دون توفر معلومات متجددة وحديثة عن العدو وإمكاناته وتحركاته، لتحديد نقاط قوته وضعفه ومعرفة نواياه، ويتم جلب هذه المعلومات من خلال:

- الاستطلاع: لجلب المعلومات في ميادينه الثلاث البري والجوي والإلكتروني من خلال الدوريات والطيران والأقمار الصناعية وغير ذلك للحصول على معلومات تكتيكية وعملياتية واستراتيجية.

يستهدف الاستطلاع التكتيكي جلب المعلومات الدقيقة عن تحركات ومواقع العدو قبل التماس معه مباشرة "حجم القوات، المواقع، الأسلحة، الثغرات، الحواجز [الموانع]، طرق الإمداد، مقرات القيادة، مراكز الرصد، أرض المعركة، مصادر المياه ... إلخ".

أما الاستطلاع العملياتي فيستهدف عمق العدو بغية كشف نواياه ويجمع معلومات حول "الاحتياطي وأماكن حشده، قواعد العدو الجوية، بطاريات الدفاع الجوي، طرق إمداده، مراكز التموين والمستودعات الخلفية، طبوغرافيا مسرح العمليات، انتشار الأنساق الخلفية".

ويستهدف الاستطلاع الاستراتيجي جميع المعلومات عن أهداف العدو الحيوية

الاقتصادية والعسكرية في العمق الاستراتيجي مثل "المطارات، المصانع الحربية، الجسور الرئيسية، مصافي النفط، محطات توليد الكهرباء، السدود والموانع المائية، محطات الرادار، مراكز تكديس الأسلحة والذخائر والعتاد ... إلخ".

- الاستخبارات: وذلك من خلال العيون التي تعمل على اختراق العدو وتقوم بالحصول على المعلومات من الخرائط أو العملاء المجندين من صفوف العدو، ويمكن أيضًا من خلال خطف عناصر كبيرة للعدو واستجوابها، وكذلك استجواب الأسرى، وأيضًا من خلال الاختراقات على مستوى القيادة السياسية للعدو، أو التفاهم مع بعض القبائل أو سكان المنطقة، وتجمع المخابرات أيضا المعلومات على المستويات الثلاث التكتيكي والعملياتي والاستراتيجي.

***

3- المفاجأة:

وهي مباغتة العدو ومبادأته بطريقة مبتكرة تخالف توقعاته، في الزمان أو المكان أو التكتيك أو التعبئة أو السرعة الحركية، وتصدمه وتربكه وتمنحنا مزيدًا من الوقت لاستثمار الصدمة في التغول في عمق العدو والوصول للهدف المطلوب تحقيقه، استثمار الصدمة يعني ألا يُسمح للعدو باستعادة السيطرة أو تنظيم دفاعه فقط؛ بل تدفعه الصدمة أيضًا لاتخاذ قرارات ارتجالية خاطئة، فالعدو يجب أن يبقى تحت الضغط طوال الوقت.

إن أهم العناصر لتحقيق المفاجأة هو إخفاء نوايانا [التنفيذية] بالتزام السرية في أعمال التحضير للمعركة، ويساعد على نجاح ذلك خطة الخداع الإعلامية "عملية التضليل بالمعلومات"، وخطة الخداع التكتيكية "إخفاء اتجاه المجهود الرئيسي"، وكذلك الأمن والسرية "باستمرار الحركة العادية للقوات والتغطية على التحركات الحقيقة والسيطرة على الاتصالات من خلال شفرة قوية"، كما تساندها أعمال القوات الخاصة والاستخبارات

"العمل خلف خطوط العدو أو إحداث انشقاقات مفاجئة في صف العدو"، وأيضًا تساهم نوعية السلاح والمعدات وعدد القوات المستخدمة في الهجوم والروح المعنوية العالية والانضباط في التنفيذ في تحقيق المفاجأة الاستراتيجية.

وبقيت كلمة: "المفاجأة والمبادأة والخداع ثلاثة مبادئ يصعب فك الارتباط بينها، فكل منها داخل في الأخر ومنتج له".

***

4- الأمن [الحراسة والسرية ومكافحة التجسس ...إلخ]:

الأمن يعني عدم إعطاء العدو الفرصة للمباغتة وله شقين: الأول تعليمي للقيادات والجنود والشعب، والثاني إجراءات عملية لها أجهزة محددة المهام، فحماية الثغور تحرس وجود القوات من تسللات العدو الاستطلاعية والهجومية، ومكافحة التجسس تحرم العدو من تشكيل طابور خامس من المنافقين الذين يمارسون أعمال التخريب المادي والمعنوي وتحد من الاغتيالات ونقل المعلومات، كما أن تحصين القادة والجنود بالثقافة الأمنية يساهم في صون المعلومة من أن تقع بيد الأعداء، وفي الهجوم يتولى الأمن حماية التحركات وضمان سريتها لمباغتة العدو أو لتفادي الوقوع في كمين، كما يحمي القوات من أي إغارة على نقاط التجمع أو أثناء وقفات الاستراحة.

الأمن والاستطلاع يكمل أحدهما الأخر وهما وجهان لعملة واحدة [المعلومات]، ويجب التنسيق وتبادل المعلومات بينهما فالأمن عمل داخلي وعلى مشارف المحيط الخارجي والاستطلاع عمل خارجي وفي عمق العدو.

***

5- التكنولوجيا:

قد تصل الحرب إلى حالة من الجمود تحرم طرفيها الحسم في ميدان القتال، وهذه الحالة يتم التغلب عليها من خلال التطوير في الأسلحة والمعدات وبالتالي في المناورة قريبة وبعيدة المدى، وفي هذا العصر بلغ التقدم العلمي مبلغًا غير مسبوق فلم تتطور الأسلحة والمعدات الحربية العاملة في الميدان فقط، ولكن التقنية أضافت للصراع عناصر مساعدة من خارج مسرح العمليات حققت تفوقًا يضمن توفير المعلومة بل وتحديد الأهداف وإصابتها من خارج ميدان العمليات، وبدون اللجوء إلى استنزاف العنصر البشري، من خلال الأقمار الصناعية، والطائرات بدون طيار في الاستطلاع والقصف أو التفجير في العدو، ومضادات الدبابات والطيران المحمولة على الكتف، والصواريخ السابحة متوسطة وبعيدة المدى والعابرة للقارات، وتقنيات التجسس والاختراق عن بعد من خلال شبكة الانترنت ... إلخ، وبقدر ما تنفق الدول على تقدمها العلمي بقدر ما تجعله عنصرًا حاسمًا في الحرب الهجومية والدفاعية، وهذا موضوع القرن الذي يجب أن تبذل فيه الجماعات المجاهدة وسعها فلا تكتفي باستخدام مصنوعات العدو أو وسائل اختراقه وإنما تعمل على بناء جهاز من النابهين موضوعهم التقنية الحربية.

6- التدريب:

تقدر خبرة الجيش والجنود بتاريخهم العسكري وبرقي التدريب واعتماده على التمارين العملية الهجومية المتنوعة، مثل التسلل والإغارة والكمائن ومناورات الهجوم المختلفة، كذلك التدريب على مقلدات الأسلحة ووسائل المحاكاة فهي فضلًا عن توفيرها للذخائر ذات الكلفة العالية فإنها تعمل على برمجة الجندي حال تعرضه لظروف مشابهة، هذه النقطة غاية في الأهمية حيث يكون رد فعل الجندي آليًا في الميدان بعيدًا عن الخوف والتردد كما تجعله واثقًا من نفسه ورفاقه والسلاح الذي بين أيديهم، وبقدر ما تهتم القيادة بإعداد وتدريب جنودها بقدر ما تظهر كفاءتهم العملية في ميدان القتال.

إن الهدف الرئيس من التدريب هو إدخال الجنود في تجارب قريبة لما سيواجهونه أثناء تقدمهم في أرض المعركة بحيث يلمون بنسبة مقبولة عن ظروف القتال ومناخه وتكون عقولهم حاضرةً لأي مفاجئة محتملة، وقديما قالوا العَرَقُ في التدريب يوفر الدماء في الميدان.

***

7- الحشد:

هو حشد الجهود "المادية والمعنوية" في الوقت والمكان الصحيحين لإنجاز المهمة، ومجال الحشد يكون في: البشر والتجهيزات والأسلحة والذخائر والتموين والخدمات الطبية وبقية الإداريات ... إلخ، والحشد بطبيعته لا يبلغ المثالية، والنقص الناتج في بعض النواحي الثانوية لا يضر طالما تمكنا من تحقيق تفوق في الجوانب الرئيسية.

هذه التعبئة يتم ضبطها بالتوافق مع عدد من المبادئ مثل: الاقتصاد بالقوة ونسبة القوات والزخم والانتشار، نظرًا لأن الموارد المادية المتاحة لأي دولة محدودة فالحشد يكون محكومًا بالاقتصاد، كما أنه محكوم أيضًا بنسبة القوات في حالتي الدفاع والهجوم مع قوات العدو حيث يجب حشد العدد النسبي، والحشد لا بد أن يوفر الإمدادات النارية والبشرية المطلوبة في المعركة حتى لا يفقد الهجوم زخمه وتكون النتائج عكسية، كما أن الحشد يجب أن يتم توفيره في نقطة التعبئة التي تنسجم مع حالة الانتشار للقوات.

8- الزخم:

أحد العناصر الهامة في العملية الهجومية إذ يجب المحافظة على زخم وعنفوان القوة النارية حتى تنتهي القوات المتقدمة من احتلال الهدف، وأي توقف للزخم الناري قد يفشل العملية الهجومية ويحدث خسائر في القوات المتقدمة، ولهذا فقصف القوات الجوية والمدفعية الخفيفة والثقيلة والضرب المباشر للدبابات والمدرعات المتقدمة مع المشاة ورشقات الأسلحة الرئيسية المصاحبة للوحدات المتقدمة والمتمركزة على منصات أرضية

حاكمة، عليها أن تستمر في صب نيرانها بشكل مكثف أثناء عملية التقدم على خطوط العدو الأمامية ثم تبادر برفع النيران عبر الهدف لتسمح لقوات الهجوم باقتحام الهدف وتطهيره وتأمينه.

الدقة في التوقيتات وحسن تواصل وحدات الإسناد وسلاح الجو مع قائد عملية الاقتحام يقلل من الأخطاء والفوضى التي تصاحب الاقتحام خاصة عند طلب رفع النيران عبر الهدف لتسمح لقوة الاقتحام باحتلال الهدف.

***

9- الواقعية:

وهو التعامل مع الواقع بدون تجميل، أن نعرف من نحن ومن عدونا وطبيعة الأرض والمتاح من إمكانات ... إلخ، في ضوء هذه المعرفة تبنى الخطة وفق ضوابط أخرى: فلا يجب أن تكون خطة الهجوم طموحة جدًا أو كثيرة التعقيدات حتى يمكن للجنود فهمها وتنفيذها في الواقع، كما أن الإمكانات المتاحة المتوفرة تحت أيدينا تلزمنا بتحديد نوع الهجوم [مباشر أو غير مباشر]، الفرق بين الأهداف والأُمنيات هو الفرق بين النجاح والفشل فكلما كان الهدف المطلوب تحقيقه واقعيًا ومتناسبًا مع قدراتنا كانت نسبة التوفيق أعلى، ويجب أن تسير العمليات العسكرية لتحقيق المناخ اللازم للوصول إلى فاصل المفاوضات [والتي قد تكون إملاءات المنتصر]، وقمة المهارة أن تفرض على عدوك الواقع الذي يجعله يلجأ للمفاوضات دون قتال، علينا أن ندرس [فتح مكة] بعمق لندرك أن الصراع حتمي كما أن المفاوضات التي تعقبه هي التي تنهي حالة الحرب.

10- المرونة:

إن المرونة ضرورة لمواجهة المفاجأت المحتملة التي قد تصادف خطة الهجوم، ولذلك لابد من دراسة كافة السيناريوهات المتوقعة وإعداد خطط بديلة تجابه المخاطر المحتملة،

ومن المهم أن تكون الخطط بسيطة وغير معقدة ليصلح التنقل بينها بمرونة دون حدوث أي اضطرابات، تتحقق السيطرة ببساطة الخطة والمرونة في الانتقال بين البدائل، الخطط المعقدة وعدم وضع خطط بديلة عندما تواجه ظرفًا غير متوقع تفقدنا السيطرة على الجنود ومن ثم على الوضع بالكامل.

***

11- استثمار الفرص، واستثمار النصر:

المفاجأة التي يتسبب فيها الهجوم المفاجئ تؤدي إلى انهيار سريع في معنويات العدو وتصيبه بحالة من الهلع تجعله يفر من موقعه بشكل فوضوى، هذا الوضع يجب استثماره فيتم تطوير الهجوم لتعميق خسارة العدو وكسر إرادته وعدم منحه الوقت لإعادة تنظيم قواته، هذا من أساسيات خطة الهجوم.

تتم عملية استثمار النجاح عادة بوحدات الاحتياط فتدفع في الاتجاه المطلوب ضربه أو دعمه بحسب رؤية القيادة في الميدان، الاستثمار لا يجب أن يتجاوز حدود المسموح به بدون توفير غطاء مدفعي وجوي، وإلا سيتم تعريض القوات لمخاطر كبيرة.

12- إعادة التنظيم:

ما أن تنتهي العملية الهجومية بدفع العدو للخلف واحتلال المنطقة المستهدفة تبدأ مرحلة غاية في الخطورة، فلا بد من استعادة السيطرة على الوحدات المتقدمة وإعادة توزيعهم بسرعة ودقة لصد أي هجوم معاكس، كما تبدأ الأعمال الإدارية لإعداد الموقع للدفاع حال تقرر البقاء فيه فترة أطول، أعمال الحفر والتحصين وترتيب الواجبات الدفاعية وتوزيع أقواس الرماية للأسلحة الرئيسية، وتبديل القوات بقوات حصلت على قدر من الراحة، وإرسال الدوريات للاستطلاع وللكمائن المتقدمة، والتنسيق مع المجاورين ... إلى آخر سلسلة الأعمال الدفاعية.

كذلك إخلاء الجرحى والشهداء وإرسال الأسرى للخلف وتعويض المصروف من الذخائر واستكمال الخسائر من الأسلحة، وإرسال التقارير عن الوضع وانتظار الأوامر الجديدة.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

الصورة بكل تفاصيلها للانطلاق نحو العالم

12- الاستراتيجية الشاملة

الانشغال بردود الفعل اليومية يلهي عن رؤية الصورة الكاملة لخارطة الصراع .. ففي الوقت الذي تشغل عدوك بالتفاصيل اليومية والمعارك الجزئية .. صف ذهنك للتركيز على الهدف الأساسي والتخطيط لتحقيقه .. عليك بالنظر لصورة مسرح الصراع من كل زواياها .. ثم .. قسمه لأجزاء تستولي عليها تباعًا .. حارمًا العدو من استقراره النفسي وعناصر قوته ومصادر طاقته وإمكاناته وتحلفاته ضاربًا مصالحه لإضعافه وإنهاكه ومن ثم انهياره.

الحماسة والمبالغة فيها تقلل من قدرة القيادة للسيطرة على عاطفتها وتشوش على أفكارها .. وبالتالي تحرمها اليقظة التي تمكنها من رؤية المشهد الكامل .. على القيادة أن تحذر من الحماسة المفرطة وتحافظ على يقظتها وحذرها لتبصر ما لا تراه العين وتسمع ما ليس في نطاق سمعها .. لتكون حاضرة وجاهزة لقهر أعداء الله .. كيقظة أبي بكر الصديق ﷺ وحراسته للمدينة .. ولا تنسى القيادة أن الحماسة للجنود كالحشوة الدافعة للصاروخ.

***

الإعداد الجيد للقيادة يؤهلها لتولي مهامها باقتدار عندما يحين وقتها، حينما توفي رسول الله ﷺ رمت العرب المدينة عن قوس واحدة، ارتد من ارتد من العرب ومنع بعضهم الزكاة ونجم النفاق في جزيرة العرب واشرأبت اليهودية والنصرانية، وعلى مشارف المدينة جيش أسامة ﷺ متأهب لمهمته، حينها أشار أهل الرأي على أبي بكر ﷺ بالتريث وتأخير إنفاذ جيش أسامة ﷺ، لكن أبا بكر ﷺ الذي استحضر المشهد كاملًا عدل عن رأيهم إلى خطة محكمة: فلم يمنح وساوس المتربصين وقتًا حتى أحبطهم وأجهض مخططاتهم بإنفاذ

بعث أسامة ﵁ إلى الروم فأحجمت بمسيره المناطق الشمالية عما حدثت به نفسها، ثم أمن أبو بكر ﵁ المدينة فجعل كبار الصحابة ﵃ يرابطون مع المقاتلة على منافذ المدينة وجعل بينهم وبينه مراسلين لنقل الأخبار وجمع أهل المدينة في المسجد استعدادًا لأي طارئ، ونفع الله بذلك؛ فعندما طرقت الغارة الأنقاب وجدت عليها المقاتلة والمراسلين الذين نقلوا الخبر لأبي بكر ﵁ الذي سار إليهم بأهل المسجد فردوا الغارة وغنموا عدوهم، ولما رجع جيش أسامة ﵁ غانمًا، عقد أبو بكر ﵁ أحد عشر لواءً لقتال المرتدين ومانعي الزكاة في كل أنحاء الجزيرة، فهزمهم بإذن الله، وانتهت حروب الردة، فعاقب من استحق العقاب وعفا عمن تاب وآب.

***

على الرغم من قصر مدة خلافة أبي بكر الصديق ﵁ إلا أنها مرت بمرحلتين رسمتا ملامح الاستراتيجية الإسلامية، التزم فيها أبو بكر ﵁ درب صاحبه ومعلمه ﷺ، في المرحلة الأولى: توجه نحو توحيد جزيرة العرب، ليجعل منها قاعدة انطلاق للقوة الإسلامية التي دفعها في المرحلة التالية لفتح العالم المعروف أنذاك فوجه الجيوش إلى فارس والروم.

والمتتبع لسير الفاتحين يجد تشابها بين انطلاقاتهم وبداية عهدهم بعد وفاة المؤسس، نجد هذا واضحًا مع المسيرة العسكرية للإسكندر المقدوني، لقد وحد والده الملك فيليب اليونان [باستثناء اسبرطة] ولما اغتيل الملك بادرت أثينا للانسحاب من الاتحاد وتبعها غيرها، واعتلى الإسكندر الشاب العرش فنصحه الجنرالات والسياسيون أن يتحرك ببطء ليعزز وضعه في الجيش وفي البلاد ثم يعيد إصلاح الاتحاد باللجوء إلى المكر والقوة معًا، لكن الإسكندر رفض ذلك ولم يمنح أعداءه الفرصة لينظموا قواهم فقاد الجيش بقوة وقسوة وحزم فدمر طيبة وردع أثينا وأعاد توحيد اليونان، ثم توجه بجنوده في خطوة جريئة نحو الفرس فهزمهم في [غرانيكوس] ولم يتعقبهم شرقًا كما لم يمنحهم الوقت، فسار

جنوبًا إلى مصر ليحرم الفرس من غلالها الوفيرة ومواردهم الأساسية ويساعد على استقرار الاقتصاد الإغريقي، كما حرم الأسطول الفارسي من شواطئه الغربية فجعل الأسطول بلا قيمة، وأرسى قواعد العدل مع شعوب المنطقة وأظهر رحمة أكسبته قبولًا عامًا، وما لبث أن تحرك شرقًا ليضع الفصل الأخير من حكم داريوس الذي فقد موارده وقواته البحرية ودعم شعوب المنطقة، لقد كانت حياة الإسكندر قصيرة مع إنجازات كبيرة.

***

نلخص ذلك في عدة نقاط:

1- توحيد الجبهة الداخلية في إطار وحدتها الجغرافية وهي جزيرة العرب، وحتى نفهم أهمية ما قام به الصديق ﵁ في حال لم يبادر إلى تنفيذ أمر رسول الله ﷺ بإنفاذ بعث أسامة ﵁ وإصراره على قتال المرتدين ومانعي الزكاة لعمت الفوضى ولما بقي من المسلمين إلا قلة بالمدينة ولتناقصت الشريعة ولم تصل لنا، ولعاد العرب إلى جاهليتهم ولحرم العالم من نور الإسلام.

2- الانطلاق بمن وحدهم إلى خارج جزيرة العرب: في حال بقاء الإسلام محصورًا بالعرب لأكلته الصراعات الداخلية، فدفعهم للخارج، فحول التنافس بينهم وقودًا لفتح العالم بدلًا من التردي في الصراعات الداخلية، ولم تخرج انطلاقة الإسكندر عن ذلك إلا لتحقيق حلم الانتصار على عدوهم التاريخي.

3- رؤية المشهد الكامل لمسرح الصراع وبناء الاستراتيجية الشاملة، فلم يغتر الإسكندر بالنصر الذي حققه فركض خلف داريوس؛ ولكنه فطن لخطر طول خط إدارياته والجيوب التي ستكون خلفه وعلى مجنباته ولذلك جرد عدوه من الأطراف والموانئ والجزر التي اعتمد عليها سابقًا في الهجوم على اليونان كما استولى على مصادر الدعم في مصر الغنية بالخيرات وحرم منها داريوس، ثم انطلق شرقًا للقضاء على عدوه.

4- مارس السياسة كما علمه أستاذه أرسطو فلم يسلب عدوه الأرض والخيرات فقط ولكن عقول وقلوب الناس أيضًا فكان كريمًا رحيمًا معهم فكسب ولاءهم وأمن شرهم، وأعاد بناء نظامه على الأسس الفارسية متفاديًا النواحي القاسية وغير الشعبية، وأفضل من هذا ما فعله الفاتح المسلم حيثما حل؛ فأقام العدل وملك قلوب العباد حتى أطلق على المسلمين اسم الفاتح الرحيم.

5- القدرة النفسية الرائعة في السيطرة على الانفعالات الشخصية: فأن تعاقب وبعنف رادعًا من تسول له نفسه الردة أو التمرد أو الشح فيما فرض عليه، كما أن تعفوا عمن تاب، وأن تكون سمحًا كريمًا مع أهل البلاد المفتوحة، وأن تأخذ من نظامهم ما يناسب دولتك، فهذا كله دليل على عدم التعصب أو التشنج أو الرغبة في الثأر والانتقام فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها.

6- الرسالة التي حملها المسلمون للعالم افتقر إليها الإسكندر فقد عالجت الرسالة الوضع بعد الحرب، أسست لمرحلة جديدة للوجود البشري على الكوكب، أخذتهم رسالة الإسلام من تفاعلاتهم البشرية وانتماءاتهم القبلية إلى مفهوم الأمة وأعطتهم منهجًا يقيم حياتهم فبعد تجاربهم العديدة لمناهج صنعتها أيديهم عانوا منها وابتلوا بها غيرهم، رسالة الإسلام كانت كاملة وكانت نعمة تلبي كل متطلبات النفس البشرية، الرسالة التي ارتضاها الخالق ﷻ للناس مهرها بقوله {... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ... {3} سورة المائدة.

7- لهذا أصبحت هداية سكان الكوكب الهدف السياسي الرئيس للمسلمين وهو هدف يمكن تحقيقه بجوادي الإسلام: الدعوة والجهاد، فمن يقبل بالدعوة لا ترفع عليه السيوف، ومن استحق الجهاد انطلق إليه ليرفع عنه ما يعيق رؤيته للدعوة، وليحرره من اختيارات أئمة الكفر، ليختار حرًا لآخرته ما يقيمها أو يفسدها عن تميم الداري رضي الله عنه

قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «ليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام وأهله، وذلًا يذل الله به الكفر».

8- هجوم "تيت" لم يكن هو العامل الحاسم في إخراج القوات الأمريكية من فيتنام، لكن آثاره غير المباشرة هي التي أتت أكلها، لقد صدم حجم انتشار ضربات الفيتكونج في طول البلاد وعرضها الشعب الأمريكي الذي عمل على إيقاف الحرب، الدور الإعلامي ونقل الصورة وكذلك الخطاب السياسي للعالم هو سلاح ذو حدين لا يهمل ولا يستعمل برعونة، رسالة الحضور الشامل لهجوم "تيت" تركت انطباعًا سلبيًا لدى الشعب عن قدرة قواته على حسم الحرب، أو حتى الاستقرار بعدها، ما فعلته داعش كان على النقيض فقد حملت رسائلها رعبًا للعالم فتحالف عليهم، اختيار الهدف رسالة، والخطاب السياسي رسالة، وما يفعل أو يقال لقوات العدو ليس عينه ما يقال لشعبه، والفارق كبير بين من يفجر في دور العبادة، وبين من يهاجم صحيفة أساءت لنبي الهدى ﷺ، لدينا قضية عادلة ندافع عنها كما لدينا دين ندعوا إليه هذه هي العناوين التي توجه للشعوب اليوم.

9- على المسلمين اليوم أن تكون لهم رؤية شاملة ذات مراحل: المرحلة الأولى يعملوا فيها على إضعاف العدو العالمي، والقضاء على عملائه في بلدانهم؛ وفق وسائل التغيير المناسبة لكل قطر وإقليم. والثانية أن يتفقوا على لم شمل الأمة تحت مظلة توحد قوتهم وتجعلهم قدوة، فتفتح المجال أمام قوتهم الناعمة للانطلاق نحو العالم. والثالثة أن ينطلقوا لأقاليم العالم دعاة هداة على هدي أجدادهم، ومجاهدين رحماء كما كانوا في عهد نبيهم ﷺ، إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولًا، والدعوة لدين الله مستمرة قبل وأثناء وبعد كل المراحل.

10- إن بناء الاستراتيجية المناسبة لتحقيق أهداف المراحل السابقة لا بد أن تخضع لرؤية شاملة تجمع بين العمل المباشر وغير المباشر، بحسب طبيعة كل أرض وكل شعب من شعوب الأمة، والخيارات أمامهم مفتوحة "الدعوة، الثورة، الانتفاضة المسلحة، حرب العصابات، العمل السري بالمدن، وحتى الانقلابات العسكرية ... إلخ"، المهم إحسان اختيار الوسيلة، وإحسان استخدامها، وهذا يتوقف على إحسان التحضير والإعداد الجيد للقيادة، حتى إذا حان الوقت كانوا رجال زمانهم.

11- على المسلمين ألا يقنطوا، وأن يكونوا على يقين أن حكام هذا الزمان وبطانتهم وجنودهم هم جزء من العدو، لهم مهمة واحدة وهي خنق الإسلام وشنق المسلمين وتسليم البلاد والعباد لأتباع الشيطان في ظل الصراع المرير منذ خلق آدم عليه السلام، وأن القضاء على هؤلاء الحكام وبطانتهم وجنودهم ومن وراءهم؛ وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من بني آدم هو جوهر مهمتنا وساعتها يتحقق النصر على إبليس وجنده فهو العدو الأول والأخير، قال الله ﷻ {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ {6} سورة فاطر، {قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً {62} سورة الإسراء، {إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا {117} لَّعَنَهُ اللّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا {118} وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا {119} يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا {120} أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا {121} سورة النساء، {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {22} سورة إبراهيم، { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ

مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ {16} سورة الحشر، { الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا {76} سورة النساء.

***

على الحكام أن يجهزوا بلادهم للاحتلال، عليهم أن يفقروا بلادهم بسياسات زراعية واقتصادية فاشلة، على شعوبهم أن تعيش أزمات متلاحقة لاصابتهم باليأس، التسبب بفساد اجتماعي؛ بالتضييق عليهم في الرزق ليعدو الزواج بعيد المنال، فتداوى الشهوات بالفاحشة، وتدمر مؤسسة الأسرة، على الشعب أن يفقد قوته؛ بعزله عن السلاح، وجعل أمر القتال بيد طائفة تم برمجتها للطاعة، وليس للتفكير أو الاختيار، يجب أن تكون الصناعات استهلاكية وليست تنموية، حتى يظل الشعب تابعًا للغرب وخاضعًا لتقنيته، وبالتالي مبهورًا بقوته الناعمة فيسهل اعتناقه لما يعرض عليه، القضاء على المدارس والتعليم والتربية الإسلامية، وهدم مؤسسة القضاء الإسلامي، ليفشو الجهل وتسلب المرجعية الشرعية منهم، على الحكام اغتيال المرشحين للقيادة قبل أن ينضجوا، لتضيع الخبرة، وتظل الرعية بلا راعي، ويفقد البناء أساسه، بدون مرجعية وبلا قوة تدافع ولا قلم يعلم ولا لسان يقود معركة الوعي ومناخ مشحون بالفاقة والعوز ومجتمع ضائع في التيه بلا راعي، بمثل هذا تخنق البلاد ويشنق العباد، هكذا بدت استراتيجية الأعداء الشاملة بعد المقاومة الباسلة من أجدادنا لحملاتهم عبر الزمان، لقد خرجوا وتركوا مخلفاتهم وراءهم لتنفذ ما فشلوا به، فحرب الإسلام علانية واحتلال آراضيه بالقوة تجربة محكومة بالفشل ولن تمكن لهم في الأرض، ولكن حصان طروادة مع تغريب المسلم عن دينه سيمنحهم لفترة ما يريدون، ولن تدوم، إلى أن يجدوا داءً جديدًا يقتل الغيرة ويخنق الوطنية ويزيفوا به التاريخ.

من خلال منظومتنا الإسلامية ندرك أن: الحاكم وأهل العلم والرأي هم الدولة يقيمون نظامها ويسوسون أمتهم ويقودنها، الأمة بكل أطيافها هي الأرض والجسد والجنود حاضرة للبذل والفداء، والدين هو الروح التي نفخت في بدنهم والتي تغذيهم بالقيم والمبادئ وتسموا بالطاعة والعبادة، ولا يجب على العاملين لله اليوم أن يهملوا أي منهم.

***

مبادئ الاستراتيجية الشاملة:

* واقعية الأهداف والتركيز عليها: ويمكن إيجاز أهداف الرسالة الإسلامية في خمس موضوعات: توحيد الخالق وإفراده بالعبادة، سياسة الدنيا بإقامة العدل والتكافل بين بني آدم كافة وفق تشريع سماوي منصف رحيم سواء للمسلمين أو من بقي على كفره من أهل الكتاب طالما هم يحيون داخل دار الإسلام وفق التشريع الإسلامي، حراسة وجود المسلمين وحفظ أموالهم وتأمين انطلاقتهم لنشر عقيدتهم، تحرير العقل برفع الضغوط والحجب عنه لتمكينه من الاختيار وتأمين العقول المسلمة من سلبها فكريًا أو حسيًا وحفظ العقول من أي مؤثر يشوش عليها أو يضر بها أو يحجب رؤيتها، وعمارة الأرض باستثمار نعم الله في الكوكب على أحسن وجه ممكن.

السمة المهمة التي يجب أن تتصف بها الأهداف أن لا تكون أُمنيات، كما يجب أن تكون الأهداف واضحة واقعية متجذرة بعيدة المدى وتمنح جميع الأفعال ثبات الاتجاه، وهي نقطة يفقدها القادة بمرور الوقت ويدورون حولها.

* الرؤية الشاملة: ساحة الصراع كبيرة ومعقدة والنفس البشرية أكثر منها تعقيدًا، والصراع لا يكون في مسرح العمليات فقط بل يتخطاه إلى البطن الرخو للدولة ويمد أذرعه لتصل إلى الحلفاء في الإقليم وخارجه، وليس بالضرورة تبني برنامج عسكري لهم، فمنهم من تستوعبه السياسة، ومنهم يغير الإعلام قراره، ومنهم من ترده الدعوة والهداية

وانشراح الصدر، ومنهم من يقبل بمنح اقتصادية، وكثير منهم يردعهم التهديد، وهناك من يتعظ بغيره، (بعد احتلال العدو الأمريكي وحلفاؤه العراق قام القذافي بفك مفاعله النووي دون أن يشهر أحد في وجه سكينًا)، من فقه التهديد أنه ليس بالضرورة أن يؤدي بالكل إلى الاستسلام بل يكفي إصابة البعض بالخوف على مصالحهم ليتم تحييدهم من الصراع.

***

* قطع الجذور: أي قطع رأس الأفعى لحكام هذا الزمان تم توليتهم بإرادة خارجية ولا أوضح من أن يقول الرئيس الأمريكي أنه وضع رجلهم في سدة الحكم بالرياض، ولله در القاعدة حينما عمدت لضرب الرأس، لقد غزا "هنيبال" إيطاليا ولم يتمكن جنرالاتها من هزيمته، فقط "سيسيبو أفريكانوس" نظر للصورة الكاملة وأدرك أن جذور "هنيبال" تخرج من قرطاج، فقام بغزوها واجتاحها ودمرها فلم يكتف برد "هنيبال" عن روما وإنما أخرج قرطاج من المنافسة معها.

* أن تسلك الطريق المباشر أو غير المباشر للهدف رهن بعوامل كثيرة، والمفاضلة بينهما تخضع لمناقشة عميقة، حينما عمد الجنرال جياب للعمل المباشر في هجوم "تيت" ولد انطباعًا سلبيًا كما أسلفنا لدى الشعب الأمريكي عن الحرب فأوقفها، في حين أن الهجوم الياباني المباشر في بيرل هاربور جاء على النقيض فقد ولد لدى الشعب موجة من الغضب لم يُطفأ حرها إلا بالقنبلة الذرية، ويظل الاختيار غير المباشر محمود الأثر فالحرب خدعة وتعتمد تحركاتها الحاسمة على السرية، أن تحرم العدو من معرفة نواياك وأهدافك وقمت بخداعه فلا يعرف أين تذهب ولا أين الهدف الرئيسي وجردته من الرؤية فقد ملكت زمام المبادرة.

***

تواجه الاستراتيجية الشاملة عدة مخاطر: أهمها خطر النجاح الذي يفقدنا الرؤية

وتخدعنا بعض الانتصارات فلا نراجع أنفسنا أو برامجنا في حين أن عدونا يطور من نفسه، لا بد أن نعتاد على النقد الذاتي طوال المسيرة لإصلاحها وضمان عدم سقوطها في فخ النجاح.

خطر آخر مخيف ويكمن في حالة التردد التي تنتج من المعرفة الكثيرة، حينما ترى كثرة الاحتمالات وتفقد القدرة على اتخاذ القرار ويصعب التحرك وتصاب بحالة من الجمود، القائد الفذ هو الذي يخطط قدر ما يستطيع ويرى أوسع وأعمق ويتقدم في الوقت المناسب.

سيظل الواقف فوق القمة يرى أبعد من القابع في الوادي، وسيظل الواقف تحت الشجرة يرى بعضها حتى إذا خرج من محيطها رأى الصورة الكاملة، هذه الأمثال هي أساس فلسفة الاستراتيجية الشاملة.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

اعتني بالتفاصيل والإشارات ولغة الجسد لتكشف النوايا

13- استراتيجية المعلومات

الإشارات التي يطلقها الناس تبين حركتهم التالية لمن يلتقطها ويقرؤها؟ .. حينما سأل الأسد العجوز الثعلب الواقف على فوهة الكهف: لماذا لا تدخل؟ قال الثعلب: كنتُ دخلت لو لم أر الكثير من آثار الخطوات الداخلة إلى الكهف دون أي خطوات خارجة.

بعد غزو العراق للكويت قال بوش الأب لصدام حسين: دعنا نرسم خطًا.

حينما سأل مراسل أمريكي الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله عن خطوته القادمة فقال له: الجواب ما تراه لا ما تسمعه؛ ووفّى بها .. كما وفّى من قبل هارون الرشيد.

عندما عُرض على سيد العصر في الوفاء الملا عمر رحمه الله بيع الصنم قال: لأن ينادى عليّ يوم القيامة أين عمر هادم الصنم؟؛ أحب إلى من أن ينادى عليّ أين عمر بائع الصنم؟ .. ووفّى بها كما وفّى من قبل محمود الغزنوي .. ما نقوله أو ما تخطه أيدينا يجعلنا كتابًا مفتوحًا فكل إناء يفيض بما فيه.

***

أربعون عامًا وأفغانستان "قاهرة الامبراطوريات" تقاوم بكبرياء.

في نهاية عام 1838 غزا الانجليز أفغانستان لأنها ستؤمن مصالح بريطانيا ضد الروس، كما أن نجاح الحملة مضمون فرجال القبائل الأفغانية يحملون أسلحة بدائية، والجيش الإنجليزي سيقدم نفسه على أنه محرر لأفغانستان من الغشم الروسي، وكجالب للتقدم والتحضر والدعم، وسيضعون وكيلًا لهم يرعى مصالحهم [الشاه شجاع] ملكًا على أفغانستان، وعندها يغادر الجيش ويصبح النفوذ البريطاني غير مرئي للشعب الأفغاني،

هكذا كانت رؤية مخطط الحرب الإنجليزي [ماكناتن] فما الذي حدث حتى أبيد الجيش البريطاني عن بكرة أبيه ؟!!.

الذي رأه الشعب الأفغاني ولم يلحظه قائد الحملة [ماكناتن]:

أن الشاه بدا مع كبر سنه خاضعًا للمحتل، الحاكم السابق لأفغانستان [دوست محمد يعد جيشًا في الجبال لطرد المحتل، أهان المحتل القبائل في الجنوب وسلب أراضيهم من أجل الطعام، استدعى قائد الحملة مايربو على 12 ألف هم عائلاتهم وخدمهم وجنود إضافيين، شاهد الأفغان أيضًا في شوارعهم عادات غريبة "الخمور - سباق الخيل – المسرح ... إلخ"، خفض المحتل رسوم العبور في المناطق القبلية التي تُدفع للقبائل إلى النصف، اتبع المحتل سياسية فرق تسد بين القبائل في محاولة فاشلة برشوة سياسية لأحد قادة القبائل.

أما الحاكم البريطاني [مكناتن] فكل الذي رأه:

أن [الشاه شجاع] بلا شعبية؛ فقرر البريطاني عدم مغادرة أفغانستان للحفاظ على مصالح بريطانيا، لم ينصت للأصوات التي حذرته من نشر العادات الغربية في الشارع الأفغاني، تعلل بأن كل شيئ سينسى ويغتفر عندما يغادر الجيش وما أن يشعر الأفغان بفوائد الحضارة الإنجليزية حتى يزداد امتنانهم، تجاهل نصيحة [الشاه شجاع] حول اغتيال خصومه.

في نهاية 1841 أحرق الشعب الأفغاني [الكسندر بورنيس] المسؤول عن السياسة البريطانية بكابل في بيته الذي أكلته النيران، وانتشرت الثورة على الإنجليز، فعقد [مكناتن] علنًا اتفاقية يخرج بموجبها الجنود الإنجليز ومرافقيهم من أفغانسان في مقابل تأمين الأفغان الطعام لهم خلال انسحابهم، وفي نفس الوقت أعد حيلة تساعد على بقاء النفوذ الإنجليزي في أفغانستان، فأرسل سرًا عارضًا رشوة سياسية على أحد زعماء القبائل بجعله

حاكمًا على البلاد وسيموله بسخاء للقضاء على الثورة، ولتأكيد الاتفاق ذهب [مكناتن] للقاء الزعيم القبلي [أكبر خان]، ولأن معدن الأفغان نفيس قبض [أكبر خان] على [مكناتن] وأرسله للسجن، وفي الطريق احتشد الأفغان وقاموا بتقطيع [مكناتن] لأشلاء وساروا بأطرافه في كابل وعلقوا جذعه على خطاف الجزار في سوق كابل.

وأجبرت القبائل الأفغانية ذات التسليح البدائي الإنجليز القوة العظمى ذات التسليح الحديث والمهول على الانسحاب من طريق [كابل - جلال آباد] 160 كم فقط، وخلال الطريق وبمعية الله قضى الأفغان والطقس السيء على 17000 جندي إنجليزي مع عائلاتهم وخدمهم، مسطرين بالدماء نهاية الحملة الأولى الفاشلة للإنجليز على أفغانستان التي لم تتجاوز سنتين وأشهر قليلة.

في 13 يناير 1842 وصل إلى الحدود الأفغانية الهندية بجلال آباد حصان يشق طريقه وسط الثلوج باتجاه البوابة، كان راكبه نصف الميت هو الدكتور [ويليام برايدون] الناجي الوحيد من الحملة البريطانية الملعونة لأفغانستان، فهل اتعظ الأمريكان؟.

***

لقد أغلق [مكناتن] عينيه وأصم أذنيه فلم ير الإشارات كما لم يسمع التنبيهات والنصائح، ولو أنه تواصل مع الهنود الذين عاشوا بأفغانستان لأخبروه أن الشعب الأفغاني من أكثر الشعوب كبرياء واستقلالية على وجه البسيطة؛ وأن مشهد القوات الأجنبية في طرقاته هي إهانة لا تغتفر، وأن محاولة تغيير عاداتهم لما يراه هو تحضرًا؛ عندهم فسق وفجور وخروج عن العرف والتقاليد، أما سلبه لأموالهم وأرضهم هو خط أحمر لا تحمد عقبى تجاوزه، وأسوء ما هداه إليه عقله تخيله أن المال وجاذبية المصلحة الذاتية تشتري له الولاء بين الأفغان، أن ترى من منظورك أنت!!، وتفهم كما تحلم أنت!!، وتريد أن تجبرهم على تبني مشروعك!!، وتديرهم كما يحلو لك!!، فأين هم من كل ذلك بل أين أنت؟،

إنه عمى البصيرة لنفس مريضة وهكذا المحتل دومًا وكذلك الطغاة قال الله تعالى عنهم {... قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ {29} سورة غافر.

الأفغان غير قابلين للتطويع بل تكمن عزتهم في المواجهة والصراع، وهذا هو أسلوب حياتهم: إله يعبدونه، دين يفخرون برفع لوائه، وأرض صلبة يعشقونها ويحرسونها، وجبال وعرة يمتطون قممها ويروضونها، وهواء نقي يتنفسونه، فمن يجرؤ على أن يسلبهم حريتهم أو يعكر عليهم صفو حياتهم.

لقد مر على أفغانستان الإسكندر المقدوني فلم يهنأ فيها، وتبعه الإنجليز فما عاد منهم إلا برايدون، ودَفن الروس في أرضها أشلاءً أُطلق عليها يومًا الاتحاد السوفيتي، واليوم تجتهد أمريكا في الفرار لتبقى متحدة وهيهات فلعنة أفغانستان أصابتها، كما أصابت الإمبراطوريات قبلها، إنها مقبرة الغزاة فمن يجرؤ على العودة؟، بل راياتها السود تخرج فاتحة للغرب قريبًا إن شاء الله.

وبقيت كلمة: ليس بالسلاح وحده ننتصر وإنما بهذا الدين، القدرة على تحقيق النصر ليست بحداثة السلاح وتطوره، ولا بالصواريخ والطائرات والدبابات، ولا بالتقنية الحديثة، ولا باسم الإمبراطورية إنجليزية أو روسية أو أمريكية، إنما بهذا الدين الذي عمرت به قلوبهم، وبهذه اليد الصابرة المحتسبة التي تمسك بالسلاح، هؤلاء هم الأفغان المسلمون، البلد والشعب الذي أذل أعتى الإمبراطوريات، لا أحد يقدر عليهم طالما أن الله معهم.

***

في لعبة السياسة من الأهداف الاستراتيجية "شخصية متخذ القرار" سواء كان شخصًا أو مجموعة، ادرس بعمق شخصية القائد وبطانته المؤثرة في القرار، تعرف عليهم عن قرب، حدد نقاط ضعفهم، ليس بالضرورة أن تكون النساء أو المال، ربما رغبته في إثارة الإعجاب

أو حرصه على إخفاء بعض المظاهر الجسمانية أو حلمه بأن يقبل به المجتمع السياسي كند، أو توقه لأن تقبله الطبقة الاجتماعية الأعلى كعضو، أو حرصه على احترام نفسه ... إلخ، فحتى أقوى الرجال لديهم نقاط ضعف إنسانية.

الجزء الثاني في اللعبة هي إعطاء هذه القيادة ما تريده بشدة لتنال منها ما تريد، فرجل المخابرات يمنح إعجابه لمن يطلب الإعجاب ليجعله يستمر في الثرثرة والإدلاء بالمعلومات أو لتوجيهه بشكل غير مباشر لما يضره أو لتخويفه فلا يقوى على الخطوة التالية، كما أن القيادة التي ترغب في أن ترفع من طبقتها الاجتماعية فربما تداوى ببعض المال أو بالزواج من إمرأة من الطبقة الأعلى، وهكذا يمكن اكتساب ثقتها ومن ثم إدارتها عن بعد لحتفها، هكذا فعلت أوروبا بنابليون "عبقري الحرب" حتى قضت عليه، فحينما تقضي على القائد تتوه القوات، وقديما قيل "اضرب الراعي تتفرق الخراف".

***

وبقيت نقطة:

في اللعبة الدولية الحديثة حينما تحاول بعض الشعوب أن تفلت من وطأة الإمبراطوريات المستعمرة؛ تلجأ الأخيرة إلى الخيار شمشون "علي وعلى أعدائي" وتنفذ ذلك من خلال الحكمة الإنجيلية "اضرب الراعي تتبدد خراف الرعية" فتقوم بإثارة الفتن الداخلية فتُدخل البلاد في متاهة وحالة من الفشل تتبدد معها الثروات وتضيع كثير من الفرص، وللخروج من هذا المأزق لجأ المستعمر لإعادة صياغة الحكمة السابقة -فالإنجيل على كل حال محرف ولا يضره زيادة البلل- كالأتي: "اكسب الراعي تكسب خراف الرعية"، أليس هذا ما تعيشه اليوم بلادنا الإسلامية؟.

***

الأساس في نشأة أجهزة الاستخبارات هو رغبة القيادة في معرفة:

أولًا: نفسية القيادة المعادية ونفسية بطانتها والمؤثرين في اتخاذ القرار، فمن المهم أن نعرف كيف تفكر وما هي المرجعية التي تحكم مسيرتها، والضوابط العامة والخاصة لشخصية القائد وأعوانه المتنفذين، وخلاصتها أن تجعل الخصم كتابًا مفتوحًا يمكنك توقع تصرفاته بدقة عالية.

ثانيًا: الحصول على المعلومة الخام لتحركات العدو، ليس المعلومة العسكرية فقط وإنما السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية ... إلخ، فكل خطوة يخطوها في كل منها هي مؤشر على مجموعها النهائي، وهو الهدف الذي تسعى الدولة لتحقيقه وربما الذي كلفت بتحقيقه!.

ثالثًا: رؤية الإشارات التي تنبئ بالخطوة القادمة للعدو، جرت العادة أن لدى البشر رغبة مكبوتة في كشف نواياهم، ولهذا فمن خلال ملابسهم، ومن خلال لغة الجسد، وتصرفهم بعقلانية، أو بعصبية، أو بدعابة، أو حتى بالرقص [البشير] ورؤية بث عيونهم، أو بتحديدهم أيام خاصة للقاءات الإعلامية، أو صياغة عبارات لها دلالة خاصة، أو مستوحاة من كتبهم [المقدسة]، أو لها معنى ودلالات من خلال الحكم والأمثال والقصص الشعبية والأساطير القديمة، فكل هذه رسائل يكشفون بها عن نواياهم، وربما عن حيلهم!.

التعرف على نفسياتهم تجعلهم كتابًا مفتوحًا، المعلومة الخام هي الواقع العملي، رؤية الإشارات تكشف النوايا، وكلها تكسبنا الرؤية والإحساس بالأمن أو الخطر، وتجعلنا نتنبأ بالخطوة أو الخطوات القادمة.

***

* نصائح مخابراتية:

- في العمل المخابراتي المطلوب من عنصر المخابرات إحضار المعلومة الخام كما هي، على أن يدون تحليله الشخصي في تقرير منفصل.

- نوعية المعلومة أهم من كميتها، خاصة النفسية منها، فمعلومة صغيرة تفيد بأن الخصم شخص عصبي يسهل استفزازه، فنحن أمام شخص نادرًا ما يفكر بطريقة صحيحة، ويمكن سوقه، والسيطرة عليه، وإفقاده توازنه، لاتخاذ المزيد من القرارات الخاطئة.

- الأزمات تكشف نقاط ضعف العدو خاصة؛ تلك التي يجتهدون في إخفاءها، ووضع الخصم في موقف دفاعي يجعل رد فعله فاضحًا لأكبر مخاوفه التي سيبذل الوسع في سترها.

- المعلومات القيمة هي ثمرة شبكة من الأصدقاء والحلفاء، الأبواب الخلفية التي يدخلون ويخرجون منها تساهم في الحصول على أثمن المعلومات، كما تساهم في تسوية الكثير من النزاعات، ولا غنى عن هذه الشبكة غير الرسمية.

- جرت العادة أن تضم شبكة المعلومات الرسمية: بخلاف أصحاب النفوس الضعيف، يمكن ضم الشخصيات المناهضة للعدو وترغب في التعاون، المنبوذون والمهمشون، الأقليات الطامحة للتحرر والاستقلال، القبائل التي تم إذلالها، كل من له ثأر مع نظام العدو وله رغبة في القضاء عليه.

- لا يمكن الاعتماد على نوع واحد من الشبكات، كما لا يمكن الاعتماد على معلومات يأتي بها عنصر واحد.

- قراءة مؤلفات القادة تجعلهم كتابًا مفتوحًا للمدقق، مثل هذه المؤلفات تحتاج إلى دراسة عميقة.

- العدو ليس أحمقًا ولا جامدًا لا يتفاعل أو يتغير، هو أيضًا يمارس نفس ما تفعله، والصراع بين عقلين متجدد ومتغير، إن عمق المعرفة بنفسية العدو لا تغني عن حداثة المعلومة، خاصة إذا كان العدو يعتمد على المؤسسات وليس على الأشخاص الذين يتواجدون على قمتها لفترة من الزمن.

- اعرف عدوك جيدًا قبل اتخاذ أي خطوة، فالقائد الانجليزي [مكناتن] تغافل باستعلاء عن فهم الشعب الأفغاني ولم ير عزة نفسهم وكبريائهم وبالتالي لم يلمح بريق سيوفهم إلا عندما شرعت في تمزيق جسده.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

قوة الصدمة وخفة الحركة والاتجاه المجهول

14- استراتيجية الهجوم الخاطف

المعلومات: [الاستطلاع والمخابرات] .. الإعداد الدقيق: الخدعة [إشباع غرور العدو] .. جذب العدو للجهة التي يتوقع منها الهجوم لتثبيته .. المفاجأة: [السرعة .. القوات المحمولة .. الظهور القوي من الجهة التي استبعدها العدو] .. إنه الهجوم الخاطف.

التردد ليس خيارًا .. ولكن الإعداد الدقيق يعني: دراسة المعلومات عن العدو ومعرفة نواياه .. نشر الإشاعات في جبهة العدو وبين شعبه .. وضع الخطة لضرب العدو نفسيًا وعسكريًا .. القوات المحمولة مع شؤون إدارية خفيفة .. خطة الخداع .. خطة تثبيت الجبهة الرئيسة للعدو .. المناورة الخاطفة حيث لم يتحضر لها العدو .. تعميق حالة الإرتباك وفقدان التوازن في صفوف العدو .. استثمار المفاجأة إلى أقصى قدر ممكن.

يكمن جوهر هذا الهجوم إلى الاستخدام الجيد للقوات الناتج عن الفكر العسكري وليس التفوق العددي .. قديما قيل: من مأمنه يؤتى الحذر.

***

تعرف الحرب الخاطفة بأنها: "عملية تسلل عميق وسريع وعنيف بالقوات المحمولة [القوات المدرعة وقوات المشاة الميكانيكية مع استخدام الطيران] لاختراق نقاط الضعف في جبهة العدو أو الالتفاف عليها، بهدف إحكام حصاره لتسريع انهيار قواته".

الحرب الخاطفة موروث تاريخي قديم ساهمت فيه كل الأمم، ومارسه عدد من القادة هم الأبرع في زمانهم "صن تزو، الإسكندر الأكبر، خالد بن الوليد، جنكيز خان، فريدريك الثاني" وكتب عنها فولر وليدل هارت.

من سمات الحرب الخاطفة الأساسية: "الاقتراب غير المباشر"، "قوة الصدمة"، "خفة الحركة"، "سرعة الحسم"، "تعزيز النجاح"، "المناورة بالجهود"، "استراتيجية الإجهاد"، "تجزئة العدو"، "تدميره على التتابع" ... إلخ.

الحرب الخاطفة ليست اختراعًا ألمانيا، لكن الألمان [هتلر] استخدموها بذكاء خاصة مع التطور الكبير في أسلحة عصرهم "الطائرات، الدبابات، المشاة الميكانيكي، وحدات المظليين، وسائط التواصل والتشفير ... إلخ".

***

استراتيجية الحرب الخاطفة عند المغول والألمان:

1- حداثة المعلومات ونشر الإشاعات: فهي حرب استخبارات بامتياز يتولى فيها الاستطلاع والمخابرات: تأمين المعلومات وممارسة الحرب النفسية [كان يكفي أن يقال المغول قادمون لتنهار الجبهتين الداخلية والعسكرية]، تحديد نقاط الضعف والثغرات في مواجهة العدو، تحديد الجهة التي لا يتوقع منها العدو الهجوم الرئيسي.

2- مشاغلة الجبهة بهجوم على المواجهة الرئيسية بهدف تثبيت القوات المدافعة، وسحب بعض القوات بحيلة الهزيمة لمطاردتها إلى جهات ثانوية لخداعها عن اتجاه المجهود الرئيسي.

3- مناورة المجهود الرئيس التي تعتمد على القوة المدرعة التي تنطلق من خلال مهاجمة الثغرات التي تم تحديدها لتحقيق اختراق عميق لخطوط العدو بهدف: قطع خطوط إمداداته، وإرباك مراكز مواصلاته وتدمير مراكزه القيادية والإدارية، ضرب وحدات الاحتياط، وتطويق دفاعاته لإحكام حصار جبهته للإسراع في انهيارها، ويتم تأمين الوحدات المدرعة باندفاع وحدات المشاة المحمولة من خلال الثغرات لتحكم الحصار.

ملاحظة: لم يكن لدى المغول وحدات مشاة وإنما سلاح فرسان يتبع كل فارس أربعة

جياد للتبديل مما منحهم سرعة تفوق سرعة أي جيش آخر في زمانهم كما ساهم تكتيكهم هذا بظهورهم المفاجئ في الأماكن غير المتوقعة، راجع إسقاط الدولة الخوارزمية.

تعتمد هذه الاستراتيجية على ثلاثة أعمدة: مجموعات متحركة، التنسيق الكامل بينها، جودة منظومتي: الاتصالات التقنية والتواصل البشري.

***

دور وحدات الاستطلاع العسكري في الحرب الخاطفة:

يتبلور في تحديد مراكز قوة العدو لتجنبها، ونقاط ضعفه لاستثمارها، وهذا يعني بالضرورة استكشاف الثغرات التي لا يتوقع العدو التقدم منها وبالتالي يهملها، شريطة أن يكون بها طرق، أو يمكن إنشاء ممرات للانتشار تساهم في سرعة التغلغل في عمق العدو، أو الالتفاف عليه قبل الاندفاع من الثغرة.

في حالة وجود محاور خطيرة يصعب عبورها [صحراء أو مستنقعات أو تقاطع أودية أو أنهار]، فلا بد من تجنيد "أدلة" لتجاوزها، مع الأخذ بعين الاعتبار أن وسائل الملاحة الحديثة يجب الاستفادة منها في حالة عدم تمكن العدو من تعقبها، وقديما قيل: قتل أرض عالمها وقتلت أرض جاهلها.

من المهام الحاسمة لوحدات الاستطلاع في المحاور الخطرة أن تقوم بتوفير مخابئ إدارية لتموين الوحدات المتقدمة أثناء عملية التسلل خاصة إذا كان المحور طويلًا.

من المهم أيضًا أن محاور الاقتراب غير المباشرة لا تسمح للعدو باستخدام احتياطيه، بل تفاجئه بوجود قوات الهجوم على رأسهم، وفي حال وجود ثغرات تمكن قوات الاحتياط من التسلل منها لمهاجمة وحدات الهجوم فلا بد من تأمين هذه الثغرات إما بالنيران أو الألغام أو الموانع الهندسية المناسبة لعزل احتياطي العدو.

يفضل أن تقوم وحدات الاستطلاع بالتعاون مع وحدة الهندسة العسكرية بإنشاء ممرات عرضية جديدة ومفاجئة للعدو لتسهيل المناورة الجانبية أو الالتفاف لتخدع العدو وتظهر أمامه في الوقت المناسب، أو بحيث تظهر كأنها متجهة إلى نقطة معينة ثم تحويل اتجاه تحركها في آخر لحظة إلى الاتجاه الحقيقي.

***

دور المخابرات في الحرب الخاطفة:

تقوم فلسفة المخابرات في الحرب الخاطفة على ضرب البطن الرخو للعدو نفسيًا بهدف: تدمير إرادة الشعب وإجهاض رغبته في المقاومة، وهزيمة القيادة السياسية من الداخل، في أسرع وقت وبأقل تكاليف، وعليه تبحث المخابرات عن نقاط الضعف لدى الشعب وتعمقها وتتسلل منها قبل اندلاع الحرب.

فمن خلال الطابور الخامس تمارس أساليب الحرب النفسية: الشائعات، تشويه الحقائق، التضليل والتلاعب بذاكرة الشعب، وبث سموم الفرقة بين شرائح المجتمع من خلال تضخيم الفتن الدينية، والحروب الحزبية، والثارات العرقية، والخلافات القبلية، والأحقاد الطبقية، وتشغل منظومة الحكم والشعب في متاهة تدمر الوحدة والانسجام السياسي أو تضعفها.

وليس بعيدًا عن التحركات العسكرية على الحدود القيام بأعمال التخريب للبنية التحتية للدولة، واستنزاف قوتها الاقتصادية، فتفجير الجسور والسدود الصغيرة، وضرب شبكات الكهرباء، وتلويث المياة، وإشاعة حالة من الرعب، تهدد الاستقرار الأمني الداخلي ... إلخ.

كل ذلك يربك القيادة السياسية، ويستنزف قدرتها الاقتصادية، خاصة عندما يستغل التجار الموالين للعدو والممولين منه الوضع لإضعاف العملة المحلية، واحتكار السلع

الرئيسية، وإغراق البلد في سلسلة من الأزمات، ناهيك عن الحصار الاقتصادي؛ الذي تمارسه بعض الدول بهدف شرخ السكينة والاستقرار الاجتماعي وإضعاف الروح المعنوية، وانتشار الحسد والفرقة والسرقات والنزاع الطبقي.

ولتوضيح هذا المجهود بجلاء، تراجع الحرب المضادة على الثورة المصرية 2011 ودور المخابرات الدولية والإقليمية والمحلية، واستخدامهم اللامحدود للإعلام الفاسد في الانقلاب عليها.

***

مبادئ الحرب الخاطفة:

1- المفاجأة وهي تتحقق بإفشال توقعات العدو في تحديد: "الوقت أو المكان أو نوع السلاح أو الوسائط الحديثة أو أسلوب التكتيك" وبنجاح إخفاء نوايانا عن قوات استطلاعه وأجهزة مخابراته، بهدف توجيه ضربة خاطفة تسهل انهياره.

2- السرعة: في المحافظة على المبادأة وسبق العدو بخطوات لاستثمار المفاجأة في تعزيز النجاح وضرب قوات العدو الاحتياطية، وحرمان العدو من الوقت لإعادة تجميع قواته وحشدها أو إجهاض محاولة انتقاله لموقع دفاعي جديد.

3- تحقيق التفوق المحلي: أي منح قوتنا الأفضلية بتركيز الجهود في اتجاه المجهود الرئيسي الموجه نحو أضعف نقاط العدو، يجب أن يتم تحقيق تفوق في العدد والسرعة والنيران لتحقيق اكتساح في الثغرات واستمرارية في الضغط على العدو وإجهاده والمحافظة على المبادرة والمفاجأة.

4- المناورة: هي الاستخدام المرن للقوات لتحقيق الانسجام بين النار والحركة والأرض، والتقدم من خلال الالتفاف على جبهة العدو أو اختراق أضعف نقاط الجبهة

لتحقيق التفوق ومن ثم إرباك العدو ووضعه في موقف غير متكافئ.

5- تثبيت الجبهة: أي مشاغلة كامل الجبهة في المواجهة وعلى الأطراف وفي العمق القريب، لتشتيت رؤيته وخداع فكره وتبديد جهوده واستنزاف قدراته، ولتغطية تحركات وحدات المناورة وفسح المجال أمامها لتحقق المفاجأة بالسرعة المطلوبة والعمق المناسب لانهيار الجبهة بكاملها.

6- الأمن [السرية والخداع]: إخفاء نوايانا [الاستراتيجية] وتحركاتنا [التعبوية] وخططتنا [التنفيذية "التكتيكية"]، لإعماء العدو عن رؤية: الحشود [تركيز الجهود]، اتجاه التقدم للمناورة، نقاط الاندفاع.

7- العامل المعنوي: الإيجابي لوحداتنا النابع من معتقداتنا والمشبع بالحماسة وروح التضحية والفداء، والسلبي لوحدات العدو وشعبه كما أسلفنا في دور المخابرات.

من المفيد التنبيه على عيب يواجه الحرب الخاطفة وهو صعوبة توفير الإمدادات الإدارية والإسناد الناري المباشر، وعلاج ذلك يكمن في السرعة والمفاجأة والتفوق المحلي والأمن.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

افرض على أعدائك مجالًا يمنح الحياة؛ ليفكروا بطريقة أخرى

15- استراتيجيات الضغط

فلسفة الأناكوندا: "التي تسمح بافراغ الهواء لا إدخاله .. تقيد عدوها وتخنقه وتحرمه من المبادرة .. تعصره وتفرمه وتشكله لتتمكن من التهامه كاملًا" .. لا حدود لقسوتها .. إنها غريزة الحيوان .. وما أكثر وجودها بين البشر.

ركز بعمق على القاعدة التالية: "دافع وأنت تهاجم .. وهاجم وأنت تدافع .. وهاجم بعنف وأنت تفاوض".

في الصراع السياسي علينا: أن نضغط ونقاوم ضغط الأعداء في آن واحد .. المطلوب: أولًا: أن نحدد طبيعة العلاقة ونعرفها .. ثانيًا: أن نضبط سرعة الإيقاع ونفرض إيقاعنا.

في الصراع السياسي والعسكري التحدي والاستفزاز يُسهل نقل موضوع الصراع إلى منطقة من اختيارنا.

تقتضي الحكمة السيطرة على نمط تفكير العدو واستدراجه إلى متاهة الغضب أو العظمة أو الرضا: "تغضبه ليفقد اتزانه ويقع في سلسلة لا متناهية من الأخطاء .. تمدحه ليزهو بنفسه ويترفع على العقلاء ويبقى فريسة جهله ووحدته وأنانيته .. تشعره بالسيطرة لتقل يقظته ويتملكه الرضا القاتل عن نفسه".

القائد المنتصر في الصراع العسكري يفرض على أعدائه مجالًا يحجمهم فيه ويسمح لهم بالتنفس .. ويمنحهم فرصًا لإعادة التفكير والاختيار فنحن مسلمون ولسنا أناكوندا.

***

من البراعة قبل الحرب:

أن نعرف أعداء الدين ونصنفهم لنحسن التعامل مع كل صنف: الدعوة للجميع، ومنهم من تغزوه بالقوة الناعمة، ومنهم من تغزوه بالقوة الخشنة، ومنهم من تتحالف معه، ومنهم من تهادنه ... إلخ، والواجب ليس ابقاؤهم فقط تحت ضغط السنان واللسان بل إمرار سحب الرحمة الإسلامية في التعامل عبر سمائهم ليقارنوا بينها وبين ظلمات حياتهم.

وهذا لا ينفي أن هناك خصومًا ومنافسين ينتمون للدين ولكن طموحهم تسوقه أطماعهم، فالحرص كل الحرص على عدم سفك الدم الحرام فيقدم الصلح والقضاء على القتال، قال الحق سبحانه وتعالى: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {9} إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {10} سورة الحجرات.

ومن البراعة في الحرب:

أن نسيطر على فكرهم العسكري ونستدرجهم إلى منطقة نألفها ولا يألفونها، أن نحضر الميدان بما يمنحنا التفوق ويحرمهم منه [بدر]، بأن نمنحهم طعمًا ما يتوهمونه ضعفًا فهذا يجعلهم يندفعون حيث نريد أن نحشدهم [حطين]، ولطالما حارب المسلمون الأوائل وظهرهم إلى الصحراء، وسمحوا لعدوهم بعبور الجسر بعد أن جربوا عبوره، وحاصروا عدوهم وظهره للهاوية [اليرموك]، وبنوا أو حفروا الموانع ليكسروا إرادته [الخندق]، ودمروا الإمبراطوريات بحرب العصابات [أفغانستان]، هكذا فعل عباقرة القادة ساقوا أعداءهم لحتفهم بظلفهم.

والقاعدة في ذلك: لا تُقبل على حرب حضر لها العدو، واستدرج العدو إلى حرب حضرت لها.

ومن البراعة بعد الحرب:

بل من الحرص على الإنسان في الأرض أن نمنح جنود العدو وشعبه بعد هزيمتهم فرصة يتنفسون فيها تحت ظلال الإسلام ونجدد لهم الدعوة ونمنحهم الخيارات، بعد أن رُفع عنهم ضغط الساسة وأئمة الضلال وتحررت عقولهم.

كذلك أن نحدد للخصوم أو المنافسين مجالًا ينفسون فيه عن كبتهم؛ يحفظ حياتهم ويمنعهم من الفتنة، أن نسمح لهم بالقدر الذي يمنحهم الأمن والاستقرار ولا يمكنهم من أخذ زمام المبادرة، وقديمًا قال معاوية ﵁: لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو كان بيني وبين الناس شعره ما انقطعت إذا مدوها أرخيتها وإذا أرخوها مددتها.

وختامًا: عند الساقية تستر أعين الفحول وتعلق على أكتافهم مهمة إخراج الماء لنفع الناس، بعض الناس لا ننجح في هدايتهم أو نتوافق معهم؛ فلسنا المختارين لهذه المهمة [الهداية] فلكل قوم هاد، لكن .. يمكن إشغالهم بالنفع العام بدلًا من إهمالهم وتهميشهم وتركهم لأنفسهم، لعلهم يهتدون ولعلنا نتوافق.

***

مبادئ استراتيجية الضغط:

1- <u>أبقهم مستنزفين:</u>

وهذا من فلسفة حرب الضعيف ضد القوي، يبقيه دائما مستنفرًا غاضبًا مهمومًا متعجلًا متوجسًا لاهثًا خلف طيف لا يمسكه ولا يقضي عليه، إذا أراد العدو أن يرتاح نغص عليه الوقت والمكان، حول هجوم العدو إلى رد فعل متعجل يندفع إليه بذهن مشتت، وكلما خطط العدو لأمنه واستقراره اضربه في مكمنه وزد من توجسه وحيرته، وإذا أراد

العدو أن يفكر أثقلته هموم ديونه واستنزاف اقتصاده، اجعل مسيرة عدوك سلسلة من النكد تنتهي بيأسه وهزيمته ومن ثم خضوعه التام، إنها الحرب المجلية أو السلم المخزية، وفق استراتيجية تنسجم مع حجمنا الصغير وقدراتنا المحدودة ضد ديناصورات القرن الحادي والعشرين.

2- اختر الميدان وابتكر نظرية التغيير المناسبة:

فمن بدر وأحد والخندق إلى اليرموك والقادسية والفسطاط والقدس والقسطنطينية، ومن أفغانستان وفلسطين واليمن والصومال والمغرب والعراق والشام ومصر وليبيا ومالي -إن شاء الله- إلى العالم أجمع، هذه اليوم أراضي عملنا ويجب أن يختار أهل كل أرض ما يناسب شعبهم وإمكاناتهم ويبتكروا رؤى التغيير المناسبة ويبنوا الاستراتيجية التي تحقق أهدافهم.

وأي ميدان توقفت فيه الفتوحات وانكمشت المناطق المحررة وتعطل تحقيق الأهداف فعليهم أن يراجعوا علاقتهم بالله أولًا، وبأسباب التحول والانكماش ثانيًا.

ومن هذه الأسباب: في بعض هذه الساحات وأثناء مسيرتها الجهادية أحدثوا تغييرات جوهرية في الاستراتيجية التي تحقق بها العديد من الانتصارات، وتعجل بعض العاملين فيها ليحقق له ولدولته المزعومة أو لفصيله تواجدًا سياسيًا وإداريًا تحت مظلة الخلافة والسلطان قبل القضاء على العدو وفض تحالفاته، وانفرط النظم بخصومتهم الداخلية وقتالهم لحلفائهم بالأمس ورفاقهم في التغيير، فدخلوا في متاهة اجتهادهم وفقدوا اتجاههم وضل سلاحهم، على هؤلاء جميعا أن يقفوا لله وقفة تجرد وإخلاص ولا يغرهم تزيين بطانتهم وتبريرها لسقطاتهم أو غش من يدعمهم ويمنيهم من الخارج، فهي لن تجدي في الدنيا ولن تنفعهم في الأخرة، وليكونوا على يقين بأن تأخرهم في الإصلاح نذير شؤم لهم وإنذار بالاستبدال، أما شعبهم وأمتهم فلهم الله يُخرج منهم سبحانه وتعالى من ينصر دينه.

***

3- أفشل استراتيجيتهم وزد من أخطائهم:

بات مألوفًا أن نكتب عن كيف نجحت حرب العصابات في إفشال استراتيجية النظام، لنكتب اليوم بعض صور إفشال النظام لاستراتيجية حرب العصابات:

* يتعمد النظام في مرحلة أولية من الصراع وبسبب شراسة الهجمات إلى التخلي عن بعض المناطق البعيدة من العاصمة ليتملص من تبعاتها ويحملها للعصابات وذلك لأسباب منها: ضعف ولاء السكان، صعوبة الدفاع عنها، وبالتالي سهولة استعادتها مستقبلًا، ضعف القدرة على الإنفاق عليها.

* يقوم النظام في المناطق التي تخلى عنها: بترك جيوب موالية له تعمل كطابور خامس حال تمدد العصابات وتمارس أعمال التجسس والتخريب النفسي والمادي.

* يقوم النظام بتشكيل عصابات موازية: تشعل حرب جانبية مع العصابات الحقيقية وتنافسها على شعب المنطقة أو تفسد نقاء عملية التغيير وتصيب الشعب باليأس من كسب المعركة مع النظام.

* فسح المجال أمام العصابات لتتمدد على بقعة تفوق قدراتها البشرية: لوضع العصابات في حالة استنزاف اقتصادي بالإنفاق على سكان المناطق التي انسحب منها، استهلاك وإشغال العصابات في توفير الأمن للسكان والسيطرة على اللصوص والمجرمين.

* سرقة الوقت من العصابات: حيث لم تنضج كوادرهم فتكثر أخطاؤهم، ولم يتعرف عليهم السكان بعد فتهدم الثقة بينهم، وهذا يمنح النظام مزيدًا من الوقت لكسب حلفاء إقليميين ودوليين يساهمون في دعمه، أيضًا يفسح المجال أمام النظام لعقد هدنة مع بعض فصائل العصابات الضعيفة ليتفرغ للأقوى منها، يقوم النظام بإرهاب وتحيد حلفاء

العصابات الإقليميين.

* غرس الوهم لإفساد التكتيك: بانكماش النظام وتمدد العصابات تتوهم العصابات بأنها أصبحت ذات قدرات نظامية تمكنها من الحسم وبالتالي يتم استدراجها إلى حرب تفوق منظومتها العسكرية فيقضي عليها فيها ... إلخ.

* يساهم النظام في حرق المراحل على العصابات حتى يقضي عليها قبل أن تستوعب تجربتها وتستغرق وقتها ويتعرف ويثق فيها شعبها وتبني منظومتها وتطورها وفق تدرج مرحلي سليم.

**على العصابات أن تنتبه لعنصر الوقت وعليها أن تقايض المكان بالزمان.

***

4- الحرب خدعة:

نحن أمام مناورة ذهنية وحركية تتعلق بالنفس البشرية حيث تكثر الاحتمالات وتتنوع بحسب نفسية الشخصيات المتصارعة، التي يجب أن يقدم لها الطعم المناسب الذي يحرك شهيتها لممارسة ما تجيده، والخدعة إما إيجابية أو سلبية، والسلبية تسعى بالضرورة لنتيجة إيجابية، المناورات الإيجابية هي لتحريك الجمود، المناورات السلبية هي للسيطرة على الحركة، هكذا يجب أن تسير الأمور.

* المناورة السلبية هي: التي لا تستخدم فيها الوحدات العسكرية، فهي مناورة ذهنية تمثل ضغطًا ناعمًا على نفسية العدو ليقوم برد الفعل المخطط له من قبل المناور، وهي ناجحة بدرجة كبيرة في فض التحالفات أو جلبها.

* المناورة الإيجابية هي: أيضًا مناورة ذهنية ولكنها تعتمد على التحركات الأرضية للوحدات العسكرية، تهدف للضغط على نفسية العدو وتستدرجه للقيام بالحركة الخطأ.

* الطعم قد يكون معلومة يتعمد تسريبها [نعيم بن مسعود؛ غزوة الأحزاب تعتبر نموذجًا مثاليًا للمناورة السلبية] أو تحركًا أرضيًا يصعب تجاهله أو تفويته [المناورة الأكثر شهرة: الفرار لإيقاع المطارد في كمين محكم وهي تعتبر أيضًا نموذجًا مثاليًا للمناورة الإيجابية]، وكلا المناورتين تمثلان ضغطًا على نفسية القائد وسرعان ما يتجاوب معهما.

لإنجاح الخدعة لابد لمن يمارسها أن يكون عالمًا بنفسية القائد المقابل وهيئة أركانه، مدركًا لنمط أفعالهم وبالتالي قادرًا على التنبؤ بردود أفعالهم، وبشكل عام فالخدعة يجب أن تغذي الصفة المسيطرة على شخصية القائد بحيث يلتهمها بنهم يشبع طبيعته.

ومن نماذج القادة: الحذر، العنيد، المتهور، المتباهي، الوفي ... إلخ ولكل منهم نقطة الضعف التي يؤتى منها فمثلًا:

القائد الحذر: يجب أن تمارس معه سلسلة من المناورات التي تغذي حذره وتزيد من مخاوفه، نقطة ضعفه هي الخوف وهو بالتالي يحسن الحرب الدفاعية، ولذلك لا يقدم على أي خطوة حتى يجتاز شكوكه وخوفه، والمناورة الإيجابية فعالة جدًا مع هذا النوع من القيادة فمجرد تثبيت وحدات أمامه وتحريك قوات أخرى في حركة التفاف فهو يعتبره تهديدًا بالحصار مما يدفعه [القائد الحذر] عادة إلى الانحياز لنقطة تقيه هذا الحصار، وبالتالي يفقد الأرض دون هجوم كبير عليه أو مقاومة منه، وتكرار المناورة معه نافع وأثرها الأكبر يكون دائمًا بحسب عمقها.

القائد العنيد: يجب ألا تساهم مناورتك في تغذية عناده ورغبته في السيطرة بل تساير رغبته وتمنحه ما يجعله يرغب في مزيد من السيطرة ثم تفاجئه بما يكسر اندفاعته وتضعه أمام وضع يائس يفقده توازنه ويعجل بانهياره، نقطة ضعفه تكمن في كبريائه وشرفه [ليس متكبرًا] وبالتالي لا يمكنه أن يقف مكتوف الأيدي ليتلقى الضربات بل عليه أن يحقق ما يغذي عزة نفسه من انتصارات وبالتالي فهو يجيد الحرب الهجومية، ومثله يصعب

مواجهته فلا يمنح هذا بل يتم استدراجه في مواجهات صغيرة متعددة سرعان ما تنحاز ويطاردها، حتى إذا طالت خطوط إمداده أمكن إعاقة تقدمه بقوات أكبر مع الالتفاف عليه وتطويقه، وقطع الإمدادات عنه وإحكام حصاره .

القائد المتهور: تكمن نقطة ضعفه في انعدام صبره وعصبيته، وهو لا يكف عن مطاردة أي حركة تلفت انتباهه، إعداده للمعركة سيء واهتمامه بالاستطلاع والاستخبارات أسوء، وهذا النوع من القادة ما أسهل أن تستدرجه لكمين محكم ينتهي فيه مع قواته.

وهكذا يتم التعامل مع بقية الصفات الشخصية لقادة العدو، والضغط عليها بما يناسبها.

قال أبو جعفر المنصور: لقد أخرجت الثعلب من مخبئة، لقد كان النفس الذكية محمد بن عبد الله بن الحسن ذكيًا كريمًا وفيًا ولقد كان مقتله في حسن خلقه وتربيته، فما هو نوع الضغط الذي مارسه أبو جعفر المنصور عليه ليخرجه؟، راجع الصراع بينهما ففيه الكثير من الفوائد.

***

من النماذج التي يصادفها الإنسان في حياته النفسيات السلبية، وهي تلك التي تواجه ضغوط الحياة بدرع من العناد، ترفض من خلاله التعاون وتحاول به الهروب من المواجهة، فمنهم من يظهر عدم الاكتراث لما يواجههم ويهربون منه بالصبر عليه، وقد يتلذذ البعض بالمعاناة والألم، وينتظر أن يرأف به معذبه وينتشله من معاناته [حال الكثير من الشعوب العربية]، نوع آخر منهم يظهر الحكمة والتعقل، ولكن أيضًا بلا فاعلية فهو يهاجم بعاطفة هائجة مشحونة بمشاعر ساخنة، لصرف انتبهم عن التوجهات الإيجابية، وأسرهم في قوقعة من السلبية [حالهم كالخازن الذي يتعلل لإبقاء خزنته مغلقة لانه يجد مشقة كبيرة في الصرف منها، ويرى فيما سبق وتم صرفه أنه استهلاك بلا فائدة، وكان الأفضل لو بقي في الخزنة]، وهناك نماذج أخرى للنفسيات السلبية منها ما يطلق عليه "عبد المأمور"

هذا النوع في خطابه يحتاج إلى مرجعية يقيس عليها الصواب والخطاء، ومن ثم صدمه بين ما أمر الله، وإملاءات رئيسه، ثم يخاطب ضميره ليتوقف عن تنفيذ الأعمال الخاطئة، والنماذج السلبية كثيرة والمطلوب فهمها وإدراك ماذا نقول لها.

هذه العناصر السلبية سواء كانت أعضاء في تنظيم أو مكونات شعبية يغذي عنادهم السلبي محاولات دفعهم للإيجابية وتكرار طلب ذلك منهم، الحل الأمثل معهم هو التفوق عليهم في السيطرة السلبية، أي ممارسة الضغط السلبي عليهم، فيتم الإيحاء لهم بأن ما يمارسونه من سلبية هو تعاون معك وتنفيذ لمخططك، وعلى مستوى الشعب فإن ما ينفذونه هو إملاءات النظام عليهم، هذه المسايرة لأفراد التنظيم وهذه الموافقة من الشعب للنظام هو ما يهربون منه بعنادهم فكيف يطيعونهم ؟!!، هنا فقط يفقدون توازنهم ويتوقفون عن العناد السلبي ويعكسون سلبيتهم باتجاه التغيير، وهو الهدف الذي تم التخطيط لتحقيقه.

***

يقول البعض أن إبادة الخصم أو القضاء التام عليه يخلق خصومًا جدًا أكثر خبرة وقوة، لذلك الإبقاء على خصم ضعيف عركتَه مع الأيام خير من القضاء عليه، ربما تفسر هذه المقولة رؤية ما تمارسه الأنظمة العربية مع جماعة الإخوان المسلمين، وهو ما تسعى إليه أيضًا مع غيرها من الجماعات، وهو ملاحظ إلى حد ما مع تلك الجماعات التي هزمت في القتال وانسحبت حتى من الممارسة السياسية واكتفت بممارسات اجتماعية وإنسانية تداوي فيها جراحها، أسأل الله أن يعفو عنا وعنهم جميعا.

هذه الإشكالية تعالجها الأجيال الجديدة التي اطلعت على نمط الحياة والتقدم للشعوب الأخرى، هذه الأجيال تحركها رغبتها في التطور والتقدم وتقودها غيرتها على دينها ووطنها للمنافسة مع بقية الشعوب، ومهما حاول الغرب أو الأنظمة العميلة له أن تكبتها فلن

تستطيع، ومهما قُدم لها من فتات فلن تقبل به، إنها روح المنافسة التي لا تهدأ والغيرة المحمودة والسعي الحثيث نحن التفوق والسيادة، هذا هو ما يحرك الشعوب الحرة، ونزيد عليها أن ديننا يدفعنا ويحرضنا لحمل رسالته إلى العالم كله.

الخطوة الأولى لهذه الأجيال هي: الخروج من الضغط والتبعية النفسية للقيادات التاريخية التي لم تحسن تعبئتها (الغنوشي)، وصَبغتها بسلبيتها في المواجهة، ورضيت بالفتات مقابل البقاء، والمحافظة على اليسير من المكتسبات، إن كسر طوق رق الطاعة العمياء أصبح ضرورة لعودة الروح لهذه التنظيمات، لقد أصبح حتميًا أن تتخطى هذه الأجيال رؤساءها السلبيين لتتمكن من تحقيق طموحها.

الخطوة الموازية هي: المعرفة بما سبق من تجارب وتاريخ الصراع السياسي للمنطقة على الأقل لآخر قرنين من الزمان، كذلك التمسك بالمذهب الديني لغالبية الشعب كمرجعية تضبط المسيرة الحركية للتغيير، والانتباه لمكونات المجتمع والعمل على انسجامها وتلافي ما يحدث شروخًا تعيق تقدم عملية التغيير.

الخطوة التالية هي: إعادة التنظيم للطاقات والإمكانات، وتبني رؤية تغييرية واقعية وشاملة، واختيار وسيلة للتغيير أو التنسيق بين عدة وسائل للتغيير بحسب ما تمنحه الأرض ويملكه الشعب من إمكانات، ومن ثم قيادة الجماهير بحكمة وحنكة لتحقيق التغيير المنشود.

ويبقى التفاعل الحركي للصراع خاضعًا لموهبة القيادة وقدرتها على الإلهام والتجديد وتخطي العوائق والأزمات.

النقطة التي لا يمكن تجاهلها أو إغفالها هي حسن التوكل على الله، وطلب معيته وتوفيقه، والتزام أوامره وتجنب معصيته، ولأهميتها أخرت ذكرها حتى تبقى عالقة في الذاكرة.

ومسك الختام: بيان الروح والخلق الإسلامي في الصراع، لأننا بشر ولسنا أناكوند "حيوانات"، ولأننا مسلمون نؤمن برسالتنا، فليس للإبادة نصيب في تفكيرنا، لأننا ندرك مهمتنا، وهي تعبيد الخلق للواحد الأحد، وهو ما ندعو إليه قبل الصراع وأثناءه وبعده، فإن النصر في حركتنا الجهادية يعني إزالة العوائق أمام الدعاة وكشف الحجب عن أعين الناس ليمكنوا من الاختيار.

***

إن جوهر الجهاد قائم على تحقق النصر على الشيطان بالتغلب على أئمة الكفر وبطانتهم وجندهم لاستنقاذ ما يمكن إنقاذه من بني آدم، وليس قائمًا على إبادة الناس، وعلى شباب الأمة عامة ومن حمل منهم السلاح خاصة أن يتعلموا ويفقهوا مراد الله من الدعوة والجهاد [عملية التغيير] ومن ثم يعقلون ماذا يقدمون للناس بعد النصر.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

انظر علام ترتكز قوة العدو؛ واقض عليها

16- استراتيجيات ضرب مركز ثقل العدو

في ميدان الصراع الاستراتيجي تحظى الصواريخ العابرة بالأهمية القصوى .. كذلك تحظى عمليات الإنزال وضربات الطائرات المسيرة بأهمية في الميدان التكتيكي .. وفي كل الميادين يظل العامل الحاسم هو قوة الاقتصاد .. فالاقتصاد القوي يبني قدرات عسكرية قوية .. وكل من الاقتصاد والسلاح يجعلا القرار السياسي قويًا وحازمًا؛ شريطة أن تكون القيادة السياسية ثابتة الجنان .. فالسيف بضاربه.

أيضًا الاقتصاد العالمي اليوم له مصادر ثقل يعتمد عليها .. على رأسها "تجارة النفط" .. والمنطقة الإسلامية تسبح على بحار وأنهار من النفط والرمال القيمة؛ دون فائدة .. بل إن أعداء الإسلام هم من يستفيدون منه .. يصلهم بثمن بخس وتردنا منتجاته بأغلاها .. واليوم لا يدفعون في مقابله شيئًا؛ بعد أن اغتصبه "ترامب" نظير بقاء "آل سعود وإخوانهم في الخليج" على كرسي الحكم.

إنه الاقتصاد الذي يجب أن نبذل الوسع في ضربه .. وعلى رأسه تجارة النفط .. ولكم الخيار في ضربه في المنبع .. أو في طريق النفط البحري أو البري .. أو على أرض العدو .. يجب إيقاف حكام الخليج عن هدر ثروات الأمة .. ولنبقيها للأجيال القادمة وليوفقها الله فتحسن استثمارها.

***

في منتصف القرن الماضي؛ سيطر على الكوكب قوتان [أمريكا والاتحاد السوفيتي] وحظي كل منهما بأتباع قهرًا أو موافقة، وكل من المقهور والموافق قبع تحت حماية سيده الذي يتبعه، الذي أصبح مركز الثقل الذي يعتمد عليه ضد أي عدو خارجي أو محاولات

تغيير داخلية أو حتى الكوارث الطبيعية، والأخطر أنهم فرضوا على الأمة الإسلامية ومعها جنوب الكرة الأرضية حالة من التخلف العلمي ونسبوها للإسلام، وجندوا عملاء من جلدتنا، ليحكمنا بعضهم ويصيغ عقولنا بعضهم، ومنهم طبقة حقيرة تطعن في موروثاتنا الإسلامية يوميًا على الإعلام، هذا جزء من الحرب على الدين والإنسان.

ومن توفيق الله للمجاهدين في أفغانستان أن ساهموا في إسقاط الاتحاد السوفيتي، والذي بسقوطه تحررت الدول التي كانت تسبح في فلكه قهرًا أو موافقة، وانفرط عقدها وحظيت بمناخ من الاستقلالية لتبني مستقبلها؛ إن قادها المخلصون، وعادت روسيا راغمة لتلملم وضعها الاقتصادي في محاولة للعودة لمركزها السابق.

بعد ضربات "11 سبتمبر" المباركة في الداخل الأمريكي؛ ضغطت أمريكا على أتباعها بالشرق الأوسط ليمنحوا شعوبهم قدرًا أكبر من الحرية خاصة في مجال التعبير تنفيسًا لغليانهم، هذا المناخ أسس لثورات الربيع التي كانت فرصة كبيرة لتحقيق استقلال حقيقي، ولكن أفسد الثوار وكذلك المقاتلين هذه الفرصة بتنازعهم قال تعالى { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ {152} سورة آل عمران، ثورات وحروب عصابات لم يحسن لا إدارتها ولا استثمارها، وعادت أمريكا لاحتواء المنطقة مرة أخرى من خلال: أولًا القوى الإقليمية الملكية { وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ {47} سورة الأنفال، ثانيًا شرطيهم اليهودي بالمنطقة {.... كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ {64} سورة المائدة.

فعلى الراغبين في التحرر بالمنطقة أن يبذلوا الوسع في رفع وعي شعوبهم لتحقيق الانسجام

الداخلي من خلال موروثات الأمة وليس المستورد منها لإنجاح عملية التغيير؛ في انتظار اللحظة التاريخية لانقلاب الموازين، حينما تضعف الولايات المتحدة وتطفح على السطح الانقسامات والخلافات تحت صراعات الخارج ونزاعات الداخل؛ عليهم استثمار الفرصة والسير في محاور أساسية:

الأول: المقاطعة الاقتصادية لكل ما هو أمريكي، ومهاجمة مصالحها على أراضينا.

الثاني: سرعة نقل التجربة للدول الملكية لضرب مافيا العائلات [الأوريجاشيا].

الثالث: دعم شعبنا في فلسطين بكل الوسائل المتاحة للقضاء على اليهود.

بمعنى أكثر عمقًا يجب:

تحقيق نسبة مقبولة من الانسجام[34] الداخلي، ضرب مركز الثقل [أمريكا]، واغتيال أذرعها بالمنطقة [حكام الخليج تحديدًا]، والقضاء على الشرطي [اليهود]، هذه مسارات متوازية لتحقيق الاستقلال والحرية لنهيئ فرصة تغيير داخلي حقيقي، لنقطف الثمرة فنعيش وفق موروثاتنا الإسلامية التي جعلت منا أمة قوية لقرون طويلة.

***

الأناكوند تمتع بعضلات مهولة قادرة على العصر وتحمل الضربات، أما رأسها فلا.

حينما ضعف الاتحاد السوفيتي نبذته منظومته، حينما تضعف الإمبراطوريات يزول الولاء وتقل التبعية فيتمرد الأحرار ويستقل الأتباع، وتزول الإمبراطورية لتعود مجرد دولة وتصبح ذكرى تتغنى بأمجاد الماضي على أمل العودة في المستقبل، وحتى اليوم لم أقرأ شيئًا عن عودة إمبراطورية لسابق عهدها مرة أخرى، ربما تنجح في البقاء في مستوى

[34] كنسبة الملح للطعام، حتى لا يظن البعض أنه يلزم لعملية التغيير كسب الأغلبية، الأغلبية تأتي لاحقًا مع كل نجاح ينضم المترددون والمشككون تدريجيًا، سيظل الوقت مع الحركة الناجحة أهم عنصر لكسب المؤيدين.

مناسب ولكن ليس كالسابق.

القوة العسكرية [الأناكوندا] التي امتلكها الأمريكان لم تسمح لهم بالدفاع عن أراضيهم فقط بل نقلت الصراع إلى أرض الغير، هذه القوات المحمولة والجاهزة للانتشار يجب أن يتم إنهاكها واستهلاكها، ولإنهاك وإضعاف الأمريكان تقتضي الحكمة عدة مسارات متوازية منها:

الأول ضرب الاقتصاد ومشاغلة القوات:

خارجيًا بجذب ومشاغلة قوتها المحمولة في مهمات تستهلكها خارج أرضها، من خلال غارات الكر والفر على مصالحها الاقتصادية، والكمائن على طول خط النفط وإغراق حاملاته[35]، وأعمال القرصنة على السفن التجارية الأمريكية، عبر مصائد تمتد من مضيق هرمز ومرورًا بالصومال وصولًا إلى جنوب أفريقيا، هذا لا يجعلنا نغفل عن ضرب الاقتصاد الأمريكي الداخلي والمتمثل في مصادر الخامات ومصانع المخرجات ومستودعاتها، إن ضرب أي خط لوحدات إنتاج السيارات مثلًا يغرق عملية الإنتاج كلها، فضرب المناجم وحقول النفط يعرقل عملية التصدير ومن ثم التصنيع، والأدهى أن إفساد بعض القطع المؤثرة في صناعة الطائرات يعيق بيعها، الاقتصاد ليس بئر نفط بالداخل أو الخارج أو مزارع قمح تحرق فقط إنه عملية ذات مراحل شتى وإعاقة أي مرحلة تؤثر في البقية وتعرقل عجلة الاقتصاد مؤقتًا، على الأمة قاطبة وأبنائها المجاهدين خاصة أن يفتشوا عن الحلقات التي يسهل الوصول إليها حتى لو كانت الأضعف فبضربها سوف تشل الأقوى لبعض الوقت.

الثاني: العبث بتركيبة المجتمع الأمريكي؛ المكون من تشكيلات عرقية مختلفة، ولازالت هناك طبقية وعنصرية متوارثة تمارسها بعض الأسر الثرية، ونظام العمل فرخ سُخرة حديثة

[35] يفضل أن تضرب الحاملات في رحلة القدوم لاستلام النفط، أي وهي فارغة، حرصًا على عدم تلوث البحار.

وهم موظفي الدولة والعاملين بالشركات العملاقة، والعنصرية في أمريكا لم تندمل؛ بل هي على أشدها في عقد "ترمب"، وبعض الولايات الثرية لا ترى الإنفاق على الولايات الفقيرة وتعتبرها عبئًا ثقيلًا هي في غنى عنه، وهناك كم مجهول من معتقدي المسيحية حسب الهوى، وكثير من الأمريكان هم أوعية خاوية يمكن لأي داع أن يملأها ويجد أتباع يلتحقون به، لابد إذن من دراسة البنية الثقافية للمجتمع الأمريكي والتعرف على تقسيماته العرقية والعقدية ودراسة تركيبته النفسية وملاحظة العنصرية المتفشية فيه؛ دراسة واعية فإن نتائجها تساهم في ضرب الاستقرار الاجتماعي الهش، فالصراع والاقتتال الداخلي حتمي، ودورنا لا يتجاوز تسريع العملية.

الثالث: الاستفادة من القرصنة الإلكترونية:

للضرب في عمق الأراضي الأمريكية، باختراق مرتكزات قوتها الاقتصادية والعسكرية، لإرباك الاقتصاد، ولإثارة الفوضى والقلق حول مخزونها النووي، والعمل على شل شبكة المواصلات، وإثارة الذعر حول محطات الكهرباء والمياه، يجب إشاعة الفوضى على التراب الأمريكي ليعانوا كما عانى منهم غيرهم، ولعل هذا النوع من الصراع تكون اليد العليا فيه للهاكرز الإسلامي من رواد التقنية الحديثة.

الرابع: إفساح المجال أمام شعوب الأمة للانتفاضة على وكلاء الغرب:

لحرمان الغرب من دعمهم المادي، ولعل الوقت الآن يناسب التيارات الإسلامية الناضجة لتشكل منظومات من الخلايا النائمة لاستدعائها في الوقت المناسب، من أجل اغتيال [حكام الخليج] الخونة المتآمرين على الدين، ودعم المجاهدين في فلسطين بعمليات ضد اليهود كأفراد؛ وكمصالح منتشرة على الأراضي الإسلامية. لا يوجد تغيير بدون تنظيم يقف خلفه، العفوية فوضى لا تقطف الثمرة؛ والواجب التنسيق بين العاملين للتغيير.

***

في عهد أوباما - بايدن[36] كان للطائرات المسيرة دور بارز في تنفيذ الاستراتيجية الإنجيلية "اضرب الراعي تتفرق الخراف"، ولا شك أن الطائرات المسيرة وكذلك عمليات الإنزال نجحتا في تنفيذ عمليات اغتيال موجعة، ومثلتا المجهود العملي للعدو الأمريكي، الذي فضل استراتيجية أمنية (المطرقة) تستند على تمدد عسكري (السندان).

وللتغلب على استراتيجية المطرقة والسندان في ميدان الحرب يلزمنا مواجهة العدو بعدد من التكتيكات التي تحد من فاعلية الطائرات المسيرة وقد تحيدها:

على رأسها: الأمن الفعال بقطع التماس الاستخباراتي وهو الأهم، بفقأ أعينهم بإبادة الجواسيس، أو برفع مستوى السرية لإعمائهم وحرمانهم من المعلومات حتى لو كانت معلومة عادية، كذلك بإحسان إخفاء أماكن القيادات وتغطية تحركاتهم أثناء ممارستهم لمهامهم.

ثانيًا: أثناء الاشتباك مع العدو فالتماس يحد من قدرات وحدات الإسناد سواء كانت المدفعية أو الطيران على أن تتم عملية التقرب والتقدم أو الانحياز بمنتهى السرية وتكون عمليات سريعة محسوبة بعناية بحيث يتم الانحياز قبل وصول الطائرات وهذا أمر تجيده وحدات العصابات.

ثالثًا: اسقاط الطائرات المسيرة أو السيطرة عليها، من خلال مجموعة تقنية تستخدم برامج يمكنها التشويش على الاتصال بين الطائرة والمشغل لها ومن ثم إسقاطها أو السيطرة عليها وتوجيهها لتضرب أصحابها، من الممكن أيضا إسقاطها بأسلحة الـ م / ط من رشاشات

[36] يجب أن نكون متابعين لتطور أدوات ووسائل الصراع ولا نبقيها حكرًا على أعدائنا، فاستراتيجية الاغتيالات لعناصر منتقاه أثرها أكبر من استهداف كم من الجنود، ويمكننا أن نجعل من الطائرات المسيرة بديلًا عن العمليات الاستشهادية المكلفة ماديًا وبشريًا، وقد تكون مسرفة في ضحاياها الذين يقتلون من أثرها ولم يكونوا أصلًا مستهدفين، كما يمكن لأحبتنا في اليمن أن يضيفوا للطائرات المسيرة الغواصات المسيرة كبديل عن الزوارق الاستشهادية التي دمر الله بها كول، وعليهم أن يحترفوا صناعة الصواريخ التي بدلت المعادلة ما بين الحوثيين وحكام الجزيرة.

ومدافع وصواريخ موجهة بحسب نوع وحجم الطائرة، وعالم التقنية اليوم مفتوح على مصراعيه فيمكن تصميم صواريخ موجهة تناسب حجم كل نوع من مسيرات العدو.

رابعًا: كذلك بعمليات نوعية من خلال خلايانا وعناصرنا الخفية التي تعمل في عمق العدو، بالعثور على المشغلين وغرف التحكم وضربهم، أو تخريب المطارات التي تنطلق منها بضرب غرف الاتصالات بها، أو ضرب الطائرات أثناء الشروع في التحليق فضربها عند الإقلاع أفضل لإفشال مناورة الهبوط وجعلها مستحيلة، ولا بأس بضربها عند الهبوط، أو ضرب الطائرات وهي على الأرض بمقذوفات المدفعية أو حرقها في مخازنها، أو ضرب مستودعات الذخائر، أو تفجير مستوعبات الوقود .....

خامسًا: ضربات استراتيجية عسكرية وتقنية: العمليات العسكرية على مراكز ثقل العدو الاقتصادية لتحجيم الإنفاق الحربي، وجعل تكلفة التصنيع الحربي عالية.

***

أما العمل ضد عمليات الإنزال التي تقوم بها القوات الأمريكية في اليمن وأفغانستان والصومال، فقد سبق لقناة وقفات استراتيجية[37] في شهر فبراير 2017م نشر محاضرة قيمة للأخ فهد "إبراهيم عسيري" رحمه الله حول هذا الموضوع بعنوان "تعليق على الإنزال الأمريكي في البيضاء".

***

قضت استراتيجية "ضرب مراكز ثقل العدو" على "هنيبعل وقرطاجة"، ومن المفيد جدًا دراسة كيفية تنفيذ "تسيبيو أفريكانوس" لهذه الاستراتيجية:

لقد أذهل "هنيبعل" الرومان حتى لم يجدوا إلا استراتيجية التأخير والتجنب لإيقاف

[37] قناة على تطبيق تلجرام كانت تنشر كتابات المؤلف.

تقدمه، ولكن "تسيبيو" ترك القوات المهاجمة ونظر إلى الأمور التي تساندها وتسهل هجومها فوجد المال والإمدادات والشعبية والحلفاء، وبدلا من مهاجمة القوات هاجم قواعد إسناد "هنيبعل" فضرب مركز ثقله [قرطاج الجديدة] في إسبانيا فحرم "هنيبعل" من الإمدادات، ثم قام بالنقلة التالية وهي التحرك نحو قرطاج نفسها، وبعد سلسلة من المناوشات استدعت قرطاج "هنيبعل" من إيطاليا، ولكن "تسيبيو" كان ماكرًا، فلم يواجه "هنيبعل" بشكل مباشر وإنما واصل التحرك باتجاه الريف لضرب مركز إمدادت قرطاج بغرض إنهاكها وحرمانها من الموارد وإضعاف قوات "هنيبعل"، ثم استدرج "هنيبعل" إلى أرض تلائمه في القتال وتجعل قوات "هنيبعل" في موضع سيء، العجيب أن "هنيبعل" لم تسعفه عبقريته!!، فهُزمت قرطاج وخضعت لاتفاق استسلام مذل وتقلصت قواتها لتصبح تابعة لروما.

قراءة هذا الإيجاز لا يغني عن دراسة حملة "تسيبيو أفريكانوس" للقضاء على قرطاج.

***

لا يمكن لأي قائد أن يتجاهل قوة الجيش الذي أمامه، لكن القائد البارع بعد أن ينتهي من تقيم قوة العدو يرتقي للنظر فيما وراء هذه القوة، هذا يدعونا بالضرورة لطرح مجموعتين من الأسئلة الهامة: المجموعة الأولى [ما وماذا ومن]: ما هو المحرك النفسي [ديني، وطني، استعماري] لهذا الجيش؟، من هو قائد هذا الجيش؟، ماذا يخفي هذا الاستعراض من نقاط ضعف؟، مالذي يمنح هذا الجيش الزخم والاستمرارية؟، ما المصدر الرئيسي لقوته؟، المجموعة الثانية [كيف ومتى وأين]: كيف يمكننا أن نقضي على محرك الجيش النفسي؟، كيف نفقد استراتيجية القائد فاعليتها؟، كيف نقضي على مصدر قوة الجيش؟، متى يكون الوقت المناسب للقضاء على الجيش؟، أين المكان المناسب لنا والضار لعدونا؟، الحقيقة أن أجوبة مجموعة الأسئلة الثانية مرتبطة بدقة المعلومات التي نتجت

من إجابة المجموعة الأولى، ومن ثم تحليل قوة العدو الظاهرة والداعمة، والنظر في مرتكزات قوة العدو.

فأثناء غزو أمريكا لفيتنام كان الدعم السياسي الشعبي الأمريكي هو مركز الثقل الذي راهن عليه الجنرال جياب ونجح في استثماره، وعادة ما تكون الاتصالات أحد مرتكزات السيطرة، والتشويش عليها أو تخريبها يعزل القوات عن بعضها البعض، ويصيبها بارتباك قد يؤدي للهزيمة، وقد يكون نمط التكتيك الذي يستخدمه العدو هو مصدر قوته؛ هنا يكون إفشال تكتيكاته هو الضربة القاضية، وفي زماننا هذا فإن المراكز الصناعية في الدول الحديثة هي مركز الثقل الذي يسعى العدو لحمايته حتى لا يفقد الاستقرار الاقتصادي والإمدادات العسكرية، ولا بد للراغبين في التغيير في بلادهم -مالي مثلًا- أن يوجهوا ضربات للمناطق الصناعية بفرنسا، خاصة مصانع الحديد، وفي كل زمان في مسرح العمليات فإن مركز القيادة والسيطرة هو الدماغ الذي يجب ضربه أو عزله لإرباك وتشتيت الجيش ومن ثم هزيمته.

وعلى النقيض فقد راهن نابليون على أن إسقاط موسكو سيجبر الروس على الاستسلام؛ إلا أن القيصر كان هو حجر الزاوية الذي أفشل بقاؤه خطة نابليون، وقد راهن الأمريكان على أن سقوط قندهار أو اغتيال الملا عمر والشيخ أسامة بن لادن سيكسبهم الحرب؛ وتبين لهم أنه الدين الإسلامي والغيرة الأفغانية ومنهج القاعدة النقي هم جوهر الحرب الذي أجلسهم على مائدة التفاوض.

***

الخلاصة:

فتش عن مصدر قوة العدو، المرتكز الذي يمنحهم الدعم الأقصى، واعمل على ضربه أو تحييده أو تهديده؛ لا شيء يستهلك معنويات العدو مثل تجريدهم من مركز الثقل.

***

عندما تتوسع الإمبراطوريات تكثر نقاط ضعفها، وتفقد مع الوقت القدرة على حماية أطرافها، كما أن أتباعها الذين سبق وأن قهرتهم واستولت على ثرواتهم يتذكرون، لقد كان ولازال العبث بذاكرة الشعوب أهم عمل تمارسه الحكومات الاستعمارية أو وكلاؤها، إلا أن أحداث الزمان، وتكرار الأخطاء، يجعل الشعوب تتذكر دائمًا، والذاكرة نقطة جوهرية في تاريخ الصراع، والشعوب تجدد ذاكرتها؛ بل يتذكرون دائمًا، لا أحد ينسى القهر والإذلال، ومهما طال الزمان فالأحرار يورثون ذاكرتهم لجيل التحرير، ولا أذهب بعيدًا إن قلت أن الذكريات هي أهم موروث ينتقل عبر الأجيال، الذاكرة ليست كلمة إنها إيجاز لما رضيت وقبلت به ومارسته الشعوب من عقائد وعادات وتقاليد وأعراف إنها الموروث الثقافي للأمم، ولهذا حينما تنتفض اليابان وتستقل ستكون طعنة بروتوس للقيصر الأمريكي.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

خذل عنا ما استطعت

17- استراتيجية الوقيعة

ليس بالخبز وحده يحيى الإنسان .. وليس بالسلاح فقط تُدعم الحروب .. صراع العقول من أهم المعارك التي يجب الإعداد لها على أرقى مستوى .. على القيادة أن تكون قادرة على رؤية الصورة الكاملة فتحدد مكوناتها الأساسية والفرعية والروابط بينها .. ومن ثم تشرع في العمل على تفكيكها .. فتنطلق أولًا لشن الغارات على الروابط بين مكونات العدو الرئيسية والحساسة لتهشيمها .. ثم تنفرد بأجزاء الصورة فتلتهمها جزءًا جزءًا.

الفرقة ضعف .. والخذلان المتبادل خيانة .. وقلة الوعي جهل أقرب للحماقة .. وبهذه الحيل شتت الأعداء القوة الإسلامية ومازالوا يفعلون .. علينا أولًا أن نوحد هدفنا كأمة ومن ثم تحديد سبل هزيمة العدو .. ولن يتم هذا بدون دعم متبادل من مكونات الأمة وأبنائها.

الثقة المتبادلة بين أبناء الأمة حجر زاوية في الصراع .. البحث عن الروابط التي تجمع الناس وتحشدهم ضد العدو واجب الوقت .. ما يجمعنا بسكان الكوكب المقهورين أكبر بكثير مما يجمع دعاة الإلحاد والإباحية والحرية الكاذبة.

***

في الحرب بين الكفر والإيمان تمكن الإسلام في جزيرة العرب؛ ومنها انطلق دعويًا وجهاديًا للعالم المعروف فانتشر في حواضره، لحقت الهزيمة بعنصرين أساسيين: إبليس والقوى العظمى أنذاك، على إثر ذلك انكمش العدو حتى يعيد دراسة الموقف وخلص إلى: الغزو الخارجي لا يمكن اليوم مع أمة شابة متحمسة، القوى الحالية التي هُزمت لا

تصلح ولا بد من تهيئة غيرها، وحتى ذلك الحين لا سبيل لإيقاف المد الإسلامي إلا بحصان طروادة؛ الذي لطالما استدعاه إبليس وقت الحاجة واستخدمه مع جميع أتباع الديانات السماوية السابقة، فتسلل إلى قلعة الإسلام -كما سبق وأن تسلل إلى الجنة التي طرد منها-، فواصل التحريش والتحريض، وإيقاظ الفتن، وبث الدسائس، ومارس الخذلان والتثبيط، واجتهد في البدع والتحريف، وقلعة الإسلام تقاوم، ولما نجح في التفريق بين أبنائها تصدعت أسوارها، وحينما اشتعلت المعارك بينهم وضعف صفهم أسقط العدو الخلافة الإسلامية، وشرع في تقاسم بلادنا فمزق وحدتنا وسلبنا خيرات بلادنا، ولما نبغ في الأمة من يجتهد لإعادة الخلافة؛ تخلص العدو من قياداتهم الدينية والسياسية والجهادية، إما حبسًا أو قتلًا أو تهجيرًا، وحينما انطلقت ثلة مؤمنة من أفغانستان تجاهد طغيانهم، حشدوا تحالفهم ووكلاءهم وخاضوا حربًا لا هوادة فيها للقضاء عليهم، فلما لاح لهم في الأفق أوهام النصر شنوا حملتهم على التيارات الأقل خطرًا "المعتدلة " على زعمهم، ولكنَّ الأمة الإسلامية ولادة وأبناءها بررة وعلى عهدهم ماضون.

ألیس هذا ما فعله إبليس الرجيم؟ ويفعله اليوم شمال الكوكب بجنوبه، ألم يُوقعوا بيننا الفتنة والعدواة؟، ألم يغرسوا في البعض شهوة السلطة والاستبداد؟ ألم يتبعهم البعض ويركن إليهم؟، ألم تقسم بلاد المسلمين على عملائهم الأكثر ولاءً لشمال الكوكب؟، ألم يتبين لنا أن عقيدة ابن زايد لا تختلف عن عقيدة الحلاج؟، ألم نفقد رشدنا ونسينا ما وعظنا الله به {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ {46} سورة الأنفال.

نجح العدو في رؤية صورة الأمة الواحدة الموحدة تحت راية الإسلام، وأدرك بتجربته الطويلة أن لا نجاح له إلا بإدخال البدع والشهوات والشبهات على الدين حتى يتمكن من تمزيق الصورة إلى أجزاء، ومن ثم ينفرد بكل جزء ويعيد تقسيمه لأجزاء أصغر، وساعتها

يجعلهم يتنافسون: أيهم أسرع في التخلي عن عقيدته وأخلاقه ليلحق به؟، أيهم امتلأ قلبه بحبهم ويرغب أن يلتحق بالحضارة الغربية ويصبح أكثر انحلالًا تحت مزاعم النضج والتحضر؟، ألا ترون كيف يركض ابن سلمان نحوهم فبدا وأتباعه بحفلات الترفيه كانعكاس شاذ لصورة الانحلال الغربي!!، إسلاميًا لم يبق من ابن سلمان إلا اسمه فالمدن في عهده بجزيرة العرب قطع جذورها عن موروثاتها الأصيلة، وأسماها بكلمات راعيه الجديد اليهودي "كوشنر"، نعم ففي مسار التاريخ فإن قطاع نيوم ومدينة الخط هما الخط الفاصل بين الفسطاطين.

بسبب غفلتنا عن التوجيه الرباني: { وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ {103} وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {104} وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {105} سورة آل عمران، لهذا السبب وغيره؛ نجح العدو بغرس الطابور الخامس في سدة الحكم، ولكنه لن ينجح بالتمكين لهم طويلًا -إن شاء الله- فالأمة حية وولادة، فانتظروا ما يسوؤكم.

***

الأناكوند تمتع بعضلات مهولة قادرة على العصر وتحمل الضربات، أما رأسها فلا، الحكومة الفدرالية في أمريكا ومؤسساتها التنفيذية والتشريعية والسياسية والعسكرية هي الرأس الذي بخنقه يضطرب الجسد الأمريكي وينقسم على نفسه ويعود للحرب الأهلية، ليس بين الشمال والجنوب فقط، بل بين العنصريين ضد كافة العرقيات وجزء كبير من البيض، كذلك بين أصحاب المصالح والثروات والطبقات المعدومة، إنها متوالية من

الانقسامات لا تنتهي، وسلسلة من الحروب لن يخرج منها منتصر واحد.

الاقتصاد هو عماد القوة العسكرية فلا بد من كسره [راجع الفقرات من صفحة 181 إلى صفحة 183]، وحدة المجتمع الأمريكي هي أساس استقرار اقتصاده فلابد من تفكيك المجتمع، الحكومة الفدرالية هي مرتكز وحدتهم فلا بد من إسقاط رمزيتها (وقد نثر "ترامب" بذور إسقاطها).

وكان اقتحام الكابيتول في السادس من يناير 2021 خير مقياس لحجم الانقسام الأمريكي، ومع إسقاط واضح لأهم رموز الديموقراطية؛ يتضح لنا أن الحكومة الفدرالية هشة جدًا، وهناك موجات قادمة تؤيد فك الاتحاد الأمريكي، وترغب في استقلال عدد من الولايات، ولهذا حينما قال مستشار الرئيس الروسي "ألكسندر دوغين": (نحن نثق في ترامب) فقد كان يعني ما يقول، فمثل "ترامب" هو استثمار ناجح للأعداء سواء أدرك ذلك أو لم يدرك.

***

في المقابل لا تكتمل الصورة بشكل صحيح دون النظر أيضًا للصورة المقابلة لصورة الأعداء، يجب أن يستدعى للحرب كل من ذاق الويل من شمال الكوكب [روسيا وأوروبا وأمريكا]، لسنا وحدنا ضد العدو؛ هناك كثيرون عانوا ويعانون، والتاريخ العنصري للمستعمر الأوربي والأمريكي والروسي مليء بالقهر والغطرسة والسلب والنهب لبقية شعوب العالم، لقد مارس العدو نفس المخططات مع كل شعوب وعرقيات العالم، ماذا فعل في شرق أسيا أو في شبه القارة الهندية؟، وماذا عن المنطقة الإسلامية من العالم من المحيط للمحيط؟، وماذا عن أفريقيا السمراء ؟، وماذا عن حجم الإبادة في أمريكا الشمالية وأستراليا؟ وماذا عن الشرايين المستنزفة في أمريكا الجنوبية؟، هذا القهر يجب أن يجمع المقهورين ويحشد جهودهم لإضعاف العدو ومن ثم هزيمته، ولنصُف أجزاء الصورة

علينا اتخاذ خطوات كثيرة:

على المجاهدين أن يبذلوا الوسع للانسجام مع أمتهم؛ ومن ثم التعاون مع الناس الراغبين فعلًا في الحلم الإنساني بالتحرر من براثن الشيطان وخدامه، قال تعالى: {وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ {62} وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {63} سورة الأنفال، ولن يتحقق ذلك إلا بالانصهار مع مجتمعاتنا ودعوة المستضعفين في العالم للتحرر، ولقد حان الوقت لنهاية الحرب الأزلية في معركة زماننا الفاصلة، إنها معركة مشتركة مفروضة ويجب أن يخوضها كل المستضعفين في العالم، إنها أشبه بحرب عصابات عالمية تدور رحاها على سطح الكوكب بكامله ضد مصالح التحالف [الشيطاني - الصهيوصليبي] لتتحرر الأمم والشعوب وتملك قرار الاختيار بين الحق والباطل وتسعى لصناعة مستقبلها دون ضغوط أو وصاية.

في الهند مثلًا قام الإنجليز ومن خلفهم باستنزاف أرضها وسرقة خيراتها ومازال، وسخر شعبها فصنع منه كتائب عسكرية تقاتل دونه، ثم قام بتقسيمها لعدة دول ليحقق عدد من أهدافه الاستراتيجية: ومنها إيقاف المد الإسلامي لشبه القارة الهندية، ومنها غرس العداوة بين مكوناتها على أسس طبقية ودينية، ومنها إبقاؤها سوقًا توفر الخامات لدعم الصناعة الغربية، يا سكان الهند إن ثأركم ليس مع المسلمين ولكن مع القوى التي استعبدتكم وساقتكم للقتال نيابة عنها، يا سكان الهند اعرفوا عدوكم وتحرروا من عملائه.

أيها الناس في آسيا وأفريقيا وجنوب أمريكا واستراليا اعرفوا عدوكم وتحرروا من عملائه.

إبليس يقود المعركة ووضع فيها خلاصة خبرته للقضاء على الجنس البشري ويحوله لحيوانات همها المأكل والمشرب والجنس، هذا ظن إبليس وأتباعه، ولطالما كان خائب الظن، وسيخيب ظنه اليوم أيضًا إذا انتبه جند الله لحقيقة الصراع وأحسنوا توجيه

وتوحيد أمتهم وإحسان الدعوة لكل أمة مهددة بالخطر، في اصطفاف تاريخي ضد قوى الشر والظلام، كلٌ يعمل من طرفه، ولنستفد من تجربة عدونا في التقسيم والتجزئة والقتال لنصطف ولنوجه طعناتنا الآن لكاهن الشيطان المتسلط على الأرض، علينا بتركيز الضرب على الولايات المتحدة الأمريكية ومصالحها في كل مكان، في هذه المرحلة يعد إسرافًا صرف شيئًا من الجهود في اتجاه آخر.

فهل وعينا الدرس ونضجنا ونضج العالم المقهور والمستضعف بعد ليقف ويصطف ويقاوم؟، إن لم يحدث هذا فسيقف آخرهم سقوطًا ليقول: "أُكلت يوم أكل الثور الأبيض"، أعاذنا الله من الندم.

***

سياسة "فرق تسد[38]" قديمة قدم الصراع بين البشر -وحتى في الصيد عند الحيوانات- وهي تسير في اتجاهين الأول: تفريق المتحد، والثاني: منع الاتحاد، والهدف هو بقاء الفرقة والمحافظة على التشرزم وتعميق حالة الضعف وتنمية الصراعات.

يقول معن بن زائدة:

كونوا جميعاً يابني إذا اعترى *** خطب ولاتتفرقوا أفراداً

تَأْبَى الرِّمَاحُ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكَسُّرًا *** وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكَسَّرَتْ آحَادَا

وهذا هو ما برع فيه الاستعمار (تفريق المتفق أو منع الاتحاد) بهدف الاستعباد والاستيلاء على الخيرات والثروات، فمن خلال إثارة الفتن الطائفية، والتحريض

---

[38] ذكر المؤلف "جرين" معركة ماراثون تحت هذا العنوان، ورغم أن المخطط "ميليتيادس" لم يكن موضوعه تقسيم قوات العدو، لكنه تفاعل مع قرارات العدو بمهارة، معتمدًا على خبرته بنفسية خصومه، ومعرفته بشجاعة الجنود الذين دفعهم الخوف على أسرهم وأموالهم وأرضهم لإخراج أقصى ما عندهم.

على العنصرية والإثنية، ونشر روح الانتقام بين الطوائف والطبقات المكونة لهذا الشعب، وإشعال حروب داخلية وخارجية تنتهي بإنهاك قوى كافة الأطراف.

وهو نقيض ما قام المسلمون به؛ فلم يستخدم المسلمون "سياسة فرق تسد" إلا في ميدان القتال، وبانتهاء الحرب عمدوا لنشر الدين وتوحيد الناس تحت راية التوحيد، وعملوا على الصلح والإصلاح بين المتخاصمين؛ للحفاظ دائمًا على وحدة الصف، وأقاموا في أرض الإسلام؛ لمن بقي من أهل الكتاب على عقيدته نظامًا يكفل له حياة يأمن فيها على أهله وماله.

يَقُول قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ:

فَلِمِثْلِ رَيْبِ الدَّهْرِ أَلِّفَ بَيْنكُم *** بِتَوَاصُلٍ وَتَعَطُّفٍ وَتَوَدُّدِ
إِنَّ الْقِدَاحَ إِذَا اجْتَمَعْنَ فَرَامَهَا *** بِالْكَسْرِ ذُو حَنَقٍ وَبَطْشٍ أَيّدِ
عَزَّتْ فَلَمْ تُكْسَرْ وَإِنْ هِيَ بُدِّدَتْ *** فَالْوَهْنُ وَالتَّكْسِيرُ لِلْمُتَبَدِّدِ

***

في النص التالي استعراض موجز لخطوات عملية تمثل أساسًا لإنجاح عملية التغيير:

الخطوة الأولى: دائمًا وأبدًا هي ممارسة الدعوة -للأمة- بشقيها التربوي والتوعوي في مسار متوازي وليس متتالي فتبين لهم:

- أن العدو ليس فقط المستبد الجاثم على كرسي الحكم؛ إنه انعكاس للتحالف الصهيوصليبي المكون من (أمريكا واليهود وأوروبا الغربية).

- بيان الدور القبيح لمؤسسات العدو أو دولة المستبد الإعلامية والدينية في إعادة صياغة عقولهم لتخضع لعدوهم.

- تعلمهم سبل التغيير واستراتيجياته وتكتيكاته، وتدلهم على مفاصل التغيير التي يجب

العمل عليها لتمزيق الروابط بين المستبد ومكونات النظام وداعميه وحلفائه.

- ترفع من وعيهم وتعرفهم على حقوقهم ودورهم في الحياة، وتنشط مخيلتهم حول آمالهم وأحلامهم التي يرغبون في العيش في ظلالها، وتثير غضبهم على المستبد وبطانته حول حقوقهم المسلوبة.

الخطوة الثانية: هي استثمار هذا الغضب لحشد الأمة في مرتكزين:

المرتكز الأول "عام": هو الحرص على إخراج مظاهرات متتالية كموج البحر لا تهدأ، بهدف زيادة الغضب على المستبد وبطانته وأركانه، والتي تقود في نفس الوقت إلى زيادة اللحمة بين الثائرين والانتماء لقضيتهم وتغرس روح البذل والتضحية والفداء.

المرتكز الثاني "خاص": إنشاء تنظيم من الفاعلين المتحمسين، تنظيم يعبر اسمه عن الهدف الذي يسعون لتحقيقه، تنظيم محدود العدد وآمن من الاختراق، وعلى أكتاف أبناء التنظيم تدار التظاهرات والإضرابات، وبهم تطلق الشرارات التي تهدف إلى تهيج المستبد، وتثير الأمة وتقطع الروابط السابقة (ما يسمى بالعقد الاجتماعي)، ومن خبرتهم تنشأ اللجان ومجموعات العمل السرية والعلنية المصاحبة للتغيير.

بهذين المرتكزين يتبدل مفهوم الأبوة والحماية التي سَوق لها المستبدون لسنوات، وتصبح الحياة في ظلال أهدافهم أهم من الحماية المخادعة والوصاية الأبوية، وستلهم الأوفياء من أهل البلد ومن عسكرها وتحركهم لينضموا لمسيرة التغيير.

ولنكن على يقين: بأنَّ أي هبة شعبية لا يقف خلفها تنظيم هي زوبعة في فنجان، وهي أشبه بالأمر العسكري "محلك سر"، وربما يتقهقرون للوراء تحت ضغط فشلهم والغشم المصاحب له من المستبد، ونسأل الله العافية من قهر الرجال، وأي هبة شعبية تعجز عن الوصول للعصيان المدني بسبب إرهاب النظام فلا بد أن تتحول من فلسفة الثورة إلى الانتفاضة المسلحة أو إلى فلسفة العصابات أيهما توفرت مقوماتها.

الخطوة الثالثة: تنظيم حملة مقاطعات [إضرابات] مصممة لإثارة غضب النظام المسيطر وتثير جنون المستبد، فهي من طرف توقف عجلة الاقتصاد الذي هو الهم الشاغل لأي نظام أو محتل، وهذا يثير جنونهم ويدفع الحمقى منهم -وما أكثرهم- للسير بغشم في درب العنف، ورد الفعل القاسي، والتصرف بعجلة وبدون وعي؛ ومن طرف آخر تعمق مشاعر الولاء بين المضربين، الذين أيقنوا بطبيعة المستبد النفسية؛ الذي لا يقبل بالمشاركة السياسية، ولا يمنح شعبه إلا الفتات من ثروات البلاد واقتصادها، وبمرور الوقت ترتفع جرأتهم ليصلوا في نهاية المطاف "العصيان المدني لكامل الدولة".

يتسبب أيضًا هذا الغضب ورد الفعل العنيف من المستبد بتفتيت منظومته وتفكيكها، ومع الوقت يمنوا الشرخ داخل منظومته وتفترق رؤيتهم للعلاج، فيرى بعض عناصرها علاج الغضب الشعبي ببعض التنازلات، لاحتوائه والسيطرة عليه ومن ثم استغلاله وتوجيهه، بهدف عزل التحرك الشعبي عن المحرضين عليه للتخلص منهم، ولكن تعنت المستبد يجعلهم يقفزون من سفينته رجاء أن يجدوا عقلانية أكثر عند حركة التغيير.

أولًا وأخيرًا مناخ التغيير وروحه الملهمة: العنصر الأكثر أهمية هو وجود القائد وبطانته معهم في الميدان، القائد الواعي الذي حدد مفاصل العدو وقاد بحلم وصبر وذكاء حملته عليها، فقطعَ روابط الماضي التي لطالما سوقها المستبد للناس واحتل بها مخيلتهم، إنه القائد وهيئة أركانه الذين ألهموا الناس بسبل التغيير وطرقه، ومنحوهم الأمل الذي يحلمون بالعيش في ظلاله، وتقاسموا معهم كِسر الخبز بين غياهب المعتقلات، ووسمت ظهورهم سياط الجلاد، وداووا جراحاتهم بابتسامات الأمل الواهنة ودموع الرجاء الصادقة، وتحملوا وعورة الطريق وفقد الرفاق، قادوهم وشاركوهم جميع لحظاتهم: في الخسارة والفوز، في الضيق والسعة، في الانحياز والتقدم، في الجوع والشبع، تشاركوا جميع الآلام والآمال .. فهم جميعًا شركاء مصير لا مرتزقة مستبد، جمعهم الميدان حيث تتدفق مشاعر الناس

نحو التضحية، ثقة في أمانة القيادة وشرفًا في مشاركتهم التغيير.

تنموا الرغبة في التضحية حال وجود دين صافي، وقيادة ربانية، وهدف واضح يرغبون في تحقيقه.

***

ملاحظات هامة ينتبه لها:

- الدعوة التوعوية ليست يومًا أو شهرًا أو عامًا إنها مسيرة حياة، ويجب أن تصمم لتخاطب جميع شرائح المجتمع في شرق الأمة وغربها وشمالها وجنوبها، في كل بقاعها ولكل طوائفها ومذاهبها، وأن تولي اهتمامها لمخاطبة: الأساتذة والطلاب في الثانوية والجامعات، العاملين في المصانع والشركات الكبرى، الأمهات في البيوت، أصحاب المزارع والمزارعون عموما، جميع المهن والنقابات، الضباط الأحرار والجنود الأوفياء.

- أهل العلم وطلابه ليسوا صنفًا واحدًا، والنقاش مع من هم في حاشية السلطان أو أنصاف المتعلمين أشبه بالدخول في نفق حالك من الجدال ملئ بالألغام، وسوء القصد لا غاية له إلا استهلاك الوقت وتفويت الفرص، وأما المخلصون منهم فبعضهم يتحركون سراعًا لنصرة الهبة الشعبية، وبعضهم يعوزه جرعات مكثفة لدفعهم نحو البذل والتضحية لإخراجهم من القوقعة التي حبسوا أنفسهم فيها، وأكسبتهم عيون الناس هالة من الوجاهة كبلتهم وضيقت عليهم سعة التغيير، هذه الهالة هي أسوء ما في القوقعة إذ يصعب خلعها.

- أصحاب الأموال وكبار التجار فهم بقصد أو بدون قصد أفسدوا كل قضية ولجوا فيها، وأفقدوا غالبية عناصر الشعب الرغبة في العطاء، فلا مقارنة بينها في الدفع والإنفاق، وعملية التغيير يصلحها بذل وتضحيات الفقراء والطبقة المتوسطة، ويفسدها ويملؤها بالشقاق والخلاف كثرة المال المتبرع به، ولا يصلحها شيء مثل سيطرة حركة التغيير على أماكن الثروات وإحسان استثمارها، فهنا يكون المال عامًا، وليس مالًا مشروطًا

لتحقيق مراد المتبرع به يدفع لفلان من أجل إسقاط علان، فهذا من عبث الأثرياء.

- العسكر سلاح ذو حدين ولا بد من الاحتياط منهم، فتربيتهم ما بين الإخلاص للنظام وتنمية روح القيادة فيهم والقوة التي بين أيديهم تداعب طموحهم بالسيادة، وتحرضهم لتزكية أنفسهم وتجعلهم يستأثرون بالقيادة خاصة إذا كان هناك دعم خارجي يرغب في امتطاء عملية التغيير لتحقيق أهدافه ومكاسبه الخاصة، وهي الكارثة التي رفعنا السلاح وحرضنا الناس عليها، ولهذا ففي عملية التغيير لا بد من لصق قائد سياسي محنك وداهية -بالمفهوم الديني- مع كل قائد عسكري في كافة المستويات، والسلطة العليا تكون بيد القائد السياسي في كافة المستويات، وبمعنى أكثر وضوحًا فالعسكري يقود القتال والسياسي يسوس العقول والقلوب ويسيطر على العسكري.

ميدانيًا يظل المجهود السياسي المصاحب لغزوة الأحزاب هو النموذج الأمثل لتطبيق هذه الاستراتيجية، خذل عنا ما استطعت.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

"الالتفاف والتطويق والإبادة"

18- استراتيجية المناورة [أ]

المناورة تستخدم في الحرب وفي السياسة .. وفي السياسة أكثر .. ولا بد من التكامل بين العملية السياسية والعملية العسكرية .. كالتكامل بين حروب الاستنزاف (الاشتباك المباشر) والمناورة الحربية.

عسكريًا: المناورة هي فن استخدام النار والحركة بحسن استثمار الأرض خلال فترة زمنية محددة لتفاجئ العدو من اتجاه غير متوقع لضرب مؤخرته أو أحد أجنابه أو مركز ثقله .. فتربك العدو وتشل قدراته على التفكير وتساهم في هزيمته.

تناور القيادة العليا لتستثمر التحركات والعمليات العسكرية لتحقيق أهداف السياسة سواء دارت رحى الحرب أو لم تدور .. فنجاح العملية السياسية يعتمد بشكل كبير على نتائج الحرب أو على قوة التلويح بالتحركات والحشود العسكرية على الحدود.

في حالة الحرب: يملي المنتصر إرادته على المهزوم.

وعند حالة التلويح بالحرب أو في حالة عدم حسم الحرب لطرف: تدور سلسلة طويلة من المفاوضات قد تسفر عن هدنة أو جزية أو استسلام أو اتفاق ما أو العودة للحرب؛ وذلك بحسب ما يملك كل طرف من أوراق قوة.

«من أهم أهداف اغتيال أئمة الكفر أن يتحرر الناس من سقفهم النفسي ليسهل عليهم الاختيار»

***

الالتفاف شكل من أشكال المناورة، وهو تقدم القوات باتجاه مؤخرة العدو أو أجنابه

أو محاور تقدمه أو طرق مواصلاته أثناء مشاغلة الجبهة، والالتفاف قد يكون تكتيكيًا: على مؤخرته أو أجنابه، وقد يكون عملياتيًا: على محاور تقدمه وطرق مواصلاته، والالتفاف يهدف لتدمير: مراكز القيادة والسيطرة، مخازن وقواعد الشؤون الإدارية، قوات الإسناد، احتلال طرق مواصلاته لإعاقة أو تدمير قوات الدعم.

لا بد أن تمنحنا المناورة الناجحة أثرين:

الأول معنوي: إيجاد حالة من التشويش والارتباك خلف خطوط العدو؛ تساهم في إبقاء العدو غير متوازن بسبب عزله عن القوات الصديقة وعن التواصل مع قيادته، وإذا تحول التشويش إلى خوف قد يصيب القوات المعزولة بحالة من الرعب تؤدي إلى الانهيار والاستسلام.

والثاني مادي: قطع طرق الإمداد والتموين، استنزاف القوات المحاصرة بهجمات مستمرة، في حال وجود طوق فيتم إجبار القوات المحاصرة على استهلاك ذخيرتها ووقودها ومؤنها وموادها الطبية دون السماح بتجديد مخزونها، منع قوات العدو من التغيير بقطاعات أخرى، أسر أو خطف عناصر مهمة، أو جلب معلومات، أو إفقاد الخطوط الأولى الإسناد والدعم.

المناورة تأتي ثمرتها عندما: يدفع العدو قوات الاحتياط لدعم قوات المقدمة لسد أي خرق، هنا تبدأ وحدات المناورة هجومها على أهدافها دون أن تخشى سرعة رد فعل العدو.

المناورة هي التي تنهي حالة الجمود في حرب الاستنزاف اليائسة، وباستخدام الأجواء أصبح الإبداع في المناورة لا حدود له، ولكن الأجواء أيضًا يمكنها إضعاف المناورة بسبب إمكانية دعم العدو لقواته المحاصرة بما ينقصها من العوامل المادية.

***

كيف ينفذ الالتفاف:

تعتمد مناورة الالتفاف على عناصر أساسية وترتيب عملي، يرسل القائد قوات خفيفة سريعة الحركة قبل يوم المعركة لتتسلل في عمق ميدان الحرب وعلى أحد أجنابه بهدف الاشتباك على مؤخرة العدو أو أحد أجنابه عند تلقيها إشارة الهجوم، يعمد القائد إلى الهجوم على الخط الأمامي للعدو، ومشاغلته واختراقه بالقدر الذي يخدع قائد العدو، بحيث يتيقن العدو أن هذا هو الهجوم الرئيسي فيقوم بدفع وحدات الاحتياط لدعم الخط الذي تم اختراقه.

عندما يتأكد القائد من أن العدو دفع قواته الاحتياطية لصد الهجوم يطلق الإشارة المتفق عليها لقوات المناورة التي تباشر القتال على مؤخرة العدو، يترتب على ذلك أثر معنوي ومادي، حيث تصاب وحدات العدو بالخوف والإرتباك وتفقد السيطرة على الجنود الذين أصبحوا بين حجري الرحى.

***

يعتمد النجاح في المناورة على:

الاستطلاع: هدف الترصد ودوريات الاستطلاع هو المعلومات، دراسة الأرض ومعرفة هيئاتها ومحاورها تساهم في توقع تموضع الجيشين، كما ترسم خطة القتال للطرفين، كذلك تساهم المعلومات في التخطيط لإنشاء محاور جديدة تفاجئ العدو، سواء كان المحور الجديد للمناورة الأمامية أم للإمدادات الخلفية، المعلومات تمنح القيادة الوقت والمرونة الكافية للاختيار بين البدائل التي تخدع العدو وتحقق المفاجئة.

المباغتة: جوهر المباغتة هو الخداع، ويتم ذلك بحسن إخفاء النوايا والاستعدادات، وإحاطتها بنطاق من الكتمان، وترتيب طرق وممرات جديدة غير معروفة وليست على الخرائط المتداولة للتقدم نحو نقطة الاشتباك، والمباغتة قد تتحقق بالوقت أو المكان أو

التكتيك أو السلاح أو المعدات أو بطرق الاقتراب ... إلخ.

السرعة: يجب أن تتم المناورة بسرعة وبدقة متناهية في كل مراحلها، ولتحقيق ذلك إعتمدت المناورة على: القوات الخفيفة المحمولة؛ واستفادت من وسائل النقل وتطورها من الحصان إلى الطائرات مرورًا بالعجلات والمجنزرات، لقد منحت وسائل الحركة القديمة والحديثة المناورة الحركية والسرعة المطلوبة؛ كما اختصرت وقت التحرك وفترات التواجد خلف الخطوط بما يضمن أمن وسرية المناورة من طرف، ومن طرف آخر ساهمت في تحقيق المفاجأة.

القوة: المناسبة لضمان استمرارية زخم الهجوم والتي تطلق العنان للحماس والاندفاع لاستثمار حالة الهلع والارتباك عند العدو، حجم وقدرات هذه القوة سواء في الأفراد أو السلاح أو المعدات تخضع لمبدأين "الحشد والاقتصاد في القوى".

الحيطة: وهي التدابير التي توفر الظروف المناسبة لتنفيذ الواجب المحدد وكذلك التدابير التي تحمي الوحدات المتقدمة من أعمال العدو الأمنية أو رد فعله الجوي أو الأرضي أثناء الهجوم عليه، وعناصر الحيطة هي: السرية والاستطلاع المستمر والتغطية والحذر الدائم، ومن الحذر وجود قوة احتياطية لمواجهة أي رد فعل غير متوقع، ولهذا لابد من توظيف ضابط بتجربة مناسبة لتولي تنظيم تدابير الحيطة لأي مشروع عسكري.

المرونة: قيادة المناورة تكون بحاجة لاتخاد قرارات سريعة تتفاعل مع الأوضاع المتغيرة لتبقى مهمتها قائمة، وقائد المناورة مع القادة الأصغر يجب أن يفهموا القصد من المناورة، والمرونة قد تعني أحيانًا اللامركزية في القيادة بعد الانطلاق للتفاعل حسب الواقع الذي تواجهه، ولهذا فاختيار قائد المناورة يقع على العسكري المرن الذي يجب أن يكون شاملًا وذاتيًا.

الهدف: يمكن وصفه بأنه نقطة حيوية ذات دفاع ضعيف، أي أنها تمثل مركز ثقل العدو، وضربها يؤدي إلى خروج العدو من المعركة.

الخداع: فحتى لا تتحول المناورة من تقدم غير مباشر إلى تقدم مباشر بسبب نباهة وحذر العدو فلا بد من لفت انتباهه بعيدًا عن حركة المناورة بعدة عمليات مخادعة لجذب قواته وتشتيتها، وبهذا يحرم من قدرته على مقاومة أو إعاقة قوات المناورة أثناء اندفاعها نحو العمق.

الحسم: هو التصميم على تحقيق الهدف من المناورة بتدمير قوات العدو أو إرغامها على الاستسلام، ومطاردة القوات المنسحبة حتى لا تشكل جيوب مقاومة وبالتالي وضع الخصم خارج المعركة.

***

سمات المناورة الناجحة:

الإبداع: وهو أن تأتي على غير مثال سابق وغير متوقع يفاجئ الوحدات التي يتم عليها الهجوم.

الزخم: المحافظة على قوة الهجوم وحماسته واندفاعته حتى تحقيق الهدف من المناورة.

الواقعية: أي مرتبطة بالحقائق على الأرض وما يمكن إحداثه وإضافته لتحقيق الهدف لإحسان التخطيط والتنفيذ.

الحركية: لا يقصد بها القوات المحمولة برًا أو جوًا أو وسائل النقل فقط؛ بل باستخدام محاور اقتراب جديدة ومفاجئة سواء كانت المحاور لعمليات التقرب والإمداد أو لعمليات الإخلاء للخلف، [نقل السفن برًا على محور مجهول في فتح القسطنطينية].

الصبر: وهو أهم سمة يجب أن يتحلى بها القائد حتى ينطلق في الوقت المناسب الذي

يحقق الحسم.

***

الفرق بين مناورات الالتفاف والإحاطة والتطويق والتسلل:

الإحاطة: شكل من أشكال المناورة وتعني تقدم القوات على جانبي العدو ومؤخرته وإحكام الطوق حوله، وقد تمارس القوات الجبهوية هجومًا لمشاغلة جبهة العدو وقد لا تفعل، تنفذ عملية الإحاطة عندما تسمح طبيعة مسرح العمليات بوجود محاور تمكن من التقدم عميقًا دون حدوث تماس إلا بوصولها لنقطة الاشتباك، وبذلك فالإحاطة بخلاف الالتفاف تتم على المستوى الاستراتيجي، وبالتالي فالقوة في عمليات الإحاطة تكون أكبر حجمًا وأكثر قوة ومكتفية ذاتيًا.

التطويق: هو النتيجة النهائية لنجاح الالتفاف أو الإحاطة سواء كانت من جانب واحد أو من جانبين [كماشة]، فالتطويق عبارة عن الوصول إلى جانب أو مؤخرة الخصم وإحاطة قواته بسلسلة متماسة من القوات قادرة على: قطع خطوط مواصلاته وضربه من جميع الاتجاهات وإجباره على تشتيت جهوده بالقتال جبهيًا وعلى جبهة معكوسة في نفس الوقت، فتثمر مناخًا نفسيًا مربكًا ومخيفًا إلى حد اليأس من الخلاص، وهنا لا بد أن تكون القوات المهاجمة أكبر من القوات التي تم تطويقها، كذلك لا بد أن تكون القوات التي تم تطويقها معزولة عن دعم بقية القوات بحاجز طبيعي أو كانت بقية القوات تم تثبيتها وإشغالها بهجوم آخر

التسلل: تقنية تستخدم مع جميع أشكال المناورة، ينفذ بعدة أفراد أو مجموعات صغيرة تتجاوز الخطوط الأمامية للعدو من عدة محاور بقصد الوصول إلى نقطة تجمع لتشكل قوة كبيرة قادرة على تنفيذ المهمة الموكلة بها، وقد تستغرق عملية التسلل عدة أيام حتى تصل جميع عناصر الاشتباك، ويمكن أن يتم التسلل على البر أو من الأنفاق أو من الجو أو

المياه [القنوات أو الأنهار أو البحار]، وتتحرك القوات المتسللة في ظروف الرؤية الضعيفة [ليلًا أو في الضباب]، ويعتبر التسلل التقنية الخاصة لقوات المغاوير، وأوسع استخدام لعمليات التسلل في حرب العصابات.

***

التقرب غير المباشر:

هو السعي لتحقيق الهدف من الصراع [النصر] بالإنهاك السياسي والعسكري، فمن الطرف السياسي تستخدام الوسائل النفسية والاقتصادية والتحالفات السياسية والضغط الدولي والإقليمي والتفتيت الداخلي، ومن الطرف العسكري تعني عدم مواجهة العدو في معركة حاسمة إلا بعد إزعاجه ومفاجأته وزعزعة توازنه بتقرب من اتجاهات غير متوقعة.

تهدف استراتيجية التقرب غير المباشر إلى أن تسلك الاتجاه الأقل مقاومة والأقل توقعًا؛ وليس الاتجاه الأضعف مقاومة لأنه واضح للعدو نفسه ومتوقع الهجوم عليه ولديه خطط لدعمه عند الحاجة، أيضا يجب أن يكون اتجاه التقدم يهدد عدة أهداف في طريقه بحيث يصعب على العدو تحديد موقع الاشتباك ويظل في حيرة إلى النهاية.

من الإبداع أن تُبعثر قوات المناورة أثناء تقدمها لتجمعها لاحقًا نحو: هدف واحد، أو تدفعها لسلسلة متعاقبة من الأهداف، أو نحو عدة أهداف في وقت واحد.

في الاستراتيجية غير المباشرة يظل العامل النفسي مسيطرًا وسائدًا، حيث يؤدي الهجوم على مؤخرة جيش العدو أو أحد أجنابه إلى شعور لدى القوات بعجز القادة وتقلص سيطرتهم وأنهم في وضع غير ملائم للقتال، فالجيش لا يمكنه صد ضربة تأتيه من الخلف دون أن يستدير لمواجهتها، هذه الاستدارة تفقده توازنه وتفقده القدرة على المقاومة وتدفعه للانهيار فلا يبقى أمامه إلا الفرار أو الاستسلام، هذا ما يفعله التقرب

غير المباشر في جيش العدو.

***

ختامًا: الفكرة التي تقف خلف هذه الاستراتيجية وباختصار هي: "إضعاف واستهلاك قوى العدو واستنزاف معنوياته بالمناورة؛ قبل الهجوم المباشر".

الاستراتيجية الناجحة: هي التي تحقق الانسجام بين الأهداف والوسائل، والتي تحقق التكامل بين الحركة والمفاجأة، والتي تهدف إلى تقليل الإمكانات، وتحد من التحالفات، وتقلل من الظروف الموضوعية التي قد تساهم في إنجاح مقاومة العدو "والعكس صحيح"، وتحقق ذلك بأقل تكاليف بشرية ومادية ومعنوية ممكنة.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحصار والتفتيت"

19- استراتيجية المناورة [ب]

إنها المناورة الأشد قهرًا ...

عسكريًا: حصار من كل الجهات [تطويق] .. غلق كل الثغرات [إبادة].

سياسيًا: اغتيال رجال الدعوة والفكر [قتلًا وأسرًا وتهجيرًا]، فلا يبقى أمام الشعب إلا طرح واحد [إجبار] .. الغزو الفكري للأجيال الناشئة لتغيير العقيدة والموروثات الثقافية والتقاليد والأعراف الإسلامية [تفتيت] .. إنه الصراع بين مسلمي تركستان الشرقية ومجرمي الحزب الصيني الحاكم المحتل المستبد.

ولا بد لأهلنا [الإيجور] الصابرين في تركستان الشرقية من وقفة نقد ذاتي عميقة للمسار الذي أوصل لهذه المرحلة للوقوف على الأسباب والظروف والملابسات .. تعقبها حركة تصحيح وتغيير للخروج من الفتنة وفق استراتيجية إسلامية تحقق الغاية المنشودة.

وإن شاء الله أسطر في ختام الكتاب رؤية لاستراتيجية الدعوة والجهاد في الصين.

من رحمة الله ما من باب يُغلق إلا ويفتح آخر .. المهم أن نعرف الباب الذي فُتح .. ومن المهم جدًا أن ندرك لماذا أُغلق الباب الأول .. وأن ندرك أكثر كيف ولماذا فُتح الباب الآخر .. وعلينا أن نبذل الوسع في استثمار الزمن المتاح لنا مع كل باب يفتح .. ويجب ألا نغفل عن تعلم الدرس من كل باب أغلق.

من خلاصة تجاربنا: "لا تغلق بابًا؛ ابقه مواربًا .. احرص على ذلك".

***

الإبداع هو مدى المناورة، ولا حدود لإبداع العقل البشري، ولكن .. للإبداع ضوابط في الإسلام فالحَذَر من تجاوز ضوابط الشريعة.

أما مجال المناورة فهي تتحرك في كافة المجالات السياسية والعسكرية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية ... إلخ، إنها فن الإقناع بالقوة الناعمة والخشنة.

في الاستراتيجية السابقة تناولنا المناورة من جانبها العسكري والمادي أكثر، وفي هذا الفصل نتناولها من جانبها السياسي والمعنوي أكثر، وقد بينا أن المناورة تسعى لإحداث أثر مادي وأثر معنوي بالوسائل والوسائط العسكرية والسياسية لتحقيق النصر في الصراع سواء دارت رحى الحرب أو لم تدور، والأثر النفسي الناتج عن المناورة هو الدرع الذي يحمي جنودنا من رد فعل العدو، وهو الحشوة الدافعة لجنودنا لإذكاء زخم القتال حتى تحقيق الحسم، فالأثر المعنوي يعمل في الاتجاهين سلبًا للعدو، وإيجابًا لقواتنا.

***

أثر الحرب النفسية في مناورة الحصار والتفتيت:

الحرب النفسية: هي مجموعة الأقوال والأفعال التي تستهدف التأثير على العدو في مقاتليه قادة وأفرادًا كما تستهدف قيادته السياسية وشعبه، بهدف خلق تصورات معينة أو نفي تصورات معينة تؤدي لإحداث الفوضى والبلبلة في معسكر وأرض العدو فتؤثر على قرارات القادة والروح المعنوية والانضباط للجنود وتحبط الشعب.

وتنفذ بالتنسيق بين العمل العسكري والسياسي ومن خلال العمليات الاستعراضية والدعاية في كافة وسائل ووسائط التواصل والإعلام.

الحصار: مناورة حربية تهدف إلى إحاطة مدينة أو قلعة أو موقع محمي ومحاصرته، حيث يبقى المحاصر متمركزًا أمام هذا الموقع بقصد قطع المحاور لمنع وصول أي دعم وإرغام

المحاصرين على الاستسلام، وهو أيضًا عملية سياسية تستهدف الضغط على حلفاء وأنصار العدو لمنعهم من تقديم أي دعم له قبل وأثناء الحصار، [قديما حصار رسول الله صلى الله عيه وسلم مع أصحابه رضوان الله عليهم في شعب أبي طالب - وحديثًا الضغوط الأمريكية لعزل وحصار كلا من العراق وإيران].

التفتيت: مناورة تجمع بين المجهود السياسي والعسكري، تهدف لمنع العدو من استثمار ميزة تفوقه في القوى، وتتم بإخضاعه معنويًا لظروف نفسية تجعله عاجزًا عن تقدير الموقف السليم، وإخضاعه ماديًا لظروف تجعله عاجزًا عن حشد قواه وأسلحته في اتجاه الضربة الموجهة إليه.

ولتنفيذ التفتيت المعنوي: لابد من معرفة نقاط ضعف وقوة العدو، دراسة قياداته وقدراتهم النفسية، مدى التلاحم بين الشعب والقيادة والسلبيات الموجودة ، روابط العدو الوطنية والإقليمية والدولية، خلاصة هذه العناصر تستثمر لغرس انطباع في عقل قيادة العدو بأنهم في موقف غير ملائم وأنهم لا يستطيعون مقاومة مناورتنا؛ فتفرض على الجنود حالة من التمزق النفسي يشعرهم بأنهم قد سقطوا في المصيدة.

ولتنفيذ التفتيت المادي: لا بد من ممارسة مناورات وعمليات مفاجئة تحطم توزيع وتنظيم قواته، فتؤدي إلى حرمان العدو من المبادأة بإشغاله بمواقف متجددة، كما تساهم في تشتيت العدو بمناورات خداع تدفعه لتقسيم قواته، وتساعد في توجيه ضربات قوية لمحاور إمداد العدو أو التهديد بضربها، ولا غنى عن القيام بمناورات واسعة لاشغال وحدات الاحتياط أو لعرقلة تدابير انسحابه.

***

في الحصار العسكري عبر التاريخ ينبع الخطر من الرعب والارتباك، ولإحكام الحصار العسكري لا بد من استعمال كل الموارد المتاحة وهذا استنزاف ذو حدين للاقتصاد.

وفي الحصار النفسي لا بد من إشعار العدو أنك تحوطه كالهواء بل أنت داخل عقله، فتجعل من أوهامه إلهامًا لتعميق مخاوفه وزيادة ارتيابه وارتباكه، التقنية النفسية هي تحفة في الاقتصاد، والناس يدفعهم للعمل كلا من: الإغراء [تقديم رؤية عملية تغذي طموحهم]، والإغواء [مخاطبة نوازعهم الشخصية "السلطة والثراء وتخليد سيرتهم" تستدرج حرصهم]، قال سبحانه وتعالى { فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى {120} سورة طه.

من النقاط الأساسية التي يهتم بها القائمون على الحرب النفسية هي الدراسة العميقة لنفسية قائد العدو وهيئة أركانه لمعرفة أمراضهم، وهناك عدة أمراض تصيب أي شخص بمجرد وصوله إلى السلطة مهما بدا متعقلًا، ويتضخم المرض كلما كان له جذور في شخصيته منذ صغره، خاصة هؤلاء الذين يرون أنهم "المختارون" أو تزين لهم بطانتهم العنصرية ذلك، أو يحدثهم المقربون بأنهم قَدَرَ هذه المرحلة، من أمثال هتلر وبوش الإبن وترامب -وللأسف بعض الأمراء الشباب في بعض الساحات الجهادية- فسرعان ما يتملكهم جنون العظمة الذي يخفي في بطنه شخصًا مرتابًا، لحصاره؛ لا بد من تغذية ارتيابه وإشعاره بالتهديد في كل محاوره من منافسيه ومن أقرب المقربين إليه، أشعره دائمًا بأنه غير مغطى بالكامل، ثم اترك هواجسه وارتيابه يستنزفه، [مناورة تشرشل مع هتلر].

ومنهم من يتملكه الغرور؛ أمثال هؤلاء يتم استدراجهم بما يشبع غرورهم، وهذا سيمنعهم من التفكير العميق أو رؤية ما يحاك لهم، غذي رغباتهم أو أمانيهم التي لم تتحقق لتجرهم إلى حتفهم، حتى يقعوا في الطوق الذي لا فكاك منه، [مناورة هانيبال لفارو في كان].

ومنهم أصحاب الحاجة الذين يشعرون بالنقص ويرغبون في القيام بعمل يخلد ذكراهم في التاريخ، كل المطلوب هنا هو تمويلهم، ثم تخفيض التمويل أو قطعه، وتركهم في ظلال

الفضيحة أو ضغط التبعية، إنها مناورة تطويق بالصفقات السرية واللقاءات الخفية، [إيران جيت[39] - حروب العصابات].

نماذج من التاريخ:

حرب المغول كانت النموذج الأمثل لتطبيق استراتيجية التقرب غير المباشر، والتي طبقت على المستوى العملياتي والاستراتيجي، وتميزت بحركيتها وسرعتها وأنه يمكنها الوصول لكل مكان، مما فرخ في صدر أعدائهم حالة من الرعب والذهول جعلتهم يستسلمون بأقل مقاومة، [جنكيز خان].

الحشاشون لقب أطلق على جماعة [حسن الصباح] وفلسفته في السيطرة على جماعته ليس موضوعنا، وإنما كيفية استخدامهم، تمكن "الصباح" من غرس أفراده بالقرب من الشخصيات الهامة بالدولة، الدولة التي كانت تهم بالقضاء عليهم، فتمكن من اغتيال عدد من قيادتها، حتى أشاع أنه يمكنه اغتيال أي شخص مهما بلغت أهميته في أي وقت وأي مكان، فغلفهم بانعدام الأمن حتى في وسط جنودهم، ولم يعد هناك علاج إلا بالتخلي في هذه المرحلة عن قتالهم.

وهكذا تستخدم المناورة النفسية: ما عليك إلا استثمار الثقب الأسود في صدورهم لتغيب فيه قلوبهم وعقولهم وتتركها تتفاعل تحركها هواجسها وتسوقها إلى غياهب القاع.

تعقيب: يقول الحق سبحانه وتعالى {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ {151} سورة آل عمران، وروي البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمسا، لم

[39] بعد قيام الثورة الإيرانية تم أسر موظفي السفارة الأمريكية فأشعلت أمريكا مع حلفائها العرب حرباً على إيران، وقادت حظراً دولياً على بيع الأسلحة لها، وفي نفس الوقت أوقف الكونجرس تمويل الكونترا ضد حكومة ساندينيستا في نيكارجوا، ومن خلال الأبواب الخلفية اتفقت إيران على الإفراج عن الرهائن وتمويل حرب الكونترا في مقابل حصولها على الأسلحة، وللقصة بقية.

يعطهن أحد قبلي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ... »، والرعب سيف ذو حدين ففي القتال يسبب الارتباك ويساهم في النصر، وفي السلم يرعب العدو القريب ليحقق الأمن، في المدينة كان ﷺ يدفع الدوريات العسكرية خارجها ليعطي انطباعًا نفسيًا للمتربصين بالمدينة أن لديهم من القوة ما يمنعهم ويدفع العدو عنهم، إنَّ منحة الرعب عطاء إلهي للمسلمين لم يستثمروه كثيرًا في هذا الزمان؟!.

***

الخلاصة:

سياسيًا: تقوم المناورة السياسية على أساس: التأثير في نفسية المنافس والوسط الإنساني المحيط به، وترك انطباع تفاعلي يربك العدو، ويفقده القدرة على اتخاذ القرار السليم، أو التأثير النفسي الذي يدفع الناس لتبديل الولاء، أو يدعوهم للمصالحة سواء تم ذلك بالمداراة أو بتأليف القلوب.

كما تهدف المناورة السياسية لتحقيق أكبر عدد من الأهداف أو النصر دون أن تدور رحى الحرب، فمن الأفضل أحيانا استمالة الناس بدلًا من التدافع، يقول الحق سبحانه وتعالى {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ {33} وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ {34} سورة فصلت، وفي غزوة الأحزاب مارس رسول الله استراتيجية التفتيت، فعرض رسول الله ﷺ على أصحابه تفريق تحالف الكفار بمنح بعض عناصرهم مقابلًا ماديًا، ثم عمد ﷺ إلى الإيقاع بينهم من خلال دفعه لنعيم بن مسعود بينهم، وفي يوم الحديبية أرسل رسول الله ﷺ الهدي أمام الحليس بن علقمة لعلمه أنه يعظم الشعائر فأثر فيه دون أن يكلمه، فالمناورة السياسية عمل جائز وحكيم، لابد أن تمتع القيادة السياسية بالفطنة والحكمة والقدرة على سبر أغوار الناس.

في المناورة العسكرية يتم تثبيت قوات العدو على طول الجبهة ليتم الالتفاف على نقاط ضعفه، وفي المناورة السياسية يتم تثبيت جبهة الناس؛ "عقولهم وقلوبهم" من خلال الكرم الاستراتيجي " اللطف والرحمة والعفو"، وتأليف القلوب، أو الانتماء القبلي أو المكاني، بما يسمح لنا للالتفاف على الثغرات النفسية والشخصية، وملاطفة آمالهم وطموحهم، وأحيانا غرورهم لتحييدهم، وإخراجهم من المنافسة أو الصراع، أو لاكتساب ولائهم وتعاطفهم ومن ثم صبغهم بما لدينا.

وفي المناورة السياسية أيضًا من الأفضل التناطح الإعلامي لخفض المقاومة وإجهاض النوايا، فالجبهة التي لا يثبتها الكرم الاستراتيجي يتم تثبيتها من خلال الدعاية والإشاعات والمناورات الاستعراضية والتلويح بالحرب بما يسمح للالتفاف على عقله وتعميق مخاوفه، ومن ثم دفعه لاتخاذ قرارات خاطئة بناء على معلومات مزيفة، أو سلبه مبررات القتال أو التحضير للقتال، أو تهديده لاستهلاك الوقت وتفويت فرصة الرد تحسبا لتغير القيادة السياسية والرغبة في تفاهم جديد؛ أي إخضاع العدو لخطة الخداع الاستراتيجي [ترامب - روحاني].

***

ختامًا استراتيجية الحصار والتفتيت:

لماذا نصاب في الحصار والتطويق بهذا اليأس والإرباك في حين أننا نستثمره في استراتيجية أرض الموت؟، باختصار قرار أرض الموت نحن من يتخذه ونعد له بدقة متناهية، وفق رؤية تفاجئ العدو وتسمح بإنجاحه، أما الحصار فالعدو يكون قد أعد له بدقة تجعل الخروج والنجاة منه معجزة لمن لم يُعِد نفسه لهذه المواقف، من المهم تدريب القوات المحاصرة على تمارين القتال لكسر الطوق والخروج منه، وأن نحول الطوق والحصار إلى أرض موت.

لا تخلو استراتيجية من حصار بأطواق النجاة؛ التي تفقدها الإبداع، فتأتي الاستراتيجية محدودة الأثر، المبدع هو من هضم مبادئ الحرب، والإبداع هو حالة بين ممارستها وتجاوزها، المغامرة المحسوبة رغم تحديها لمبادئ الحرب إلا أنها تحقق النصر الساحق إذا وقف خلفها خبير بمسرح العمليات، هذا هو الإلهام الذي يجب أن نغزوا به قلوب وعقول القادة الصغار أثناء تدرجهم في القيادة مع الأيام.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

اخدعهم بالتراجع

20- استراتيجية الثمار اليانعة

عندما تنضج الثمار تقطفها النسمات الخفيفة .. عسكريا يمكن الوصول لهذا من خلال المناورات الناجحة ولطالما كان استدراج العدو قاتلًا له .. وتمثلت مهمة القائد في كيفية جذب عدوه لمطاردته؛ إلى النقطة التي يقضي عليه فيها.

إنها ليست بالمهمة السهلة .. فهي تحتاج إلى اعتكاف على الخرائط ودراسة الأرض والمحاور وجمع معلومات دقيقة عن تموضع العدو وعن نواياه والأهم عن نفسية قائده وميوله هو وهيئة أركانه، كذلك لمن ولاء السكان بالمنطقة .. ثم وضع الخطة المرنة التي تسمح له بسد الثغرات التي تطفح على السطح أثناء المناورة .. ويحدد بدقة وقت اجتماع قواتنا في النقطة المعينة للقضاء على العدو الذي يطاردنا.

إن عدوًا انتشرت قواته خلال المطاردة وتقطعت بينها سبل التواصل هو عدو أوشك على السقوط وينتظر أول مفاجأة لتبدأ سلسلة الانهيار ولتنفرط حبات المسبحة .. هنا تكون الثمار قد نضجت لتقطفها النسمات.

***

أحد أسوء الأمراض التي تصيب بعض القادة هي الإصرار على الاشتباك المباشر كتناطح الثيران، قد يكون مفيدًا عند وجود قوات كبيرة، ولكن الاشتباك المباشر في كل الأحوال مكلف جدًا، إذا كان الهدف هو القضاء على قوات العدو فيمكن تحقيق ذلك بطرق أخرى، كالصراع بين المتادور والثور، فهو يغريه ليهجم ويفاجئه بالالتفاف ومن ثم توجيه الطعنات المتتالية التي تعمل على إضعافه تدريجيًا لينهار في النهاية، التركيز ومراقبة العدو وتوقع تحركاته هو جوهر النجاح في المناورة، كما أن تكتيكات التسلل التي

تعمل بها القوات التقليدية أو القوات الخاصة تستخدم على نطاق واسع من أجل التسبب في الفوضى والارتباك وراء خطوط العدو.

قد يرى البعض أن الشرف هو في المواجهة بالاشتباك ولكنه وهم يخدع به نفسه ويبرر به سقطاته، إن إدمان الاشتباك لا يقل سوءًا عن إدمان المخدرات فكلاهما يذهب بالعقل.

والخلاصة: المناورة تكسر الجمود في حروب الاستنزاف [الاشتباك المباشر] وتوفر فرصًا أفضل للقوات لتحقيق هدفها.

***

المناورة هي: حركة عسكرية سريعة ومباغتة في توقيت ومن اتجاه غير متوقعين تهدف لشل قدرة العدو على اتخاذ القرر بسبب ما حققته من صدمة ومفاجأة وحالة من الارتباك، وعادة ما تكون المناورة عملًا هجوميًا، لكن لا مانع من وجود مناورات انسحاب أو دفاع.

المناورة في السلم: هي تمارين عسكرية تقوم بها عدة دول حليفة أو دول منفردة بين أفرع قواتها العسكرية المختلفة لتطوير أدائها وتعزيز مهاراتها الميدانية وتقوية الروابط العسكرية بين الدول المشتركة.

من المفيد القول أن المناورات السياسية عادة ما تصحبها تهديدات ومناورات عسكرية، في إطار خطة ضغط أو خداع استراتيجي.

مبادئ المناورة:

تعتمد المناورة على قدرة القائد على رؤية الصورة كاملة بوضوح وعلى فهم مسرح العمليات جيدًا، يصاحب ذلك القدرات النفسية للقائد الذي يجب أن يطلق العنان

لنفسه ليستفيد مما هو تحت يديه ويستثمره بأفضل شكل دون أن يتأثر أو يشله فقد مرحلي للأرض أو بعض المواقع، عليه أن يبتكر معضلة للقائد المقابل تجعل خياراته كلها سيئة وتجعل من الاستسلام هو الحل الأفضل له، أو عليه أن يفتح له مجالات مغرية ولكنها في حقيقتها فخاخ، القائد الفطن هو الذي يحسن إخفاء نواياه عن عدوه فلا يدرك هدفه ويبقيه في حالة من الفوضى لا تتيح له وضع أي خطة، هذا هو فن التعامل مع المبادئ.

1- المراقبة والمعلومات: وهي تأخذ شكل سلسلة مستمرة: لأنها تبدأ بالمراقبة والتقرير والتوجيه والتفعيل لضرب العدو، القائد الماهر هو الذي يرى بوضوح الخط الذي سيسلكه عدوه ليضع الفخ المناسب ليستدرجه إلى المكان المناسب وفي الوقت المناسب.

2- الهدف: وله سمتان الأولى أن يكون نقطة حيوية، والثانية أن الدفاع عنها ضعيف لوجودها في عمق العدو أو مؤخرته.

3- الحركية: الوسائط التي تزيد من السرعة لتحقيق المفاجأة التي تقوم على الخداع، ولهذا قام بها قديما سلاح الفرسان [خالد بن الوليد في معركة أحد] وحديثًا المشاة المحمولة أو المدرعات، وجوًا بالقوات الخاصة [قوات المظليين أو الإنزال]، وبحرًا من خلال الالتفاف البحري ... إلخ.

4- المرونة: ولا تحسن إلا بالتعرف على طبيعة الأرض ومحاور التقدم فيها وتوقع رد فعل العدو ومفاجآته والعمل على علاج نقاط الضعف والثغرات بل والاستفادة منها سواء في استدراج العدو أو القضاء عليه، إنها سلسلة من الاحتمالات التي تعالج بسلسلة من الخطط الفرعية تحت الخطة الأم، القائد البارع هو الذي لا تستغرقه المعلومات بل الذي يستثمرها.

5- الاقتصاد بالقوة: الأصل أن القوات التي تنفذ المناورة هي قوات صغيرة ومدربة

جيدًا، والحشد الزائد عن الحد قد يضر بالمناورة ويفضح سريتها.

6- اللامركزية: فتح المجال للقادة بالتفاعل حسب المواقف التي تواجههم، لاتخاذ ما يناسبهم من قرارات والإبداع فيها مع الالتزام بالهدف المكلفين به، فهم يعملون بعيدًا ومنفردين وبحاجة لاتخاذ قرارات سريعة تتفاعل مع الأوضاع المتغيرة.

7- المفاجأة: إنها خطة الخداع التي تضع العدو في حيرة دائمة فهو لا يفهم تحركاتك التي تصرفه عن الهدف الرئيس، تنطلق إلى مكان وتظهر في مكان آخر، تهدد بضرب هدف وتصوب على آخر، تقول شيئًا وتعني شيئًا آخر، إنها الفوضى المنظمة، وعندما يكتشفها يكون آوان اتخاذ القرار قد مضى، ولا مجال إلا للاستسلام للنجاة بأقل الخسائر.

8- الأمن: إنها قصة التغطية التي تعالج أي شكوك لتمنح العناصر المتحركة السرية، وتبرر وجودها في أي قطاع أثناء حركتها وتقدمها، وبذلك تضلل أعين العدو الراصدة للمسيرة، فلا تعقل عن أي شيء تخبر القيادة، وأحيانا يكون الأمن لإنجاح الخطة هو كشف بعض الحركات على محاور مختلفة لتزيد من إرباك قيادة العدو، وتجعلها تنطلق أحيانا نحو سراب أو نحو فنائها، فالأمن عملية معقدة جدًا، الأصل فيه سرية الحركة، لكن .. بعض العلنية أكثر قسوة.

***

تهدف المناورة لاستثمار نقاط ضعف العدو المؤثرة لجعله غير قادر على الحرب، لذلك تستهدف المناورة: مراكز القيادة العسكرية والقواعد اللوجستية وقوات الدعم [الاحتياط] وقوات المؤخرة، وقد تعمل على عزل بعض قوات العدو أو تحيد قوات حلفاء متقدمة أو المساهمة في حصار القوات بمنع وصول الإمدادات، و لا تقف المناورة على الالتفاف أو التطويق؛ إن خداع العدو بالتراجع هي المناورة الأكثر شهرة وقسوة وفاعلية، ونجاة العدو منها لا يتحقق إلا بمعجزة.

أساليب المناورة: الاحاطة [الالتفاف من طرف، الالتفاف من طرفين "الكماشة"]، التسلل، الإغارة، الكمائن.

مدى المناورة: تكتيكي في داخل ميدان المعركة كما سيأتي بيانه في معركة الولجة، استراتيجي بعيد المدى من خلال تنفيذ مناورات إغارة وكمائن على محاور الإمداد كما في حرب الغواصات في أحداث الحرب العالمية الثانية، استراتيجي قريب المدى كما فعل لورنس والقبائل العربية الموالية للإنجليز بقطع خط الإمداد على جيش الخلافة العثمانية بالعقبة، وكما فعل المهندس مصطفى حامد بالتنسيق مع القاعدة لحصار خوست بإغلاق المطار.

حجم المناورة: يتحدد بحجم الهدف من المناورة وحسب نوع المعركة [هجومًا أو دفاعًا أو انسحابًا]، فعند عمليات التسلل أو الالتفاف أو التطويق تتم المناورة عادة بوحدات صغرى ذات كفاءة قتالية راقية ومميزة [معركة الولجة]، وقد تتم المناورة بكامل قوات الجيش كما في عمليات قطع التماس والانسحاب [قطع التماس والانسحاب العبقري في معركة مؤتة].

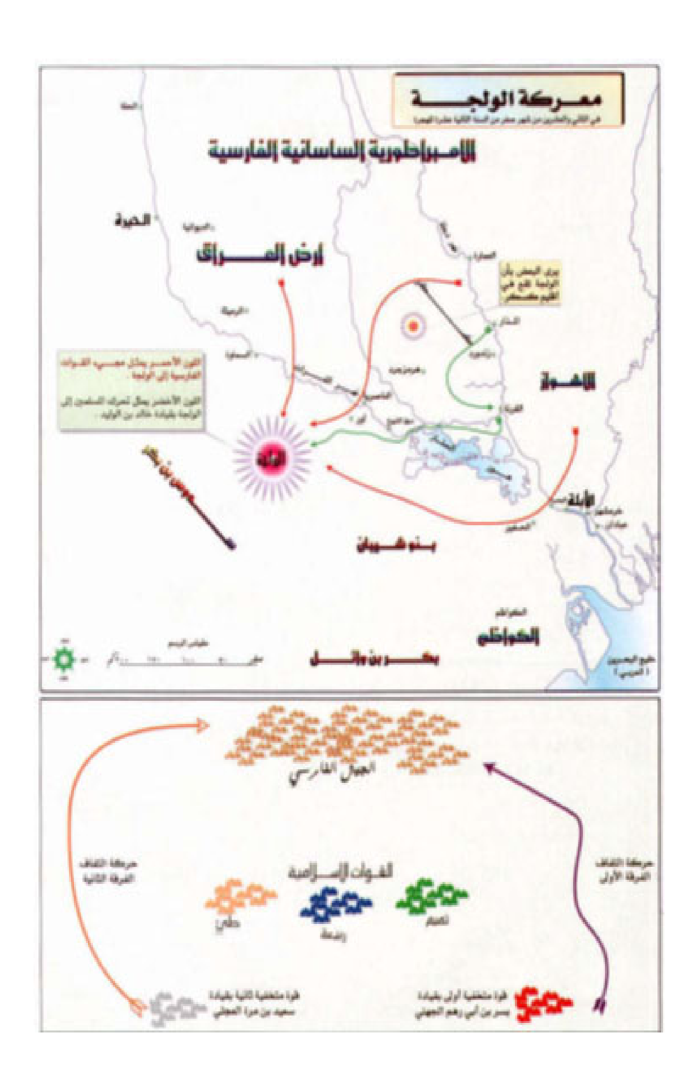
***

معركة الولجة

أمر الإمبراطور الفارسي أردشير بتجهيز جيشين للقاء المسلمين، تجمعت القوات الفارسية في العاصمة من كل المدن والحاميات باستثناء من يحرسون الحدود الغربية مع الامبراطورية الرومانية الشرقية. خلال أيام قليلة كان الجيش الأول مستعدًا؛ توقع المستشارون العسكريون أن المسلمين سيسيرون مع الفرات إلى الشمال الغربي في العراق، فاختار أردشير الولجة ليوقف فيها خالد بن الوليد و يدمر جيشه.

أول جيوش الإمبراطورية الفارسية وضعت تحت قيادة أندرزاغار، الذي انطلق

بالجيش وانتقل على طول الضفة الشرقية من دجلة، ثم عبر دجلة وانتقل إلى الجنوب الغربي منه بالقرب من الولجة وأنشأ معسكره بها.



في المقابل نظم خالد شبكة أعين فعالة تعلمه بمواقع الفرس -العملاء هم من العرب المحليين الذين كانوا معادين للفرس- أبلغ العملاء خالد عن تركيز الجيوش الفارسية الجديدة في الولجة، وعن أعدادهم الكبيرة.

كان خالد مصمما على الحصول على الحيرة، والولجة كانت في طريقه إليها. ومع جيش من حوالي 15000 رجل، انطلق خالد في اتجاه مدينة الحيرة، وتحرك على نحو سريع على طول الحافة الجنوبية من المستنقعات. بدا الجيش المسلم في الظهور في الأفق الشرقي، وأقام مخيمه على مسافة قريبة من الولجة.

مناورة خالد

واجه المسلمون الجيشين باستراتيجية واحدة وتكتيك واحد:

الاستراتيجية : كان جيشان من الفرس على وشك أن يجتمعا لاعتراض المسلمين، لحل هذه المشكلة عزم خالد بن الوليد على الهجوم بسرعة والمحاربة والقضاء على الجيش الأول [جيش أندرزاغار] ثم الجيش الثاني [جيش باهمان] قبل وصوله إلى مكان المعركة.

التكتيك: قرر خالد إحاطة الجيش الفارسي، والانقضاض عليه من الخلف وتدمير جيشهم ومنع مقاتلي العدو من الهرب من خضم المعركة وإعادة تنظيم صفوفهم والعودة لمواصلة القتال، خطة خالد كانت حركة الكماشة.

موقع المعركة:

أرض المعركة تكونت من سهل شاسع ممتد بين مرتفعين يمتدان إلى حوالي ميلين وبارتفاع 30 قدما، الشمال الشرقي من السهل يتداخل مع صحراء قاحلة، على مقربة من الشمال الشرقي يظهر فرع من الفرات يسمى بنهر خاسف.

المعركة

في الليلة التي سبقت معركة الولجة أرسل خالد اثنين من ضباطه "بسر بن أبي رهم و سعيد بن مرة" وجعل كل منهما قائدًا على قوة متحركة تتكون من نحو 2000 فارس وأمرهم على النحو التالي :

- سوف يأخذ كل منهما فرسانه خلال الليل ويتحرك بسرعة في الجنوب من مخيم الفرس.

- عند الوصول إلى الجانب الآخر من سلسلة التلال التي تمتد وراء مخيم الفرس، سيخفيان الرجال ولكن يحتفظان بهم على أهبة الاستعداد للتحرك خلال فترة قصيرة.

- عند الصباح ستبدأ المعركة، و سيبقون رجالهم وراء التلال، وسيضعون عددًا من المراقبين لانتظار إشارة خالد.

- عندما يعطي خالد إشارته يهاجمان القوات الفارسية من المؤخرة، وكلا منهم على جناح.

شكل خالد جيشه بالـ 10000 المتبقية قبالة الجيش الفارسي.

خطة أندرزاغار كانت تعتمد على الدفاع وترك المسلمين يهاجمون لاستنزافهم ومع امتصاص زخم الهجوم يشرع في هجوم مضاد لهزيمة جيش المسلمين، سارت المرحلة الأولى من المعركة وفق ما خطط له أندرزاغار.

فقد أمر خالد الجيش بشن هجوم عام، خلال هذا الوقت بارز خالد بن الوليد بطل الفرس العملاق الذي يطلق عليه "هزار مرد" وقتله، فكان هذا نصرًا معنويًا للمسلمين.

خطة الكماشة

بدأت المرحلة الثانية من المعركة مع هجوم مضاد لجيش الفرس، ومع ملاحظة أندرزاغار علامات التعب على الجنود المسلمين، أرسل فرعًا من سلاح الفرسان الثقيل إلى الأمام للهجوم على جسم جيش المسلمين تمكن المسلمون من احتجازهم لبعض الوقت، لكن مع زيادة وطأة الهجوم الفارسي بدأ تراجع الجيش الإسلامي في محاولة لسحب قوة الهجوم، تمهيدًا لانطلاق قوات المناورة لإحكام حصاره.

ومع تقدم الجيش الفارسي أعطى خالد بن الوليد الإشارة لقوات المناورة، ومن خلال أفق التلال التي تمتد وراء ظهر الجيش الفارسي ظهرت فرقتان من المحاربين واحدة وراء الجناح الفارسي الأيمن، و أخرى وراء الجناح الأيسر. تمكن سلاح فرسان المسلمين الخفيف والسريع من إحداث مفاجأة سببت إرباكا للعدو لم يتمكن سلاح الفرسان الفارسي الثقيل من علاجها، خاصة وأن جل قوات الفرس انتشرت في أرض المعركة، عاود جسم الجيش الهجوم على الجبهة الفارسية، وفي الوقت نفسه امتدت أجنحة المسلمين لإحاطة الفرس تماما.

جيش أندرزاغار كان واقعًا في حصار لا يمكن له الفرار منه، انتهت المعركة وألحقت خسائر فادحة في الجيش الفارسي، فقط بضعة آلاف من المحاربين تمكنوا من الفرار، أندرزاغار نفسه تمكن من الهرب، لكنه فر في اتجاه الصحراء العربية بدلا من الفرات وتوفي في تلك المنطقة من العطش.

***

المناورة تعتمد على مجهود مجموعة من القادة، وهذه على المستوى النفسي نقطة حساسة جدًا، إذ يخشى أن تحدث نوع من المنافسة والفخر بينهم، والمنافسة هي المسابقة بين الأنداد لاحتلال المكانة الأرفع عند القائد وهذه رؤية غير ناضجة، ولكن المنافسة عندي هي تضافر الجهود بينهم وآداء كل منهم لمهامه لتحقيق النصر، وهذه هي المهمة الأصعب لكل قائد: تحويل الأنا في صدر معاونية إلى نحن، وبهذا نصل لروح الفريق، رحم الله خالد فقد عقمت النساء أن ينجبن مثله.

بسم الله الرحمن الرحيم

فاوض أثناء التقدم وإن شئت لقلت تقدم أثناء التفاوض

21- استراتيجية الدبلوماسية

التفاوض قديم قدم الإنسان .. وربما قبله .. وأول وأشهر عملية تفاوض ذكرها التاريخ للإنسان على الأرض هي ما تم بين آدم عليه السلام وولديه .. قابيل وهابيل .. والتفاوض عملية اجتماعية واقتصادية يومية قبل أن تكون مسألة سياسية .. والتفاوض عبارة عن مسيرة إرادتين أو أكثر نحو بعضهم لتحقيق اتفاق يربح فيه الجميع كلا بحسب قدراته النفسية وإمكاناته المادية .. إنها عملية تتعلق بالقدرة على الإقناع من طرف ومن طرف آخر تعتمد على ما يملكه كل مفاوض من أوراق قوة.

مائدة التفاوض مستديرة .. في التفاوض يتفاهم الطرفان وربما لا يتفاهمان .. ولكنهما يتواصلان .. لا تُغْلَق الأبواب في التفاوض؛ دائمًا ما تترك مواربة .. التفاوض اللغة الأم للسياسيين .. التفاوض علم وفن .. علم ومبادئ تدرس .. وفن يمارسه الموهوبون.

تختلف مناورة التفاوض عن جلسات الإملاء .. بكون الأول: تفاهمًا الكل فيه رابح نسبيًا بحسب قوتهم .. والثاني: يملي فيه الطرف المنتصر كامل إرادته على الطرف الخاسر .. في الإملاء يمنح المنتصر الأرعن للخاسر ما يكسره ويذله وبالكاد يجعله يتنفس ويستمر في حياته .. ويمنح المنتصر الحكيم الخاسر ما ينهي الصراع ويطيل أمد الاستقرار.

مائدة الإملاء مستطيلة يجلس فيها المنتصر حيث ينبغي أن يكون .. أما المهزوم فهو يجلس حيث لا يسعه إلا الإنصات والقبول .. حيث مائدة الإملاء مسألة شكلية .. ففي الإملاء لا مجال للتفاوض ولاوجود للأبواب حيث يكون الحق للقوة .. الإملاء اللغة الأم للعسكريين.

أُطلق على المسلمين لقب الفاتح الرحيم .. فهم: رحماء في حربهم .. رحماء في إملاءاتهم

.. رحماء في معاملاتهم .. رحماء في أسراهم .. رحماء في سبيهم .. رحماء مع عبيدهم .. رحماء في شدتهم .. لأن الله كتب الإحسان على كل شيء.

***

لا تعتمد الدبلوماسية على الكلمات المنمقة أو جلسات التودد واللطف أو الصياح والعنجهية والتوبيخ والتهديد فقط، هذا الجانب الإعلامي منها، إنها عملية غاية في التعقيد، وتحتاج إلى التحضير الجيد حتى تؤتي ثمارها، ومن التحضير ما هو عمل حربي عنيف، ومنه ما هو كلمات غاية في القوة والردع، ومنه ما هو لطيف ظريف، ومنه ما هو مقايضة مع الزمن، إنها مناورة يلزمها دائمًا وفي جميع مراحلها الدعم العسكري والاقتصادي، وبلاغة العبارة وقوتها حيث تكمن قوة المفاوض النفسية وحكمته، يقول خالد بن الوليد ﵁: جئتكم برجال يحبون الموت كما تحبون الحياة، ويكتب هارون الرشيد: الجواب ما تراه لا ما تقرؤه، ويقول معاوية: لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، الدبلوماسية عملية تَعبرُ من الحلم والعفو والحوار إلى الغضب والتهديد والقتل، إنها إدامة للصراع من فوق الكراسي وعلى المائدة وعلى الصفحات والمنابر الإعلامية.

***

في التفاوض ما يمارسه ساسة العالم وينكره الإسلام:

* في العالم وخاصة عند اليهود وفي الغرب المسيحي يعتمد التفاوض على المناورة والاستراتيجية والخداع والغدر، وبالتالي لا يقلق المفاوض أو الحاكم في أن ينكث وعوده لظنه أن المفاوض المقابل سوف يجد لاحقًا عذرًا يمنحه الانسحاب من الاتفاق، يدعمه في ذلك التوراة المحرفة المليئة بصور الخداع التي تفسد عقل أتباعها ونمط تفكيرهم وتسوقهم لما هو أسوء، خاصة حين تحكي عن الأنبياء وأبنائهم وتتهمهم في مروءتهم وأخلاقهم بحكايات منكرة [ابنتي لوط عليه السلام بعد وقوع العذاب، زوجة إسحاق عليه

السلام ونبوة يعقوب عليه السلام، بكر يعقوب عليه السلام وكنته، ترتيب مؤامرة سرقة المصريين عند الخروج ... إلخ].

* الثقة ليست مسألة أخلاقية بل هي مناورة شأنها شأن الصداقة وهو أمر قابل للبيع والشراء، والبراعة تكون في الآداء التمثيلي وحسن الإخراج؛ الذي يجعل الطرف المقابل يثق فيهم ويمنحهم صداقته التي يستغلونها أسوء استغلال، فتقدم الرشاوى العينية والمالية باسم الصداقة والمستقبل المشترك فتشترى وتباع في سوقها الذمم، ومعها تفقد الأرض والثروات وحتى الموروثات والعادات والتقاليد والأعراف وما يجعل البشر بشرًا.

* إذا كنت ضعيفًا فالتوافق هو مناورة لا تهدف إلى اللطف وإنما تمنحك الوقت لتؤجل المعركة حتى تستعد؛ وعندها يحق لك استعادة ما فقدته، وإذا كنت قويًا فلا تجلس على المائدة حتى تحصل على كل ما يمكنك؛ ساعتها تستطيع التخلي عن أشياء بسيطة مقابل أخذ الأشياء الثمينة، إنه ميكيافلي القادم بنصائح شيطانية لا تفي بعهد ولا تؤمن بوائقها.

* أمريكا ذات الوجوه المتعددة لا تقلق على سمعتها خاصة انعدام الثقة بها، فالقوة تنسي الناس الوعود التي نكثت بها، فأسس الشرعية الدولية لا تخذل قويًا يود إظهار حججًا لعدم وفائه بوعوده، [ترامب – الأكراد وإيران وأغلب حلفائه]، وهو وغيره يعملون وفقًا لمبادئ وأسس ميكيافلي: [الحاكم "الحكيم" لا يجدر به الوفاء بكلمته حين يكون ذلك ضد مصلحته].

***

وفي سياق تكرار فرعون وعوده ونكثها لنبي الله موسى عليه السلام، وما أصبحت عليه عادة اليهود حتى مع رسول الله ﷺ جاءت التوعية والتحذير والتحريض والتربية الإلهية للمسلمين في هذا الباب قال تعالى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ

يُؤْمِنُونَ {55} الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ {56} فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ {57} وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ {58} سورة الأنفال، إن الإسلام يكره الخيانة ويحتقر الخائنين الذين ينقضون العهود، ومن ثم يحرم على المسلمين النكث بالعهد في سبيل غاية مهما تكن شريفة، إن النفس الإنسانية وحدة واحدة لا تتجزأ ومتى استحلت لنفسها وسيلة خسيسة؛ فلا يمكن أن تظل محافظة على غاية شريفة، وليس مسلمًا من يبرر الوسيلة بالغاية فهذا المبدأ غريب على الحس الإسلامي والحساسية الإسلامية، لأنه لا انفصال في تكوين النفس البشرية وعالمها بين الوسائل والغايات، ولهذا فكل من جلس على مائدة التفاوض مع اليهود أو الغرب يجب أن يعلم كيف يفكرون وكيف هي نفسياتهم حتى يحتاط لنفسه، إن الدراسة النفسية ومعرفة الطبيعة الشخصية لقيادات الخصم تمنح المفاوض هامشًا كبيرًا للمناورة وفقًا لنفسيته، ففي يوم الحديبية أرسل رسول الله ﷺ الهدي أمام الحليس بن علقمة لعلمه أنه يعظم الشعائر فأثر فيه، وعلى أحبتنا في فلسطين وأفغانستان خاصة أن يدركوا ذلك.

***

حول مسيرة وحيل المفاوضات التي يجب أن ننتبه منها خشية الاستدراج إليها أو السقوط فيها:

الهدف:

عندما تختلف الأهداف المراد تحقيقها تبعًا لرؤية القيادة في مستوياتها المختلفة يفقد المفاوض قوته لسعة الهامش بين الأهداف، فالحاكم يريد حلًا سريعًا يزيد من شعبيته وقبوله السياسي في الداخل والخارج، فهو يقايض المكاسب العامة بالزمن، وأصحاب التخصص يرغبون في تحقيق أعلى مكاسب ممكنة لأوطانهم، ولذلك يقايضون الزمن

بالمكاسب العامة، والمفاوض يفقد البوصلة بين المصلحة العامة ومصلحة الحاكم، وفي المقابل طرف حدد أهدافه وعمل على تحقيقها واستغل التضارب لدى خصومه ليقود المفاوضات حيث يريد.

عزل المنافس:

تكمن مهارة المفاوض في استثمار النزاع عند الخصم بين مستويات القيادة بعزل المستوى الأدنى [المتخصصين] ودفع المفاوضات للتعامل مع سياسة المستوى الأعلى، بحيث لا يتشاور المفاوض إلا مع المستوى الأعلى فقط، ويمكن صياغته بعزل الجانب الذي يجد أن طول الوقت يحقق له مكاسب أكثر، ليكون التعامل مع القيادة المتعجلة والتي ترغب في تحقيق مكسب وقتي يحفظ ماء وجهها أو يكسبها شعبية وشرعية.

إرباك المفاوض:

حصر المفاوضات في مناقشات قانونية وسجالات كلامية يزيد من غضب وارتباك المفاوض المقابل مما يجعله يقع في سلسلة من الأخطاء، فيكشف أوراقه في وقت مبكر مانحًا منافسه الفرصة للسيطرة على مناخ المفاوضات وتهيئة أجوائها للوصول لهدفه.

إغواء المفاوض:

بتهيئة أجواء عاطفية تظهر دعم المفاوض المقابل ومساندته، ومن خلالها يتم استمالته نحو الهدف المشترك بعيدًا عن أهداف المنافس الأصلية، فمشاعر الصداقة تسحر عقل المنافس بأن الهدف المشترك سوف يؤدي إلى الهدف الخاص لاحقًا، وهذا الأخير لم يتم الاتفاق عليه عمليًا، إن الاحتفاء بالمنافس في إطار الصداقة وإظهاره بأنه محور الاهتمام وشحنه بالكلمات الأخلاقية المشجعة، كل هذا يدفعه للقبول بالاتفاق الجمالي الذي يزينه الخصم.

***

الاستعداد للتفاوض:

يكون بتحديد الأهداف ووضوحها، وكيفية الوصول إليها، تحديد أوراق القوة التي تناور بها، تحديد بعض التنازلات التي تسهل الوصول للأهداف، وضع خطة للدخول وللخروج من التفاوض، لا تدخل في تفاوض إلا وأنت تتقدم وتؤلم في ساحة المعارك، واعمل على إطالة زمن التفاوض طالما أنت الأضعف.

المناورة حول القدرة على التأثير في المفاوض المنافس، احذر أن يتفلت منك ما ينبغي كتمه عن الخصم أثناء الأجواء العاطفية، اختر فريقك للتفاوض بعناية، تأكد أن كل فرد بالفريق متخصص بالنقاط المكلف بها، تشاور مع رفاقك حول ما هو متوقع أن يناور به الخصم وما هو غير متوقع لتضع الإجابات المناسبة.

إذا كانت الأجواء مناسبة فاستثمرها، وإلا .. فعلى عدة جولات مانحًا لك ولفريقك الوقت الكافي للدخول بقوة في كل مرة، احذر من الوقت الممنوح للجولات فقَد يساهم في فقْد خصمك لحافز التفاوض، الوقت المفتوح يُفقد المفاوضات أهميتها ويجب تحديد وقتًا لابد أن تنتهي خلاله عملية التفاوض، وعند الانتهاء على لا شيئ اترك الباب مواربًا لفترة زمنية أخرى، تحت ظروف وأوراق أفضل بالمستقبل.

ختامًا: سياسيًا التفاوض هو امتداد للحرب، لكن .. ليس كل عملية تفاوض تكون مع الأعداء، فهناك مفاوضات لعقد تحالفات، أو مفاوضات مع الأصدقاء لتوفير قناعات مشتركة، وما أكثر المفاوضات بين الجيران، وما أكثر الصفقات التجارية، ربما نطلق عليه أحيانًا حوارًا، لا مشاحاة في الألفاظ المهم هو التواصل.

***

الانتباه من السقوط في بعض العثرات أثناء التفاوض:

لا كرم في المفاوضات، فالسعي بكرم ولطف لتحقيق توافق يعطي انطباعًا بالضعف وإمكانية استغلالك، كما ينتج خصمًا مدللًا، وربما يقع على خصم يعتبره منة وتعالي، كذلك ليس بالضرورة أن يعاملك الخصم بالمثل، أضف لذلك أن الناس يتجاوبون مع اللطف والكرم إذا كانوا مضطرين إليه أو كان في صالحهم، إن محاولة كسب الثقة بالكرم واللطف تقابله طبيعة الناس الذين يجدون مناخًا صالحًا للمماطلة والخداع واستغلال لطفك، ليتجاوب الخصوم معك بشكل عملي لابد أن تظل متقدمًا في الميدان ومؤلمًا لهم هذه هي الضمانة لإنجاح الكرم واللطف في التفاوض.

لا تلتمس شيئًا بضعفك، ولا تسمح لعدوك بأن يعزلك عن محيطك، ولا تمنح لحلفائك الفرصة للوصاية عليك، في الصراع وفي عالم يقدس القوة لن تنال شيئًا بضعفك، حول الضعف إلى قوة من خلال التصميم على الاستمرار، من خلال حركيتك ودفاعك عن قضيتك، استخدم كافة المنابر الإعلامية لطرح قضيتك والتركيز مع كل جمهور على المناخ الذي يحركه لدعمك، اصنع شبكة تواصل مع كل من يرغب في التغيير أو ينصره ويدعمه، ارفع من معنويات جنودك وأنصارك، التزام خطًا واعيًا في المفاوضات فلا تساوم على قضيتك ولا تقبل بما يمنح الآخرين حق الوصاية، هذا سيمنحك القوة التي تجعلك تنتزع ما تريد لا أن تستجديه.

لا تطالب بالقليل فهذا ما ستناله، وهو دليل ضعف لا قوة، وفي المفاوضات لابد أن تترك في خصمك انطباعًا يعبر عن قوتك وحزمك وصلابتك، هذا يكسبك الاحترام الذي يدفعك للأمام، لا تساوم كالتجار من أجل كسب الثقة، بل أظهر قوتك كمجاهد لتكسب الوقت لتحقق موقعًا أقوى، هدد بالانسحاب من طاولة المفاوضات وكثف من العمليات العسكرية، عندما تجلس على الطاولة للتفاوض لا تجعل عيون خصومك تبصر

غصن الزيتون فقط، فأنت حاضرٌ لإشهار السيف في أي وقت.

لا تتوهم الانسجام بين عقيدتين، نعم يمكن عقد صلح بينهما، ولكنه لن يدوم سواء بسبب المخالفة أو انتهاء مدة العقد، وغالبًا بتغير الواقع الذي جاء الصلح في سياقه، الإسلام فقط منح مخالفيه من أهل الكتاب ومن شابههم حق الحياة على آراضيه، وأمنهم على أنفسهم وعبادتهم ومقدساتهم وثرواتهم، أما الغرب بصليبيته ويهوديته قتل وشرد وسرق المسلمين في ربوع الأرض، لأننا نؤمن بالله وبه سبحانه أقوياء التزمنا بأمره طاعة وحبًا، ولأنهم يعبدون ويعشقون القوة جرفتهم نحو الهاوية، الخلاصة لا هدنة أو مصالحة دائمة بين عقيدتين.

***

لا تغلبك نشوة النصر وتنجرف لإذلال العدو، وتفرض عليه إملاءات مذلة، لا تسعى للثأر بل قدم منهجك وقيمك، فالثأر لا يلد إلا ثأرًا وحقدًا، والحقد لا يندمل إلا بالانتقام، والانتقام وليد الغضب، وأبناء الغضب يعاودون الثأر، والأمم التي فتح الإسلام أراضيها لانت قلوبهم عندما وجدوا بغيتهم فيه وتشربت بالإيمان به، والأمم التي احتلتها أوروبا طردت المحتل، لقد قدم المسلمون للعالم الإسلام فتقبلته قلوبهم وعقولهم ولامس أرواحهم فمكث بأرضهم، وقدم المحتلون الصليبيون الوثنية والغطرسة والاستعلاء واستعبدوا الناس وسلبوهم ثرواتهم وأرواحهم تحت شعارات زائفة فأيقظت أبناء الغضب؛ فطردوهم، الطرف الذي هزمه الإسلام لم يشعر يوما بالغبن بل بالرحمة، والرحمة لم تكن على أجندة الغزاة آنذاك، نعم؛ لقد استحق المسلمون لقب الفاتح الرحيم بلا منازع.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

اعرف كيف تنهي المسائل

22- استراتيجية الخروج

كانت العرب لا تعقد عقدة حتى تعرف كيف تحلها .. ومن الحكمة أن لا تتورط في نزاعات لا مخرج ملائم وواقعي لها .. ليس من الحكمة أن تواصل الضغط على خصومك وألا تترك لهم منفذًا يمنحهم حس النجاة .. التطويق الناجح هو الذي يُمنح فيه المحاصر الأمل بالنجاة وإلا فسوف يستأسد حتى النهاية.

الخروج له طرفان على الأقل؛ أنت أحدهما .. لا تدخل حتى تعرف كيف تخرج .. ولا تُحاصر خصمًا حتى تعرف كيف تنهي الحصار .. وكيف تجعل من النهاية في نظر البعض بداية عهد جديد في حياة الكل .. لنقود العالم إلى الله فاحذر التباهي والفخر وعليك بالتواضع.

سلاح العفو للمنتصر أقوى من سلاح الثأر .. إنها بادرة سياسية تجذب القلوب والعقول .. ويمثل فتح مكة نموذجًا مثاليًا لما نرغب في الكتابة عنه .. إنها عبقرية مد الأيادي لنقل الخصم من يأس النهاية إلى آمال البداية .. إنها فن نقل النفس البشرية من خزي الهزيمة إلى المشاركة في النصر .. حيث نفقه إلى أين يأخذنا النصر؟.

***

الأعمال بخواتيمها .. ويُستشرف المستقبل مع عظمة البداية وعظمة الختام، وتتجلى عظمة الختام في قدرته على منح بدايات جديدة ومتجددة، وهكذا مسيرة الصالحين المصلحين، فأحداث النصر الحاسم وما ترافقه من قرارات تمثل مبادئهم وتعبر عن رؤيتهم المستقبلية في سياسة الناس،

إذهبوا فأنتم الطلقاء .. كلمات ثلاث؛ اختصرت الطريق على الخائفين وأوقفت حبل القلق ونفضت مشاعر الاضطراب عن قلوبهم، لقد كانت عظمة النهاية تعبر عن عظمة الرسول القائد ﷺ، هذه الكلمات أنهت مرحلة طويلة من الصراع وحولت النهايات المضطربة والمتشككة إلى بداية مفعمة بالبشر والرجاء، سلاح العفو أمضى في أسر القلوب والعقول من أي وعيد وتهديد أو سفك للدماء، إنه يئد الثأر في القلوب ويفتح العقول لبداية جديدة.

وهكذا انتقل كفار مكة من ضيق الأفق وظلمات الكفر إلى سعة الإسلام ونوره وانتقلوا من قوائم الأعداء إلى ساحة الأنصار، وهكذا فعل الإسلام مع كل نصر وفتح، لم يجعله نهاية مطاف بل بداية حياة نقل إليها خصومه، يقول الحق سبحانه وتعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ {199} سورة الأعراف، ويقول سبحانه {الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ {134} سورة آل عمران، إنها لوحة فنية رائعة رسمت في بعض زواياها بالدماء والأشلاء، وظللها غبار المعارك، وقرقعات السلاح، وغيم الوجوه فيها خليط من العرق والتراب، ثم .. وفي ذروة النصر كان الختام بعبقرية الداعية والسياسي المحنك فقد كان همه إنقاذ الإنسان لا إبادته، وكان غرضه نقله من الظلمات إلى النور، ففتح أمامه سبيل البداية الذي ينهي الحرب ويمنح المستقبل للسلام، إنه النموذج المثالي للقائد المحترف الذي لا ينجرف وراء مشاعر النصر، فكانت عظمة الختام في "فتح مكة" تنافس عظمة البداية في "غار حراء".

اذهبوا فأنتم الطلقاء، قطعت حبائل الشيطان ومزقت ثياب الثأر ونزعت الغضب من الصدور وأذابت شبكات القلق وأنهت الحرب مع قريش إلى غير رجعة بابتسامة الفاتح الرحيم ﷺ.

***

هذه المحاضرة تدور حول موهبة الاتصال والتواصل مع الآخر [المعادي] في لحظات الحسم، إما أن تبقيه على عداوته أو تأسره بكرم المنتصر ويده الممدودة لانتشاله من آلام النهاية لتضعه في آمال بداية جديدة، إنها محاضرة في كيفية استثمار النصر بالشكل الذي يرفع الحرج عن المهزوم ليترك عداوته، وليأخذ مكانته في مسيرة البناء لينتهي الصراع، قال تعالى {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ {33} وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ {34} وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ {35} سورة فصلت.

هذا القائد الموهوب يدرك تماما أهمية الإثخان في الحرب وأهمية التواضع عند النصر، ولا شك أن هذا القائد المسلم لذو حظ عظيم في الدنيا والآخرة، إنه بارع في تأليف القلوب، ولا شيء يأسر العقول ويغزو القلوب كتواضع المنتصر ورحمته، إن قوة التواضع تحقق النصر الكامل وهو احتلال إرادة الخصم ومنعها من القتال، إن النتائج التي تتحقق بقوة التواضع أعظم بكثير من تلك التي تأتي من بطش السلاح وقهره.

السلام المبني على القهر والذل يحمل في عمقه دعوة للحرب؛ لأن النفس الأبية تكره هذا السلام.

***

بجيش من 40 ألف مقاتل فتح الاسكندر مشارق الأرض، لأنه أحسن التواصل مع سكان المناطق التي فتحها، فأنزل الناس منازلهم، ورفع عنهم الضرائب ورد مظالمهم وكف عنهم يد العسكر، ولم يستغلهم كما كان يفعل أي غازي، ووفر لهم الأمن الذي ينشدونه، فقطع بعمله روابطهم مع عدوه "داريوس" وحرمه من إمداداتهم ونصرتهم.

لقد أقام "الإسكندر" العدل ومنحهم الأمن ولم يقاسمهم أرزاقهم، ولم يُقم بينه وبينهم جدار المنتصر المتكبر الانتهازي وفتح أبواب الرحمة والتواصل، فزوج نفسه وقادة جنده من أهل فارس، فلماذا يثور الناس أو ينقلبون عليه؟!! لقد اعتبروه منقذًا لا غازيًا، فبقت المدن على ولائها له حتى عندما ذهب عنها آلاف الأميال، تسعة قرون مضت على "الإسكندر" وفتوحاته، ليأتي الفاتحون الرحماء، لقد فعل المسلمون بأعدائهم ما فعله "الإسكندر" وزادوا عليه .. الدين، فنقلوا عدوهم من الظلمات إلى النور، وهذا هو حال كل فاتح عظيم.

***

عندما اتخذ السوفيت قرار بأن تكون أفغانستان واحدة من خرزات المنظومة السوفيتية، نظروا لما يرغبون برؤيته ولم يلمحوا الإشارات والحقائق، المتعلقة بطبيعة الأرض والشعب الأفغاني وتاريخه، وحتى لم ينتبهوا لتلك الأخرى المتعلقة بالمحيط الإقليمي والدولي والمتربصة للثأر من الاتحاد السوفيتي، هذا هو العمى المنبعث من جشع النصر عند إعداد الاستراتيجية، وعندما أرادوا الخروج كان كل شيء قد انهار ولم يعرفوا كيف يفعلون ذلك؟!!، فلم يكن في الاستراتيجية بند للخروج!!.

كانت فكرة التغيير أشبه بأحلام اليقظة، فهم يساهمون في تنمية أفغانستان منذ الخمسينيات ولهم حضور وممر أرضي [سالانج] يربط بين البلدين، فدعموا انقلابًا "لداوود" على العرش، ثم توجوه بحكم "حفيظ الله أمين"؛ الذي أثار حفيظة الشعب المسلم بأساليبه الوحشية، ثم أصلحوا خطأهم باستبداله بأخر هو "بابرك كارمل" فأرسلوا جيشًا من 75 ألف وهو الرقم الذي علق عليه رئيس الأركان بقوله: أن أفغانستان ليست أوروبا الشرقية والأفضل الوصول لحل سياسي للأزمة، تقدم السوفيت بسرعة وكان الاجتياح سهلًا وتم تعيين "كارمل" رئيسًا وأعلن قادة الحملة أن المهمة أنجزت!!، إنه وهم

وغطرسة القوة.

حمل الشعب الأفغاني السلاح وشرع في حرب عصابات ضد السوفيت ونظام "بابرك كارمل" ومن بعده "نجيب الله"، وبدأت القوى الإقليمية [باكستان] -خوفًا من تمدد السوفيت في أراضيها- بدعم المجاهدين، ثم انضمت الدول العربية والإسلامية تباعًا بتحريض من الأمريكيين الذين وجدوا فرصة الثأر من عدوهم اللدود، وحظيت أفغانستان بتأييد إسلامي ودولي حتى بدا وكأن العالم توحد ضد السوفيت، ولم يقف الدعم عند الأسلحة والأموال ومواد الإغاثة فقد دفعت الأمة الإسلامية بفلذات أكبادها من كل التخصصات لنصرة أهلهم في أفغانستان.

ارتفعت كلفة الحرب على السوفيت وعلق في الفخ العسكري وخسر أكثر من 14 ألف جندي، واستنزف اقتصاده، ولم يعرف كيف يخرج من الحرب التي لم يحقق منها أي مكاسب وكانت خسائره العسكرية والسياسية والنفسية والاقتصادية مدوية، لقد عانى السوفيت حتى أصبح الفرار هو الحل الممكن، فبدون استراتيجية للخروج تجرع السوفيت مرارة الهزيمة وفقدوا ثقتهم بآلتهم العسكرية المهولة، وعجزوا عن إنهاء الصراع؛ الذي عمقه المجاهدون بضربات متتالية وقاصمة، وجرحوا الكبرياء السوفيتي، لقد فقد السوفيت آلية إنهاء الاشتباك بسقوطهم في فخ الدب، وأصبحوا لا يعرفون أين سيكون موقعهم خاصة على مستوى العالم حينما تنتهي الحرب، التي خاضها المجاهدون وتحكمت فيها باكستان ومن خلفها أمريكا، ولما بات الحسم وشيكا للمجاهدين فرقت أمريكا صفهم وأوقعوهم في صراع داخلي.

تدخل الأمريكان في ترتيب خروج السوفيت من أفغانستان في اتفاقية جينيف عام 1988 وأكملوا انسحابهم في فبراير 1989 .. التدخل الأمريكي كان لتحقيق جملة من الأهداف دفعة واحدة، على رأسها: حرمان المسلمين في أفغانستان من تحقيق نصر

عسكري حاسم يمكن تصديره لبقية الدول الإسلامية، خروج غير مهين للسوفيت باتفاقية سلام، الطمع في ثروات أفغانستان، وإعادة إعمارها، وتمرير خط أنابيب غاز ونفط وسط أسيا من أراضيها، التفاهم مع السوفيت حول كثير من القضايا خاصة السلاح النووي ومناطق النفوذ والثروات في أوروبا الشرقية ووسط آسيا ... إلخ.

وانتهى الاتحاد السوفيتي، لقد عبر العميد الباكستاني "محمد يوسف" الذي عايش الحرب من بدايتها عن ما فعلته أمريكا بنتيجة الحرب أنها انتزعت الهزيمة من بين فكي النصر.

خرج السوفيت وعليهم أن يدفعوا تعويضات الحرب للإمارة الإسلامية، فما زالت ألمانيا تعوض اليهود تحت وهم الهلكوست؟

***

في أكتوبر 2001 بدأت الحملة الأمريكية على أفغانستان والتي كان مخططًا لها قبل أحداث 11 سبتمبر بكثير لتحقيق جملة من الأهدف على رأسها: إسقاط الإمارة الإسلامية لإقامة نظام ديموقراطي علماني، إعادة إنتاج الهيروين، تمرير خط غاز وسط أسيا، القضاء على تنظيم القاعدة، سرقة الثروات الأفغانية من بترول وغاز وليثيوم وأحجار كريمة ... إلخ، وعندما لاح الفشل والهزيمة في الأفق تبين لها أنها لم تحضر للخروج، لم يجد الأمريكان بد من إنهاء الصراع والخروج من أفغانستان في محاولة لململة الوضع قبل أن تفقد مكانتها الدولية، فأعدت لنفسها نفس السبيل الذي قدمته للسوفيت، واليوم وبعد مفاوضات الدوحة بدأ الأمريكان في مايو 2021 بالانسحاب من أفغانستان لينتهي في 11 سبتمبر 2021، بعد 20 سنةً وأطول حرب في تاريخها؛ فهل حققت أمريكا شيئًا من الأهداف السابقة؟!.

نعم نجحت أمريكا في إعادة زرع الخشخاش الذي منعته الإمارة، ومارست أمريكا

الاتجار في المخدرات، وقامت بسرقة الخيرات الكامنة في أرض أفغانستان الغنية والبكر، فهل تركهم الأفغان يحصدون خيراتهم؟!، لا .. بل كدروا عليهم عيشهم وجعلوه نكدًا.

الأفغان لم يتركوا أمريكا تنعم على أرضهم وجعلوا تكلفة الحرب باهظة ماديًا ومعنويًا وإنسانيًا، وفشلت أمريكا في القضاء على الإمارة، كما فشلت أمريكا في إقامة نظام ديموقراطي علماني فمع أخر جندي يطرد يهرب معه النظام إن شاء الله، وساهمت بحماقة في انتشار القاعدة[40]، وعمت الثورات في بلاد المسلمين على الحكام[41] الذين طفحت قذاراتهم على السطح فأزالتهم، وهددت الثورات بقيامها الأنظمة الوراثية في الخليج والمغرب وعلى حدود فلسطين.

والإمارة الإسلامية لازالت تستثمر النصر الذي حققته، وتعمل اليوم على طرد الأمريكان وغدًا -إن شاء الله- ستطالبهم بالتعويضات عن 20 عامًا من الحرب، والإمارة تهيئ البلد والشعب لإقامة نظامها مرة أخرى، وهذا من حسن وعيهم وفهمهم لاستراتيجية الخروج .. مباركة أنت بأرضك وأهلك يا أفغانستان.

***

والسؤال هو: هل كان الأمريكان أوعى من الإنجليز الذين سبقوهم في الخروج بقرابة القرنين أو من السوفيت الذين سبقوهم في الخروج بثلاثة عقود من الزمان؟، أم أغرتهم أجواء ما بعد سقوط الخلافة العثمانية وتسلط الاستعمار على أراضي الأمة؟!، أم أن الحماقة أعيت من يداويها؟!.

إذا ما ترك الغرب المسلمين وشأنهم في حكم بلادهم وفق دينهم لتجمعهم مظلته

---

[40] القاعدة انتشرت في أنحاء الكوكب وبدلًا من كونها قاعدة واحدة أصبحت أكثر من تسع قواعد رسمية [أفغانستان، المغرب، اليمن، الصومال، شبه القارة، مصر، ليبيا، الشام، العراق، وما خفي أعظم، وهي في ازدياد ولله الحمد] ويتبعها أمة تشربت بفكرها والحرب بينها وبين الأمريكان سجال.

[41] وهذه من ثغرات الثورات أنها غيرت الحكام ولم تغير النظام.

السياسية، وتركوا الدعاة يعرضون دينهم على الناس، ولو صرف الغرب نفقات الحروب على تنمية دولهم، لما كان هناك حروب بالعالم، ولعاش الناس في سعادة ومحبة، ولعم الكوكب السلام، ولكانت حركة التجارة سفير الانسجام بين الأمم، ولكنهم فضلوا أن يكونوا عبيد إبليس وجنده، هذه هي حقيقة حكوماتهم وجيوشهم، ومهمتهم إفساد الكوكب بما عليه من مخلوقات إشباعًا لجشعهم، وعلى شعوبهم كبح جماحهم قبل فوات الآوان.

سيخرج الأمريكان وعليهم أن يدفعوا تعويضات الحرب للإمارة الإسلامية، فما زالت ألمانيا تعوض اليهود تحت وهم الهلكوست؟

***

من المهم أن ندرك أن الانتصار في الحرب لايعني نهاية الصراع، فلن يقف الصراع حتى يتبع المهزوم المنتصر في ملته؛ أو العكس!، ولهذا وجب الاحتياط وعدم الركون لحسن الظن، ولا بد من بقاء الحذر مع من لم يسكن الإيمان شغاف قلبه، فقد نكسب الحرب؛ ولكننا يجب أن نُبقي الصراع مع الأعداء تحت رمادها، فبعض الأعداء يظل متحينا الفرصة التي يسترد بها استقلاله ويسعى لنشر عقيدته ولتحقيق أحلامه، وما أن تتغير الريح حتى يعود الصراع والانتقام من جديد، وأحداث التاريخ كثيرة.

***

من استراتيجيات الخروج الناجعة هي فن التعامل مع الأعداء عند تحقق النصر، والفارق كبير بين الإسلام والاستعمار؛ فالاستعمار قام بتحويل بعض من احتلوا بلادهم إلى حلفاء وإلى عملاء ليخفي حقيقة عبوديتها السياسية، في حين أن الإسلام منح خصومه الحرية المطلقة للاختيار تحت شرط الجزية .. والفارق كبير بين الحالات الثلاث:

أولًا: فأنظمة الحكم في عملية التحالف تظل وطنية ومخلصة وتفضل التعامل الذي يحفظ لها كرامتها ومكانتها بين الدول، ولكنها تتبع في تحالفاتها العسكرية وسياستها الخارجية

للمستعمر، كما أن اقتصادها يخضع بشكل ما لشراكة عميقة مع المستعمر، ويمكن أن نقول أن [ألمانيا واليابان] نموذج لهذا الصنف.

وطالما أن عقد التحالف يضمن للحليف حقوقه واستقلاله، ويرعى شعبه ويحفظ له كرامته وممتلكاته ويؤمن مستقبله، فهذه الشعوب لا تفكر في التغيير على المدى المنظور.

ثانيًا: أما أنظمة الحكم العميلة فهم مجموعة من الخونة والمجرمين والقتلة ممن باعوا أوطانهم وعقائدهم ولا اعتبار عندهم لقيم كالشرف والكرامة، ولا قيمة لشعوبهم أمام إشباع رغباتهم وشذوذهم وساديتهم، وهم كاملي العبودية عند المستعمر؛ وبالتالي لا يملكون خيارات داخلية أو خارجية، ويمكن أن نقول أن [أنظمة الحكم في إمارات الخليج ومملكاتهم والدول العربية وأغلب الدول الإسلامية] نموذج لهذا الصنف، لكنهم أيضًا على شقين؛ أحدهما سمن أتباعه حتى أنساهم مقتضيات عقيدتهم، وأغواهم بالترفيه والفساد الأخلاقي، وشعوب هذا الصنف تعيش أجواء قريبة من الشعوب التي تحت غيوم التحالف وبالتالي لا تفكر في التغيير على المدى المنظور.

وأما الآخر فقد أذاق شعبه الويلات ليشغله عن عقيدته، وأفسدهم بالفقر والحاجة، وأذلهم لبقية الأمم، هذه الشعوب التي ترزح تحت قهر العملاء لا تبيت إلا وفكرة الثورة على النظام تختمر في نفسها حتى تأتي لحظة الانفجار.

وهذه اللحظة لن تأتي حتى تستهدف الشعوب العدو الحقيقي الذي يدعم النظام ويثبت أركانه، على الشعوب أن تعمل على الأمريكيين أو أي محتل آخر [42] ورميهم عن قوس واحدة في جميع مصالحهم على الأراضي الإسلامية وحول العالم؛ وخاصة الاقتصادية منها، لإجبار الأمريكيين وغيرهم على التخلي عن عملائهم، لتتحرر الشعوب من غشمهم ويقيموا دولتهم تحت ظلال عقيدتهم وليديروا ثرواتهم المنهوبة تحت شعارات ينصرها الدين

[42] فرنسا في غرب أفريقيا والشام، أسبانيا ومدن المغرب المحتلة، الهند وكشمير، الصين وتركستان الشرقية ... إلخ.

[عيش حرية عدالة].

ثالثًا: الشعوب التي استهدفها الإسلام وتحيا تحت ظلاله، فقد خيرها الإسلام بعد انتهاء الحرب بين الإيمان به وبين الجزية، فأسلم بعضهم فأصبح له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وبقي البعض على دينه والتزم بدفع الجزية في مقابل الأمن والأمان ليمارس عقيدته ويحفظ حياته وممتلكاته، وبحسب شهادتهم (اليهود والنصارى وغيرهم) فثرواتهم وممتلكاتهم لم تصادر منهم واستثمروها بحرية وآمان، ومارسوا عبادتهم وشعائرهم دون تدخل فيها، وسعدت ذريتهم وحريمهم بالحياة الآمنة بين المسلمين فلم يتعرضوا لاغتصاب أو تهوين، كما لم يرهقهم أو يغشاهم أي ظلم بحسب اتفاقيتهم مع المسلمين، وأن عدالة الدين وفرت لهم كل ما يحتاجونه لإقامة حياتهم.

***

ونصيحة للمجاهدين وللثوار المسلمين، بلادكم توشك أن تكون بين أيديكم ما بقيتم وصبرتم وثبتم على عملية التغيير، رغم كل المعاناة فإن النصر مع الصبر والمثابرة، وإياكم من تكرار أخطاء التجارب السابقة، وتعلموا أن الفارق كبير بين الانتصار على العملاء والانتصار على الأعداء:

فالأول: لا بد من إسقاط نظامه كاملًا بكل مؤسساته التي تخضع لأيدلوجيته فلا خير فيهم، ولا بد من محاسبتهم على جرائمهم بلا رحمة، فهم لم يمنحوا الرحمة لأحد ولن توهب لهم.

أما الثاني: فلا بد من الإثخان في ميدان القتال وكسر شوكته والقضاء على قوته، ثم .. نعمل على أنفسنا فنتخلص من الجشع وأوهام العظمة والانجراف رغبة في إذلالهم، ونتحلى بتواضع المنتصر؛ حتى نضع حدًا لعداوة شعوبهم ونفتح باب قلوبهم لتلقي الدين.

ولهذا وضع الله عليهم الجزية ليحفظ لهم ما يقيم حياتهم؛ ولا مانع من إضافة ما نأمن

به غدرهم ويؤدب الشاردين منهم ويردعهم، ورحم الله أبا عبيدة عامر بن الجراح الذي رد الجزية لأهل دمشق حال الانسحاب منها، ولنعلم أن التخلص من غرائز النفس يساهم في تنمية الأيدلوجية الجامعة وانتشارها، فتأسر العقول بحكمتها وتفتح القلوب بشفقتها وتحمي الحقوق بعدلها، وهكذا تحقق استراتيجية الخروج الهدف من الصراع.

***

إذا لم تعرف كيف تغلق الباب فلا تفتحه، إذا عرفت المدخل ولم تعرف المخرج فلا تقامر بالدخول، الذي لا يريد أن يتوقف في اللحظة المناسبة لتقدمه يوشك أن يغرق في لحظة انكساره الوشيكة، والذي يصنعه حُماته ويبنوا له مجدًا شخصيًا لا يستحقه فسرعان ما يفقده، والذي يبدأ حربًا لا يعرف لماذا بدأها لن يعرف كيف ينهيها، وسيتعلم بالتجربة الصعبة كم كان أحمقًا.

***

في زماننا هذا أصبح التواصل والاتصال قوة أعظم وأكبر من الساسة ومن الأسلحة، ولطالما كان الإعلام وسحره من أعظم وأقوى الأسلحة لدى الحكومات ولطالما دعم لحظات الخروج من الحروب والأزمات، ولكنه لم يعد حكرًا عليهم، لقد طالته أيدي المستضعفين وأحسنوا استخدامه، ومنذ الحادي عشر من سبتمبر ومرورًا بثورات الربيع الإسلامي حظي الإعلام عند المجاهدين والثوار بنصيب عظيم، وتمكن من نقل ما يرغب العدو في إخفائه عن العيون، وأحسن أبناء القاعدة المجاهدون بالصومال في استثماره [ضرب القاعدة الجوية للأمريكان في معسكر سيمبا]، فأحسنوا التواصل مع أمتهم ووضعوهم في صورة الحدث، ولقد أينعت ثمرة التواصل والاتصال اليوم في فلسطين.

لقد أحسن أهلنا في فلسطين التواصل مع العالم أجمع، فعرضوا ما يمارس عليهم من أذى وقهر، وأثاروا إعجاب واحترام العالم بشجاعتهم وقوتهم في نصرة حقهم، فأحسنوا

الدخول للقتال وأحسنوا الخروج منه بإفساد جهد ترامب خلال سنواته الأربع في عزلهم عن أمتهم وتشويههم، وتمنينا أن نرى منهم المزيد، ونعتقد أنهم يمكنهم أن يفعلوا بهم أكثر، وهذا ما افتقده أحمق يهود نتنياهو، وهذا حال كل من ينزلق في الميدان، ولا يعرف كيف يتوقف أو يخرج منه، وهذا هو موضوع محاضرتنا.

***

تعليق حول الانتصار الفلسطيني:

لا بد من دراسة سنوات "ترامب" الأربعة التي وجهت ضربات قاسية للشعوب الإسلامية بلا استثناء، حتى نَعِي وندرك ماذا فعلت صواريخ غزة في أحد عشر يوما، لقد أفشلت مجهود 1460 يومًا من الجهد والإنفاق والتسلط والقمع والقهر والسرقات واغتصاب الحقوق، ومن وجد مشقة في دراسة السنوات الأربع فليدرس الأحد عشر يومًا، "خبث نتنياهو ساقه لحماقة عمره"؛ فأخذته محاولته لاغتصاب بيوت حي الشيخ جراح لخسارة كل ما قدمه ترامب-كوشنر له ولليهود والصهيونية، لقد فقدت القضية الفلسطينية في عهد ترامب الدعم العربي والإسلامي، وسيق الناس اختيارًا وجبرًا نحو صفقة القرن، وأصبح أهل فلسطين بغاة ظالمين وتحولت حماس إلى منظمة إرهابية، وتم شيطنة الإخوان المسلمين ورفعوا عنهم وصف الاعتدال وألحقوهم بالجهاديين الإرهابيين، وقَبِلَ العرب وفي مقدمتهم حكام الخليج بالقدس عاصمة لليهود، وتوالى حكام العرب واحدًا بعد آخر علنًا وفي الخفاء يركعون على ركبهم ليقدموا فروض الطاعة والولاء لليهود باسم التطبيع، ولينالوا بركة ساكن البيت الأبيض ورضاه، ويمنحوه مدخرات الأمة وأجيالها [تريليون دولار] علنًا بعد أن كانت في الخفاء، أما غزة وأهلها فقد قبعت وحيدة في غياهب الحصار.

وفجأة أشعلت الحرب صرخات إمرأة -ولطالما أشعلت النساء الحروب- في حي الشيخ

جراح في وجه يهودي أشبه بخنزير جشع، فصاحت بقوة وجرأة: أنت تسرق بيتي فيرد الخنزير إذا لم أسرقه سيأتي غيري ليسرقه، فلامست صرخاتها نخوة أهلها في غزة التي أمطرت مدن الاحتلال اليهودي بأسراب من الصواريخ ومع أول رشقة نسفت استراتيجية القبة الحديدية من جذورها في أول اختبار حقيقي لها، وتوالت الأفعال ورد الفعل، ومع أول برج ينهار تعود فلسطين قضية العرب والمسلمين التاريخية، وتطالعها عيون العالم أجمع فتذهب أربع سنوات ترامب وكأنها لم تكن، وتوحد الداخل الفلسطيني، وتوحدت الأمة لنصرة القضية، وفقد اليهود احترام وتعاطف الشعوب الغربية، لقد نجح أهلنا في فلسطين في الخروج من العزلة التي فرضت عليهم. ومع عجز مدرعات العدو ودباباته للتقدم شبرًا في غزة خشية الأسر والتدمير، سارع الذين في قلوبهم مرض من حكام العرب والمسلمين وامتطوا صهوة الإعانات والدعم حتى لا يسحب من تحتهم البساط.

أما حكومات النفاق الغربي مدعية حقوق الإنسان فلم تر إلا حق اليهود في الدفاع عن أنفسهم، لأنهم لازالوا عبيدًا للمرابي اليهودي الذي أوصلهم لكراسي السلطة، ولكنهم جميعًا غفلوا فلقد مضى زمن جمل كهذه؛ حينما كانوا يملكون الإعلام وينشرون ما يدعم أكاذيبهم، فلم يعد هناك مجال لإخفاء الحقيقة التي تناقلتها القنوات العنكبوتية والفضائية وحتى الرسمية، إذا لا يمكن إخفاء فيديو لتسعة أبراج تُزال بسبب المزاج المحبط للجيش اليهودي، لأن قوة العجز الفلسطيني قهرت [عجز القوة] اليهودي، لأن التواصل والاتصال مع العالم حد من جرائمهم.

النصر الذي تحقق في غزة كان نصرًا سياسيًا بامتياز، وعلى المسلمين أن يثمنوه ولا يفقدوه بل ينموه، ولا يتركوه للأنظمة العربية الفاشلة لتجيره لصالحها فتسحب بساط النصر من تحت أقدامها، وإلا فلماذا اصطفت شاحنات السيسي للدعم لغزة مع نصف مليار دولار وقد تبرؤوا منها قبل أيام، إنها محاولة سريعة لاحتواء حماقة نتياهو وإفراغ النصر

الفلسطيني من محتواه ووصم الجهاد والمجاهدين بما ليس فيهم.

حق لأهل فلسطين أن يقيموا الأفراح ويتبادلوا التهاني؟ لأنهم بحسن توكلهم على ربهم وبنخوتهم ونجدتهم لأهلهم بصواريخ العزة من غزة وبهذا الصمود التاريخي قد عادوا وبقوة لحضن أمتهم بل أعادوا أمتهم لحضنهم رغم أنف ترامب وكوشنر وابني زايد وسلمان والسيسي، وهكذا يفعل المسلمون حقًا إذا كان بأيديهم سلاح، نتنياهو استمر بحماقاتك، ولا قلل الله من حماقات يهود، وليبدأ رحيلكم لمزبلة التاريخ، فالمعركة الفاصلة على الأبواب.

***

الاستراتيجية تحدد معالم النهاية كما تخطط للبداية، المطلوب من الصراع دائمًا إنهاء حالة الحرب وضمان العيش بسلام، تصدير الأيدلوجية التي تحول الشعوب إلى أمة، لا يسود فيها عرق على غيره بل يسود الدين الذي جمعتهم عقيدته تحت مظلته السياسية، إن عظمة الختام تحد من صراع الحضارات، ولكنها لا تمنع من معارك الداخل وطموحات وجشع البعض، لأن الصراع مستمر مع الشيطان، فنحن في اختبار حتى تأتي النهاية الحقيقية لكل إنسان، الموت .. فالموت حق.

ولأن الموت حق فيلزم من ذلك أن نخطط لاستراتيجية خروج من الدنيا تمهد الطريق إلى سعادة الآخرة، فالأعمال بخواتيمها.

***

الجزء الخامس

الحرب النوعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحرب غير التقليدية

الإنسان يسعى لتدمير جنسه .. بما تصنعه يداه .. هناك أشياء لو لم تصنع لكان عدمها خيرًا للبشر .. ويبدو أن يوم القيامة رهين بكثرة فساد الإنسان .. إننا أمام نظام عالمي فاسد؛ لا أخلاقي وإجرامي ويهدف إلى إبادة إثنية للجنس البشري لن ينجو منها أحد .. سواء تمت بالحرب التقليدية وغشمها أو الحرب النووية وويلاتها أو بالحرب البيولوجية وفيروساتها أو بالحرب الكيماوية وسمومها.

إننا أمام نظام لن يتخلى طواعية عن برامجه تلك .. الواجب على شعوب الكوكب الثورة عليهم ليس لإيقاف مصانع الحرب ومختبرات الإبادة فقط وإنما لتغيير النظام العالمي واجتثاثه من جذوره الشيطانية .. ولن يوقف هؤلاء الطغاة تحرك شعب أو اثنين أو أمة مفصولة عن جنسها .. فهذه دعوة لإيقاظ الضمير الإنساني لكل الناس .. فلن يتم التغيير إلا من خلال جهود أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ومحبي العدل الناقمين على الظلم والمستضعفين التواقين للحرية من سكان العالم في انتفاضة شاملة.

في المقابل أيضًا نحن بحاجة إلى إقامة نظام حكم يرى بروحه لا بشهواته وجشعه .. نظام يرى الإنسان وعلة وجوده على الكوكب .. نظام يحمي الإنسان ويصون حقوقه ويحفظ قيمه وموروثاته وعاداته وتقاليده .. نظام يخضع لله فيعمر الأرض ويقيم العدل .. هذا هو الدواء الناجع لإطفاء نار الحرب القذرة.

***

تتنوع الحروب بحسب مركز الثقل المطلوب ضربه لتحقيق النصر في المعركة، ففي الحروب التقليدية يتمثل مركز الثقل بالقيادة والسيطرة وفي حال القضاء عليها تفقد القوات القدرة على مواصلة المعركة، في حرب العصابات يتنوع مركز الثقل فهو صراع على العقل

بممارسات سياسية وعسكرية، إذ تستهدف العمليات الروح المعنوية بضرب خطوط الإمداد اللوجستية؛ كما يستهدف المجهود السياسي الدعم الشعبي والتأييد الخارجي، وفي الحرب غير المتوازنة يستهدف مركز ثقل العدو وهو الاقتصاد والاستقرار الداخلي، فخطوط النفط والملاحة التجارية مستهدفة في المجال البحري والجوي والبري، والضربات الداخلية أدت لقمع الحريات تحت شعار أمن المجتمع ولها ما بعدها على المدى الطويل، والحرب القذرة تستهدف التجمعات الإنسانية بالإبادة والتشويه، ولكنها فقدت مؤخرًا أحد أسلحتها تحت وطأة الأثر الاقتصادي لفيروس كوفيد19 المعروف باسم [كورونا].

سيظل الصراع البشري بين العقول والإرادات والمناهج والحضارات لأنه مرتبط بالقسم والترك، لقد ترك الله سبحانه وتعالى -لحكمة يريدها سبحانه- إبليس إلى يوم القيامة، وأقسم إبليس على أن يضلهم ويمنيهم؛ قال الله سبحانه وتعالى: {قَالَ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {14} قَالَ إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ {15} قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ {16} ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ {17} قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ {18} الأعراف، وقال سبحانه وتعالى { فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ {29} فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ {30} إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ {31} قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ {32} قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ {33} قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ {34} وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ {35} قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {36} قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ {37} إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ {38} قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {39} إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40} قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ {41} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {42} وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ {43} سورة الحجر.

***

الحرب التقليدية:

هي التي تدور رحاها بين قوتين عسكريتين في مسرح أو مسارح عمليات معروفة ومحددة، وهي حرب مواجهة تستخدم فيها الأسلحة من السيف إلى البندقية ومن الرماح والأسهم إلى المدفعية ومن الحصان إلى الدبابة واعتلى قمتها الطائرات وقبع في بطنها السفن والغواصات، وهي الحروب التي استنبطت منها مبادئ الحرب وتبدى فيها روح البطولة الفردية مع الجماعية وأظهرت قدرات القادة الأفذاذ، وهذا النوع من الحروب مستمر ولا مجال لانقراضه إذ المواجهة والتماس والاشتباك الأصل فيها.

***

حرب العصابات أو الحرب الثورية:

وتدور بين قوة نظامية تقليدية وبين قوات شعبية قليلة تكبر مع الوقت لتشكل قوات كبيرة منظمة، ليس لها مسرح عمليات محدود وإنما كافة أراضي الدولة محل الصراع، حيث تعمل قوات العصابات بالمناطق الوعرة، وتساندها مجموعات العمل السري بالمدن، وهي حرب ذات طبيعة حركية تعتمد على التماس المحدود والسريع وسرعة قطعه والاختفاء [الإغارة والكمائن] وذلك في مراحلها المبكرة، وبمرور الزمان تحقق نوع من التوازن عندما يفقد الجيش فاعليته ويكتفي بالدفاع، وأخيرًا تحسم الصراع بطرد المحتل وإسقاط النظام الوكيل عنه، ويلعب المجهود السياسي فيها دورًا كبيرًا في التوعية ويمثل الإعلام سلاحها الرئيسي لإحسان طرح القضية وكسب الحلفاء والأنصار والدعم المادي، ويغلب على حرب العصابات وحدة القيادة لمجموعة التأسيس التي تجمع بين القيادة العسكرية والسياسية والاقتصادية.

***

الحرب غير المتوازنة:

وهي حرب ظهرت مؤخرًا عندما ابتدعها تنظيم القاعدة بهدف إضعاف النظام العالمي: لتحرير أمة الإسلام منه ومن الأنظمة العميلة التي تخضع له؛ وإرغامه على عدم التدخل ومساندة اليهود في فلسطين؛ كذلك لإيقاف تعديها على المقدسات الإسلامية والموروثات الثقافية واستنزافها لثروات الأجيال وإفسادها للإنسان، وبلغت هذه الحرب ذروتها في الحادي عشر من سبتمبر 2001، حيث وجدت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ولأول مرة في التاريخ أمام تنظيم لا دولة، حيث مجموعات عسكرية محترفة تضرب رموزها السياسية والاقتصادية والعسكرية، وتكشف عنصريتها العقدية والإثنية، وتعري نظامها الديموقراطي، تميزت هذه الحرب باتساع مسرح العمليات ليشمل الكوكب بالكامل لضرب مصالح أمريكا حول العالم، اعتمدت هذه الحرب بشكل كبير على المجهود السياسي التوعوي للأمة، كما اعتمدت على الدعم المادي المقدم منها، والتفاعل الحركي لأبنائها الذين قاموا بضربات عسكرية بدون تنسيق مباشر مع التنظيم، وظهور ما يسمى بالذئاب المنفردة، في المقابل هاجمت الولايات المتحدة الأمريكية مع 48 حليفًا عسكريًا أماكن إيواء القاعدة بهجوم تقليدي في أفغانستان تطور مع الوقت لحرب أمنية، واكتفت بعمليات لا تماسية في بقية الدول حيث استخدمت طائرات الدرونز، وأحيانا بعمليات إنزال واستهدفت القيادات الحركية للتنظيم، ولازالت الحرب مستمرة في تجربتها الأولى، وغزت العراق تحت هذا الغطاء دون أن يكون للعراق أي دور مع القاعدة ولكن بهدف سرقة النفط وتقسيم العراق.

***

الحروب القذرة:

وهي الحروب التي تستخدم فيها أسلحة الدمار الشامل سواء كانت ذرية أو نووية أو

كيماوية أو بيولوجية، وهي حرب تستهدف القضاء على العنصر البشري بالمدن لتحقق أهداف الحرب الأخرى، الحرب القذرة تنشأ سياسية وتكون مأساوية وتنتهي سياسية، وقد جرب القصف الذري على اليابان فقضى على سكان مدينتين، كما استخدمت القنابل القذرة التكتيكية على الشعب العراقي، واستخدم القصف الكيماوي في أكثر من حرب، كذلك استخدمت الجراثيم في عمليات الإبادة مع السكان الأصليين في أمريكا وأستراليا، ولازال العالم يقبع تحت التهديد من هذه الأسلحة القذرة التي تستهدف الإنسان، هذه الأسلحة استخدمت بكثرة ممن يزعمون حقوق الإنسان استخدمتها أمريكا ودول أوروبا وروسيا.

هذا النوع القذر من الحروب مع ما اقترفته الكنيسة في مصر نصرة للمجرمين ضد المسلمين الثائرين في الميادين، بمثابة وثيقة وفاة، وإعلان موت للأورثوذوكسية واللحاق بركب البروتستانتية والكاثوليكية والخضوع لليهودية القذرة، إنها المدرسة الصهيوصليبية القذرة التي ألقت أخلاقيات الحرب في مقبرة التاريخ، وجعلت كل شيء مباحًا الأصل فيها التلاعب بالحقيقة وتضليل الشعوب والتلاعب بهم من أجل غاية واحدة: مصالحهم التي تفتقر للحكمة.

بعض هذه الأسلحة إن لم يكن استخدامه مؤامرة عالمية فقد خرج عن السيطرة وفقد المعنى الذي من أجله ظهرت الأسلحة البيولوجية، فمع خروج فيروس كورونا عن السيطرة **انهارت استراتيجية الحرب البيولوجية**، فنظرًا للتبادل الاقتصادي وللتواصل غير المسبوق بين جل دول العالم وحركة السفر في أرجائه جعلت إمكانية السيطرة على الفيروس في بقعة محددة مهمة مستحيلة، فأي هجوم على منطقة سكنية [ووهان] لن يقف عند حدودها، وحتى اعتداء على وحدة عسكرية صغرى فلن يقف عند محيطها، فإذا كان السلاح سيعود بالضرر على أهله فما جدواه؟!؛ إلا إذا كان الخيار شمشون.

***

لابد من الرد على النيران بالنيران، ولا سبيل لردع المجرمين في أمريكا وأوروبا وروسيا وغيرهم إلا بامتلاك أسلحة الدمار الشامل، ويبقى استخدامها رهن فعل الخصم، قال الله سبحانه وتعالى: {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ {194} سورة البقرة، وقال سبحانه: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ {126} سورة النحل، وقال سبحانه {ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ {60} سورة الحج.

***

في إطار الصراع تدخلات قوية وعنيفة:

الحرب السبرانية والحرب الاقتصادية "الحصار" والصراع المجتمعي "الانقسام" لإفشال الدولة ومهما تنوعت الأسماء فهي في النهاية صراع إرادات عنيف غير مسلح، وتدخلات لإسقاط الأنظمة المناهضة للهيمنة الصهيوصليبية بالقوى الناعمة والتعقيدات القانونية والتهديدات الاقتصادية والممارسات السبرانية؛ مع حقيقة حضور القوة العسكرية في خلفية الصورة.

يتدخل العدو في دولة ما بخلق مناخ شديد القسوة مثلًا حصار أو مقاطعات اقتصادية تعمل على تهييج المجتمعات التي تأن تحت وطأة الجوع والفقر ضد السلطة، كذلك يستخدم طابورًا خامسًا من أقليات المجتمع المهمشة أو طبقاته التي لها أهداف خاصة وكذلك العصابات المحلية والبلطجية والمهربين والإعلاميين المنافقين بهدف إحداث توترات داخلية اقتصادية واجتماعية وسياسية لاستنزاف الدولة وإفشالها، أي خلق حالة من عدم الاستقرار الداخلي بالتوازي مع تهديدات خارجية.

***

في إطار الصراع استراتيجيات وتطور تقني لا أجيال:

لا يغيب مركز الثقل عن أي حرب بل يتنوع، وفي الحرب استراتيجيات لا أجيال فمعظم الضغوط مورست في كل أنواع الحروب، لا يوجد صراع بتكلفة صفرية فكل صراع مكلف، وفي إطار الصراع تدخلات لا حروب، الحرب تظل مرتبطة بميدان الدماء والأشلاء والدخان والنار والموت والدمار.

الأجيال متعلقة بتطور الأسلحة وفي ضوء ذلك يتطور التكيتك، وتبقى استراتيجيات حصان طروادة، الضربات الاستباقية، الحرب الخاطفة، المناورات الخلفية، الطابور الخامس، الحرب الأهلية، الحرب السبرانية الحرب الداخلية، هذه استراتيجيات قتال وتخريب لا أجيال للحرب.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحيلة: بناء واقع بين الحقيقة والوهم

23- استراتيجية "الخداع"

العدو هو من يلهمنا بخطة الخداع .. لذا يجب أن يسعى القادة لمعرفة العدو أكثر وعلى كافة المستويات وخاصة كوامنهم النفسية ومناسباتهم الثقافية والدينية وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم إضافة للمعلومات العسكرية .. ليتمكنوا من قراءتهم بوضوح تام ويتوقعوا خططهم وتصرفاتهم الميدانية وردود أفعالهم .. ثم .. يمنحونهم ما يريدون أن يصدقوه .. لا ما نريد نحن أن يصدقوه .. دورك في الخداع أن تريهم ما يحبون رؤيته .. وتسوق لهم ما يريدون شراءه .. وتغذيهم بما يؤكد ما ذهبوا إليه .. خطة الخداع مرآة يرى العدو فيها انعكاسًا لرؤيته.

الهدف من الخداع هو إخفاء ما تنوي فعله .. أو ما تفعله على الأرض .. أيضًا أن تخفي حقيقة وضعك عن عيونهم بسلسلة من الأغشية .. لتحقيق المفاجأة التي تشل العدو وتربكه وتنجح اليوم الأول من الهجوم.

المعلومات "جمعًا وتسريبًا" ستظل حجر الزاوية في كل خطة وعلى كافة المستويات .. لكي تبني خطة خداع ناجحة تحتاج إلى معلومات عن العدو .. كما تحتاج أن تسرب معلومات إلى العدو .. ولهذا ليس من الحكمة إعدام كل جاسوس فالاستفادة منهم جزء من خطة الخداع.

***

الخداع[43] على الجبهة المصرية في العاشر من رمضان 1393 من الهجرة النبوية:

[43] المصدر بتصرف يسير: الموسوعة العسكرية للدار العربية للدراسات والنشر - المقدم هيثم الأيوبي وآخرين طبعة 1981 بيروت.

بعد مرور ست سنوات على احتلال سيناء في 1387 هـ نما خلالها شعور بالثقة مبالغ فيه لدى اليهود صاحبه شعور مواز مبالغ فيه أيضا بالتقليل من القدرات القتالية عند العرب، وحتى في نوايا القيادات العربية في شن حرب هجومية مهما كانت محدودة، والانشغال بعمليات الداخل والخارج التي تشنها قوات المجاهدين والمقاومة في فلسطين والتي جعلتها الخطر الوحيد الذي يهدد أمنها، أسفر ذلك عن تعطيل العقول اليهودية في كافة الأجهزة سواء في الاستخبارات أو لدى القيادة السياسية والعسكرية وحتى على مستوى الرأي العام اليهودي، إنه الغرور القاتل الذي حجب الرؤية عن الجميع فلم تدرك أبعاد التحركات المختلفة التي نقلتها لها الأقمار الصناعية وطائرات التجسس الأمريكية، ولم تتعمق في دراسة تقارير الاستخبارات وعملائها السريون، ولقد أحسنت هيئة الأركان المصرية من الاستفادة من غرور العدو وتبجحه فعمقته ثم أفاقته على العبور.

لقد كان لاختيار يوم وساعة الحرب دورًا كبيرًا في نجاح المفاجأة الاستراتيجية، فقد كان في رمضان وقد يثقل على الجنود المسلمين القتال في الصيام، كما أن اختيار يوم الغفران لليهود حيث تقل فيه الحركة واليقظة الأمنية إلى أقل حد عادة طوال السنة، أما أن تبدأ الحرب في الثانية بعد الظهر فهذا لم يكن تقليديًا حيث تبدأ الحروب إما مع أول ضوء أو أخر ضوء حسب قوة الطيران لدى الطرفين، ولكنه كان توقيتًا مثاليًا لتوجيه الضربة الجوية في العمق العملياتي، وكانت لازمة لعملية الضرب التمهيدي المدفعي ضد تحركات الاحتياطي المدرع القريب ، كما كانت ضرورية في فتح الثغرات في الجدار الترابي وإقامة الجسور ومن ثم عبور الدبابات والمدرعات في ساعات الليل، ولقد مورس أيضًا كم من إجراءات الخداع الإعلامية والدبلوماسية المضللة، فجرى تسريح إعلامي لدفعة من جنود الجيش قوامها 20 ألف جندي قبل بدأ العمليات بـ48 ساعة فقط، لقد تم اختيار الوقت بعناية وبراعة وبتوفيق من الله تعالى.

أما الإجراءات التي اتخذت لخداع العدو فهي:

1- الاستمرار في بناء خطوط الدفاع على الجبهة وفي العمق بحيث يبدو الجهد الرئيسي للجيش المصري وكأنه منصب على الاستعداد للدفاع.

2- تحريك القوات في اتجاهات مختلفة وثانوية وإجراء تحركات عرضية داخل الجبهة وعكسية من وإلى الجبهة تحت ستار التدريب، ومع التغيير المستمر في حجم وأوضاع القوات.

3- تجميع القوات المعدة للهجوم خلال فترة [3-4] شهور قبل موعد الهجوم على مجموعات صغيرة، ودفع القوات الرئيسية من العمق إلى الجبهة قبل 3 أسابيع من بدء الهجوم تحت ستار القيام بأعمال هندسية لإجراء مناورة كبرى مشتركة، ثم بدء القتال الفعلي أثناء المرحلة الأخيرة من هذه المناورة.

4- إعداد حفر وملاجئ للجسور ومعدات العبور وقطع المدفعية والآليات المختلفة بحيث تصل في آخر وقت ممكن إلى الجبهة وتخبأ فورًا تحت شباك تمويه جيدة.

5- الإبقاء على مظاهر الحياة والحركة اليومية العادية للقوات على ضفة القناة الغربية حتى لحظة بدء القصف الجوي والمدفعي.

6- حصر المعلومات المتعلقة بخطط الهجوم وتوقيته في أضيق نطاق ممكن ولآخر وقت ممكن، ولذلك لم يبلغ قادة الفرق بموعد الهجوم إلا ليلة 5 تشرين الأول [أكتوبر]، ولم يبلغ هؤلاء قادة الألوية إلا في الساعة السادسة من صباح يوم 6 تشرين الأول، ثم أبلغ قادة مجموعات الاقتحام الأولى في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم نفسه، أي قبل بدء الهجوم بثلاث ساعات فقط.

7- استخدمت القيادة المصرية واحدة من اللغات المحدودة جدًا في الانتشار لتكون

هي لغة الاتصال وشفرته، وهي اللغة النوبية وهي لغة محدودة جدًا في جنوب مصر وشمال السودان فقط.

أثر ذلك أن استخبارات اليهود لم تتمكن من اكتشاف نية الهجوم إلا في صباح يوم الهجوم وعلى أساس أن ساعة الصفر في السادسة مساء وليس في الثانية بعد الظهر.

***

السيطرة على الدكتاتور:

تعرض هتلر لعدة محاولات اغتيال أفقدته الثقة في كبار ضباطه، فعزل نفسه عنهم في جبل بفاريا مقللًا من المساحة الزمنية التي كان يقضيها معهم، متخذًا القرارات المهمة بمفرده معتمدًا على دراسة المعلومات والاحتمالات وبالتالي أصبح بحاجة لمزيد من الوقت لاتخاذ القرار، لقد تميز هتلر بقوة حدسه وموهبته في كشف خداع العدو، لكنه فقد موهبته بعد انعزاله في جبل بفاريا، المعلومات عن نمط حياة هتلر الجديدة تم نقله للحلفاء، هتلر صار شديد الارتياب وأنه معزول ومجهد جدًا وأن مخيلته مشتعلة بشتى الاحتمالات.

شرع الحلفاء في بناء خطة خداع لها وزن وإحساس الواقع، فإذا رأى هتلر في خطوطها العريضة ما يدعم توقعاته، فإن ذهنه المعزول والنشط أكثر من اللازم سيتولى بقية المهمة، ثم قدموها له من خلال:

- تم الاستفادة من الجواسيس الألمان المكشوفين في تركيا، ومن خلال عملية سرقة وثائق سرية تؤكد على أن الحلفاء سيغزون فرنسا وأشارت الوثائق أيضا على هجوم وشيك على البلقان، كما اكتشف عملاء هتلر في بريطانيا خططًا لغزو النرويج، تبين لاحقًا أنها معلومات زائفة تم السماح بسرقتها وتسريبها، وبالتالي لا يمكن لهتلر سحب جنود منها لدعم أي مجهود حربي لمقاومة الإنزال المتوقع لتحرير فرنسا.

- حشد جيش ضخم بقيادة الجنرال باتون قبالة "كاليه" وقد رصدته الطائرات الألمانية فأكدت وجود معسكرات ضخمة ومعدات مائية وآلاف الدبابات تتحرك في المنطقة وخط أنابيب نفط، وأرسل عملاء ألمان بسويسرا تقارير بحصولهم على خرائط الهجوم على "كاليه"، وعمقوا الصورة أكثر من خلال الإفراج عن ضابط ألماني رأى الحشد العسكري مقابل "كاليه" أثناء عملية نقله، إذن لا مجال للشك، تبين لاحقًا أنه جيش وهمي موجود على الاتصالات اللاسلكية والأوراق البيروقراطية التي يصعب اكتشاف تزويرها، ولإحكام الخداع استخدم مصممي المواقع السينمائية لإنشاء موقع ضخم من الانشاءات المطاطية والبلاستيك والخشب لتبدو كقاعدة جوية ضخمة ملئ بالخيام والطائرات والدبابات ومعدات الحرب وناقلات الجند البحرية، وتبين أن الضابط المفرج عنه خدع في المكان حيث رأى الحشد الحقيقي لعملية النورماندي.

- تم إيصال معلومات حقيقية عن موعد ومكان الغزو الفعليين ولكن عبر عميل لا يثق به الألمان - يعتبرونه عميلًا مزدوجًا - لإشعار هتلر أنه كشف عملية التضليل في حين أنها كانت الحقيقة.

- تم استخدام شبيه بالجنرال مونتجومري تدرب على تصرفاته، وقد شاهده جواسيس هتلر في جبل طارق ثم في الجزائر وبالتالي لا يعقل أن يكون الهجوم وشيكا لبعد الجنرال.

بهذا الكم من الخداع بقيت قوات هتلر مشتتة ولم يقم بدعم الجنرالين "روميل ورونستد" حينما طلبا الدعم لصد الهجوم على النورماندي، بل بقي هتلر مقتنعًا بأن الغزو على النورماندي خدعة وأن مجهود العدو الرئيس على كاليه لفترة طويلة، وحينما غير رأيه كان الوضع تغير رأسا على عقب.

***

سواء كانت مناورة الخداع تظهر القوة أو الضعف، أو إدعاء الأخلاق أو نقيضها، المهم هو نزع الشك من الخصم ليقتنع بها، أي أن المطلوب هو مزج الصدق والغموض والخداع وتجعله متاحا لعيون العدو أو تسربه لهم، وفي ضوء ذلك يساير عقل العدو مخطط المناورة، أو تساير المناورة عقل العدو، إنه فن إدارة المظاهر.

ليست المهارة في الحصول على المعلومة فقط، هناك أمور أخرى مثل: مدى صدق المعلومة ودقتها، أيضا كيفية الاستفادة منها لبناء خطة الخداع، كذلك القدرة الفعلية على دعمها من بقية الميادين بما يساعد في تنفيذها بشكل لا يتطرق إليه الشك، أي مقدار واقعيتها لنسيطر على رؤية العدو، ومن ثم نفسح المجال أمام قيادة العدو للتصرف انطلاقًا من تصوراته الخاطئة، سواء كانت المناورة في الميدان السياسي أو العسكري، فإن جوهر الخداع يقوم على التلاعب وبسرية بالحقائق وتشويهها وتسريبها لغرس واقع غير صادق يغرق في زواياه العدو، وتبلغ المهارة في خطة الخداع عندما يتعامل معها العدو على أنها الحقيقة.

ولذلك هناك عدة خطط للخداع رغم شهرتها إلا أنها لازالت تأتي بنتائج كأنها تستخدم لأول مرة، وذلك يرجع إلى البراعة في تنفيذها، كثير من الأفكار تكون رائعة ولكنها تفقد روعتها لضعف المؤدي لها أو ضعف الإنفاق عليها أو عدم الانسجام بين المؤسسات المشتركة في تنفيذها، ومن الخطط التاريخية الآتي:

1- الانسحاب الزائف: وهو أشهر الخطط التي ساهمت في مجد نابليون [معركة أوسترليتز].

2- تشتيت العدو بهجمات على محاور ثانوية: بتحركات وهجوم "حقيقي" من أجل مشاغلة الجبهة وإخفاء مكان الهجوم الحقيقي.

3- أعمال الغش والخداع والتمويه: [جيش الجنرال باتون في جنوب شرق إنجلترا]

4- مسايرة العدو في توقعاته: [حرب العاشر من رمضان - الهجوم على النورماندي]

5- دس معلومات تؤدي للوقيعة: [غزوة الأحزاب ونعيم بن مسعود]

6- عدم التمييز بين الزائف والحقيقي: [المطارات والطائرات الهيكلية وإذا اكتشفت لسبب ما يستخدم هذا السبب مع المطارات والطائرات الحقيقية، فيتعذر معرفة الحقيقي من المزيف وبالتالي يتم حماية الحقيقي من القصف]

7- الاستفادة من الجواسيس بدلا من اعتقالهم: وخداعهم بالسماح لهم بالسرقة أو التجسس لتسريب معلومات خادعة، أو تحويلهم لعملاء مزدوجين.

***

الخداع المنوع[44] دوليًا:

هناك أشكال من الخداع يستخدمها الأقوياء الذين لا يخضعون لقرارات الأمم المتحدة، ويُخرجون جرائمهم الحقيقية بما يمنع المحكمة الدولية من التفكير في عقابهم، ويلتزم بها الضعفاء الذين تحكم عليهم عادة محكمة العدل الدولية.

أما نحن المسلمون فلدينا تحذير من الغدر وعدم الوفاء بالعقود {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ {58} سورة الأنفال، هذا باختصار مع لفت الانتباه أننا من يقرر ما هو مشروع أو غير مشروع وتفاصيل ذلك في كتب الفقه، ولكن ومن باب العلم بمزيد من الحيل التي يعتبرونها مشروعة، ومن باب أيضًا العلم بما يمنعونه ويقعون فيه، ومن باب محاسبتهم على مرجعيتهم أسوق التالي.

الخدعة الحربية غير المشروعة:

هي الخدعة التي تحرم قوانين الحرب استخدامها بغية التغلب على العدو والانتصار في

---

[44] المصدر بتصرف يسير: الموسوعة العسكرية للدار العربية للدراسات والنشر – المقدم هيثم الأيوبي وآخرين طبعة 1981 بيروت.

المعركة، نظرًا لأنها تتسم بصفة الغدر، وتتنافى مع الشرف، وتتعارض مع الواجبات الدولية.

لقد جاء في المادة 24 من اتفاقية لاهاي للحرب البرية [1907] أنه يجوز للدول المتحاربة أن تلجأ أثناء الحرب إلى استعمال خدع حربية، شريطة ألا تتسم بطابع الغدر والخيانة، وأن لا تخل بالواجبات الدولية. ويتعذر حصر أنواع الخدع والحيل الحربية التي ترمي إلى تضليل العدو والتغرير به، ضمن الحدود التي أشرنا إليها، نظرًا لاتساع مجال الخداع وتطور أساليبه، وارتباط هذا التطور بالقدرة على الإبداع، وبتطور المعدات والتقنيات المستخدمة في الخداع. ويمكن أن نورد، على سبيل المثال لا الحصر، الأعمال التالية التي تدخل في إطار الخداع المشروع الذي لا يتنافى مع قواعد الحرب:

- التظاهر بالانسحاب تضليلًا للعدو واستدراجًا له إلى الكمائن .

- القيام بمناورات وحشد كاذب لاجتذاب قوات العدو إلى مكان ما، وتركيز الجهد على قواته في مكان ما لحمله على تغيير مراكز قواته أو مفاجأته بغير ما يتوقع.

- مفاجأة العدو بالهجوم أثناء الليل، أو في ظروف جوية صعبة، أو في أماكن لا يتوقع أن يكون الهجوم منها.

- تضليل العدو عن حقيقة عدد القوات التي تواجهه بإشعال عدد كبير من النيران. أو باستخدام معدات كاذبة، أو عاكسات لتشويش أجهزة تضليل الكترونية.

- بث الألغام والأفخاخ الكاذبة في طريق قواته لتعطيل سيره أو عرقلته.

- الاختفاء عن أنظار العدو وأخذه على حين غرة.

- نشر معلومات كاذبة عن حركات الجيوش أو مواقعها أو عن العمليات الحربية المقبلة بقصد التضليل والمفاجأة.

- تكوين طابور خامس في بلاد العدو والاستعانة به لتفسيخ الجبهة الداخلية للعدو عن طريق إثارة الفتن وبث الشائعات الكاذبة وروح التفرقة لبعثرة جهده وقواه.

- بناء المطارات والتحصينات ونقاط القيادة الكاذبة .

- استخدام وسائط الاتصال السلكية واللاسلكية بشكل مكشوف أو مع شيفرة سهلة الحل، وذلك لخداع العدو عن نوايا وحجم القوات الصديقة .

- تسهيل حصول العدو على رسائل ووثائق كاذبة تستهدف خداعه.

- تسهيل فرار أحد أسرى العدو بعد حصوله على معلومات كاذبة يعتقد أنها صحيحة.

- تسهيل وقوع أحد الجنود الأصدقاء في الأسر بعد تلقينه معلومات كاذبة يؤمن بأنها صحيحة.

***

وإلى جانب هذه الخدع المشروعة، فإن هناك خدعًا غير مشروعة يعتبر فاعلوها أو الآمرون بها مجرمي حرب. ويتعذر تحديد هذه الخدع أو حصرها بشكل دقيق. ولكن من الممكن تحديد طبيعة الخدعة ومشروعيتها عن طريق القياس استنادًا إلى أن الخدعة غير المشروعة مخلة بالشرف وتتنافى مع الأعراف والقوانين الدولية وقانون الحرب. ومن الخدع غير المشروعة، على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

- التظاهر بالتسليم، خداعًا للعدو، كرفع راية بيضاء على حصن أو قلعة أو موقع لإيهام العدو بالرغبة في التسليم، حتى إذا ما اطمأن واقترب انهالت عليه النيران، أو أخذه على حين غرة.

- استعمال أعلام ورايات العدو وشاراته وملابس جنوده: وفي هذه الحالة يمكن التسلل إلى صفوفه دونما خطر، إلا أن من يقع في يد العدو وهو يرتدي ملابسه أو

يحمل شاراته وأعلامه وراياته، يفقد الحماية المقررة لأسرى الحرب والمنصوص عليها في معاهدة لاهاي البرية [1907] وتجوز محاكمته وإعدامه.

- استعمال شارات الصليب الأحمر وما شابهه من المؤسسات: تحرم اتفاقيتا جنيف الأولى والثانية [1949] ومن قبلها اتفاقية جنيف لعام 1929 استغلال المحاربين لشارات الصليب الأحمر أو ما يعادلها أو [الهلال الأحمر، أو نجمة داوود الحمراء، أو الأسد والشمس الإيرانية]، أو أية شارات لوحدات طبية، بقصد ضمان عدم تعرض قوات العدو لهم، أو بقصد تغطية مرور قافلة تحمل أعتدة حربية، أو بقصد مباغتة العدو.

- الإخلال بعهد مقطوع للعدو، كمفاجأته بالهجوم عليه خلال هدنة متفق عليها بين الفريقين، أو الاعتداء على مبعوثيه [مفاوضيه] الذين يقومون بعد الاتفاق، بالتقدم للمفاوضة في شأن من شؤون القتال.

- الغدر بأحد رجال العدو بوضع جائزة لمن يقدم على اغتياله.

- الغدر بأسرى العدو، عن طريق إعطائهم فرصة مقصودة للفرار، ونصب كمين مدبر لهم لقتلهم أثناء الفرار.

- تسميم جنود العدو [وخاصة التائهين في مناطق قاحلة] عن طريق تسميم الآبار والمواد الغذائية أو تلويثها جرثوميًا، مع اتخاذ كافة التدابير التي توحي لهؤلاء الجنود بأن المياه والمواد الغذائية صالحة للاستخدام. علمًا بأن عمليتي التسميم والتلويث الجرثومي نفسهما محذورتان أساسًا وتدخلان في إطار جرائم الحرب.

***

أسوء ما في الخداع انكشافه دون أن تعلم، ساعتها يلتف حبل المشنقة الذي أعددته لغيرك حول عنقك، انكشاف الخداع يعادل انكشاف الاتصالات السرية، إذ لا فائدة

ترجى بعد ذلك، وتفقد عنصر المفاجأة وتفقد معه كل شيئ وتصبح كل الجهود هدرًا، إذا عرفت أن خداعك انكشف -وقلما يحدث هذا- فلكي تخرج من هذه الورطة اكس الأماكن الحقيقية بنفس السبب الذي كشف المواقع المزيفة لترجع العدو مرة أخرى على طريق الخداع.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

اسلك الطريق غير المتوقع

24- استراتيجية "الاعتيادي - الاستثنائي"

تعلم المبادئ .. ثم طبقها أنت .. حيث يجب أن تكون أنت وليس أستاذك .. لكي تكون غير تقليدي يجب أن تتوقع خصمك وساعتها يمكنك التنقل بين ما هو عادي وما هو استثنائي .. باختصار لكي لا تكون تقليديًا فلا تقلد أحدًا.

لتحقق المفاجأة: اعرف نفسك واعرف عدوك واعرف ماذا تريد واعرف الأرض التي تقف عليها .. مبادئ الحرب هي كل ما يملكه أي قائد عادي فهو يختار الطريق المضمون والمجرب .. و مبادئ الحرب أساس للعمل يمكن تخطيها وفق حدس وحسابات دقيقة لا تخلو من المغامرة للقادة الاستثنائيين .. تمسك بروح المبدأ وطبقه حسب موهبتك.

حينما تدخل للصراع فليكن ذلك بأسلوبك الخاص .. أنت من يضع الاستراتيجيات .. ولا تكررها .. بل تبتكر غيرها وفق معرفتك لعدوك .. حرر نفسك من المجرب والمضمون وتحرك لما هو جديد ومبتكر .. ما ينقصك هو الجرأة لتحقق المفاجأة التي سوف تربك عدوك وتمنحك النصر.

ما ذكرته آنفًا ليس للهواة أو أصحاب أحلام اليقظة .. وإنما للموهوبين الذين يمتلكون الحدس الصائب .. وحتى هؤلاء الموهوبون حينما يسقطون يكون سقوطهم مدويًا وكارثيًا .. وهذا عين ما حدث مع نابليون لتجاوزه المبادئ بشكل فج .. ما ميز نابليون عن غيره أنه قاد جيشه في الميدان فذهب معه وعاد معه .. وندر من يفعل ذلك.

***

المفاجأة تتعلق: بالوقت .. التكتيك .. الحركية .. التشكيل .. الاتجاه .. الأسلوب ..

المناخ، أي أن تأتي من حيث لا يتوقع، وبكل ما هو غير متوقع، وفي زمن وظرف غير متوقع، ويمكن صياغتها أيضًا: أن تأتي خارج نطاق مخيلة الطرف المقابل [القائد وهيئة أركانه].

سيظل الهدف من المفاجأة دائمًا هو: إدخال الفوضى والارتباك والغموض على عقل قادة العدو وفي قلب أفراده، حتى ينهار كل شيء تباعًا كحبات المسبحة، اقرأ التاريخ العسكري بقدر ما تستطيع، الخطط القديمة قابلة للاستخدام شريطة أن تطعم بكل ما هو حديث، لا شيئ يبقى على حاله، وحيث تتشابه الأحداث أدخل على القديم ما هو عصري، هذا التغيير سينقلك من التقليدي إلى الاستثنائي، لتحقيق ذلك أيضًا جدد من نفسك، اصنع لك نمطًا تكتيكيًا ثم تحول عنه، ثم ارجع إليه مرة أخرى، وتنقل بين هذا وذلك، لتحقق استثناءات لا يمكن توقعها.

***

تعد الحروب اللاتماسية استثناءً في عالم الحرب، إنها تعتمد بالدرجة الأولى على المخيلة والتقنية، وتحمل الكثير من المفاجآت إذ لا حدود أمام العقل والعلم، فالصواريخ والطائرات بدون طيار والسيارات المسلحة الموجهة عن بعد وما شابه ذلك غيرت بشكل فعال نتائج الصراعات، ويمكن أن نضيف لها أيضًا الاعتداءات السبرانية، نقطة الضعف الأساسية في برنامج هذه الحرب هو الجاسوس سواء كان بشريًا أو جهاز موبيل، فلا مجال لفاعليتها دون معلومات ميدانية -هذا أساسي في الصراعات النوعية أما في الحرب العادية فالأقمار الصناعية توفر معلومات مهمة-، ويمكن حرمان العدو من المعلومات بتصفية الجواسيس وتأمين التحركات واللقاءات والاستغناء عن الهاتف بوسائل أخرى آمنة.

ونظرًا لأنه لا يوجد نسبة آمان 100% ولا معلومات بنسبة صحة 100% فستظل الحرب دائمًا وأبدًا صراعًا بين العقول، وقد قيل قديمًا إذا كان العدو يملك التفوق الجوي

فإن عملياتنا تبدأ مع أخر ضوء، واليوم نضيف إذا كان العدو يملك التقنية فالمحاربون يتجنبوها [وسائل التواصل].

***

من مبادئ الحرب غير التقليدية:

* العمل خارج تجربة وخيال العدو:

من البديهي أن نعرف هل قائد العدو يتمتع بالموهبة أم يعتمد على الشجاعة؟، لتحصيل هذه المعلومات نعتمد على أمرين الأول: بث العيون [الجواسيس]، الثاني دراسة تاريخه ومعاركه السابقة، فإذا كان القائد يعتمد على الشجاعة والجرأة فإنه يتوه في عالم التكتيكات ويسهل بها هزيمته، أما إذا كان موهوبًا ويبالغ [ملتزمًا بمبادئ الحرب] في استعمال التكتيكات فعليك أن تلجأ للتكتيكات الاستثنائية لتهزمه.

كمثال: نجد في التاريخ الحديث عمليتين عسكريتين بينهما 33 عاما، الأولى في 21 أكتوبر 1967 حيث تم ضرب وإغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات، والثانية في 12 أكتوبر 2000 وتم فيها ضرب وتدمير المدمرة الأمريكية يو إس إس كول، أغرقت الأولى بزورق طوربيدات، وأخرجت الثانية من الخدمة بقارب صيد حمولة 3 طن، المدمرة الأمريكية كانت مجهزة للتعامل مع 100 هدف عسكري في نفس الوقت لكنها لم ترصد قارب الصيد الذي أخرجها من الخدمة، ولا مقارنة بين قيمة قارب الصيد وما عليه من مواد والمدمرة وما عليها من تجهيزات، كشفت العمليتان في [1967-2000] الضعف الكبير للقطع العسكرية الضخمة في مقابل ما هو غير متوقع، خاصة في إطار الصراع النوعي فهذه القطع الكبيرة القوية تصبح عاجزة أمام الأفكار والتكتيكات الذكية.

لقد أعمى الغرور والكبرياء العسكري الأمريكي قائد المدمرة من رؤية الموت القادم، فأن يتم مهاجمته بقارب صيد فهذا على المستوى الشخصي خارج تجربته وخياله، ولم

يسبق لها مثيل في التاريخ العسكري.

***

* التحول من العادي إلى الاستثنائي:

الاستثناء يأتي من أمرين الأول الخروج عما هو مألوف ومتوقع في الحرب لتحقيق المفاجأة، الثاني الخروج من نمطك الشخصي لتباغت العدو، وكلاهما يحتاج لقائد موهوب ومبدع لتحويل الخيال إلى حقيقة، أو لديه هيئة أركان جريئة وملهمة.

من المعروف أن الجيش الذي يتم مباغتته يفقد انضباطه بسبب فقده الحس بالأمان، والخوف مما هو قادم من مفاجآت ["فالكيري" محاولة اغتيال هتلر]، خاصة إذا كانت عقلية القيادات والجنود تربت على التقاليد العسكرية الجامدة ولم تصاحب المرونة خططها، وتواجه قائدًا لا يقلد أحدًا ويستحدث تكتيكات واستراتيجيات غير تقليدية، تتماشى مع موهبته والإمكانات المتاحة، لا أحد يمكنه أن يتوقع خطواته القادمة لأنهم يواجهون شبحًا لا نمطًا، هذا سوف يجلب له الهيبة والاحترام والاهتمام، وهو ما يهتم به الناس ويضخمونه حتى يرعبون به الخصوم، ولا شك أن هذا مفيد ونافع جدًا فالتاريخ سطر أسماء قادة وحكى وسيحكي عنهم الأساطير [الاسكندر المقدوني، جوكيه ليانغ، خالد بن الوليد، خير الدين برباروسا، نابليون، هتلر، أبو حفص المصري].

كمثال: عمليات تنظيم القاعدة خاصة الكبيرة منها تحولت من <u>التقليدي</u> [ضرب السفارتين بسيارات مفخخة] إلى <u>غير تقليدي</u> [ضرب الفلسفة العسكرية الأمريكية التي تهدد بها الدول "الأساطيل البحرية"؛ بضرب البارجة يو إس إس كول بقارب صيد] إلى <u>استثنائي يفوق الخيال</u> [الإغارة بطائرات مدنية على رموز القوة الأمريكية على الأراضي الأمريكية].

حينما أُخبر "بوش" الإبن بضرب البرجين والبنتاجون امتقع وجهه وزاغت عيناه وكانت

الخطوة الأولى الركض إلى المخبأ؛ لقد استهلكته المفاجأة فلم يتم إعداده لمثل هذا الحدث، العمليات والضربات في العواصم والمدن الكبرى لا تباغت الجيش وأجهزة المخابرات والأمن فقط إنها تفقد الدولة حكومة وشعبًا توازنهما[45]، وتصيب البلاد بحالة من الهلع والارتباك لا تغادرها لسنوات، فتسن قوانين تجعل النظام يكفر بما يؤمن به وتتحول الولايات المتحدة الأمريكية من الحرية التي تتغنى بها إلى مراقبة الناس وتواصلاتهم وكأنها واحدة من الدول التي يديرها وكلاؤهم، هذا ما حدث في 11 سبتمبر 2001 بتكلفة أقل من مليون دولار، وما ترتب عليه كان استثناءً اقتصاديًا وسياسيًا وأمنيًا واجتماعيًا ونفسيًا وعسكريًا، [11سبتمبر] كان ضربة في العمق الأمريكي ونتائجه لن تقف عند حد معين.

قلة هم من يمكنهم السيطرة على أنفسهم عند الصدمة، لأنهم قاموا بدراسة كل الاحتمالات ولم يستبعدوا شيء، فحسنوا قدرتهم على التوقع، وباشروا وضع الخطط المرنة التي تساهم في سرعة رد الفعل، وقد يرتبكون لهنيهة حال تعرضهم لشيء غير متوقع، لكن سرعان ما يتماسكوا ويقودوا جنودهم لتحقيق النصر.

***

* حس المغامرة المحسوبة بنسبة كبيرة:

لا تفقد هذا الحس ولا تقيد نفسك بخطى التقليديين، فهذا هو الفرق بين الإبداع والعادي، عبور الممرات الوعرة، استخدام أسلحة حديثة، استخدام وسائط غير تقليدية، ضرب قواعد العدو غير المحمية والتي لا يتوقع الهجوم عليها، إن ضرب فلسفة العدو الأمنية وإسقاط استراتيجيته الدفاعية أحد الهموم التي تواجه القادة من كلا الطرفين، فضربها يعني النجاح لطرف ويعني للطرف الأخر فشل هذه الاستراتيجية ولا بد من البحث عن غيرها، ولا يمكن ضرب فلسفة العدو بدون روح المغامرة وتجاوز

[45] يقول أوتو سكورزيني -القوات الخاصة الألمانية-: في وقت الاضطراب يمكن لأي إنسان أن يفعل ما يشاء لو أسرع في انتهاز الفرصة.

المألوف والتقليدي.

توسعت أمريكا في استخدام طائرات [الدرونز] لتنجو من ورطاتها البرية وتحافظ على أرواح جنودها، واغتالت بطائراتها الكثير من الشباب المسلم في أفغانستان واليمن والعراق والشام والصومال وقدمت معلومات لحلفائها بالغرب، في المقابل قدمت عدة أفكار منها تصنيع مضاد للطائرات، تصميم برامج للتشويش والسيطرة على الطائرات أو إسقاطها، تكثيف الجهود الأمنية للقبض على الجواسيس ومحاكمتهم، ومنها الحلول السلبية من اختفاء وتوسع في الممارسة الأمنية، ورفع الحس الديني والأمني للأفراد وللحاضنة الاجتماعية، والامتناع عن استخدام أجهزة التواصل [الموبيلات] والعودة لنظام السعاة، ومنها أيضًا الحلول الإيجابية بالهجوم على قواعد العدو، أو تفجير مستودعات ذخائره، خطف أو اغتيال الأمريكيين العاملين بالمطارات والقواعد العسكرين وحتى خلال عطلهم في مدنهم وقراهم وعلى رأسهم الطيارين، إعداد سلسلة كمائن لضرب وسائل نقل الإداريات الحياتية اليومية [التموين من مأكولات ومشروبات] أو تسميمها، تسميم أبار المياة الخاصة بالقواعد الأمريكية ... إلخ.

وكمثال[46]: هجوم حركة الشباب المجاهدين بالصومال على القاعدة الأمريكية [ماندابای "معسكر سيمبا"]، لقد كانت عملية رائعة مثلت نموذجًا لضرب القواعد الجوية على الجزر البحرية؛ التي تنطلق منها طائرات التجسس والشحن والمقاتلات وتوجه منها الطائرات بدون طيار، لقد كانت فاتحة خير، ولفتت الانتباه لسهولة القيام بمثلها؛ مع تبني خطة إخلاء للمهاجمين إن كان الوضع يسمح بذلك، إنها عملية جديرة بالدراسة، ليس الجزء

[46] قام المجاهدون في أفغانستان بالكثير من العمليات ضد القواعد الجوية في بجرام وهلمند ووردك وخوست وغيرها، في عملية هلمند فقط تم تدمير أكثر من عشر طائرات؛ وقد كتب عنها في الصحافة الأمريكية في سبتمبر 2012: [The attack was described as the worst loss of U.S. airpower in a single incident since the Vietnam War]، وأعلنت الإمارة في بيانها عن العملية أنها ردًا على الفيلم المسئ للنبي صلى الله عليه وسلم الذي أنتجه المخرج الأمريكي المصري عام 2012، وكذلك من أجل استهداف الأمير هاري الذي كان في القاعدة أثناء العملية.

الحركي والتنفيذي فقط الذي يجب أن يُدْرس ويُدَرس، وإنما ما صاحبها من روح المسؤولية والمغامرة المحسوبة للمخططين والمنفذين الذين خرجوا بها من العادي إلى الاستثنائي، لقد كانوا نموذجا يحتذي به الشباب المسلم، وكشفت مغامرتهم الجهادية هذه حقيقة الحالة الأمنية للقواعد العسكرية الأمريكية، والتي تمنح كل مسلم لديه سلاح فرصة للهجوم عليها.

***

* العقلية الشبابية المبدعة:

احذر من الشيخوخة الفكرية والالتصاق بالتجارب الناجحة، فهذا هو دور القائد العادي حيث يحافظ على وجوده، التجديد الدائم يحفظ روحك الشابة القادرة على الابتكار، ولهذا فمن الحكمة أن تصاحب القيادات الشابة وتسقي استراتيجيتك بمقترحاتهم المتقدة، توفي الإسكندر الأكبر وهو ابن 33 سنة، وبدأ كل من هانيبال ونابليون حملاتهم في سن الـ 28 سنة، وبدأ أسامة بن لادن وإخوانه في القاعدة جهادهم في أفغانستان بمتوسط عمر 24 عامًا، وجاء 11 سبتمبر 2001 وهو في الـ 43 من عمره.

مثل الملاكم المسلم محمد على كلاي؛ المولود عام [1942] هذه العقلية المبدعة والشابة دائما، وقدم قفزة في استراتيجيات الملاكمة: تعمد محمد علي كلاي إغضاب واستدرج وإحباط منافسيه، فقاموس الإهانة لإثارة الغضب ينسل من بين شفتيه كالسيل الهادر، ومرونته ورقصه على الحلبة وتفاديه لكثير من الضربات يحبط خصومه، خصم غاضب ومحبط غير قادر على الوصول لغريمه المتحرك دائمًا إنها حالة من اليأس تؤدي للاستسلام، وهذا ماكان؛ فتوج بطلا للعالم في سن الـ 22 عامًا، بالنسبة لاستراتيجيات وتكتيكات اللعبة فقد أحبطها محمد علي بأسلوبه غير التقليدي ونمطه الجديد والرشيق: "أحلق كالفراشة وألسع كالنحلة"، لقد كان استثنائيا حتى في مواقفه.

قال محمد علي كلاي عن فيتنام: "هذه الحرب ضد تعاليم القرآن، وإننا - كمسلمين - ليس من المفترض أن نخوض حروبًا إلا إذا كانت في سبيل الله". كما أعلن في عام1966: "لن أحاربهم فهم لم يلقبوني بالزنجي".

يجب أن ندرك جيدًا: لقد تم تهيئتنا منذ الطفولة للإذعان لقوانين سلوكية محددة، وخضعنا لتربية على أساليب معينة لفعل الأشياء، لا شك أن الاختلاف الاجتماعي له ثمن مادي ونفسي، في مقابل ثمن أكبر جراء الإذعان للعبودية، كلفة الحرية والعيش في ظلال قيمنا ومبادئنا وعقائدنا وموروثاتنا الثقافية والدينية وعاداتنا وتقاليدنا تهون مهما أخذت من أرواحنا وأجسادنا وأموالنا، وليفهم أبناء المدن والعواصم في بلادنا هذا جيدًا، ولينعم المجاهدون ومروضو الجبال الأفغان بحريتهم، وبفسحة السماء التي لا تحجم عقولهم أو تحد من رؤيتهم.

***

اعتمدت أمريكا كالمقبورة بريطانيا استراتيجية القلاع المائية سواء الدولة الأم أو القواعد الجوية والبحرية الثابتة على الجزر في البحار والمحيطات، وحتى الجزر العائمة من حملات الطائرات والسفن المصاحبة، كما اعتمدت فلسفة إنشاء القواعد العسكرية على أرض الدول الخاضعة لها، ومن أرضها وقواعدها فرضت هيمنتها على العالم، وهاجمت منها أعدءها بشتى أنواع الأسلحة، وتجاوزت جرائمها حول العالم حدود المعقول بضرب اليابان بالقنابل الذرية، ومع التطور والتقنية وعصر الإنترنت طغت استراتيجية الحرب اللاتماسية على عملياتها العسكرية، وفي العقد الماضي بدأ الاعتماد على الطائرات المسيرة [بدون طيار] في حربها على الطليعة المجاهدة للأمة الإسلامية في كافة الساحات النشطة.

هذه الاستراتيجية [الأمريكية] كانت نقطة الانطلاق لتنظيم القاعدة التي وضعت استراتيجية معاكسة تستهدف النظرية الأمنية لأمريكا في أغلب محاورها، لقد ألهمت

"استراتيجية العدو" تنظيم القاعدة المتحرر من كل ما يكبله أو يعيقه، فالتنظيم ليس دولة وإنما هو حالة غازية واسعة الانتشار ويصعب إحاطته وحصاره، خاصة إذا كان يعبر عن طموح وكبرياء أمة تتجاوز الملياري نسمة، يستمد من أمته قياداته وجنوده وتمويله فأصبح من الصعب القضاء عليه لأنه تنظيم أبناء الأمة، قد تمر به مراحل من الهدوء لإعادة التنظيم والتفكير في استراتيجيات جديدة تناسب المرحلة التاريخية والتطورات التقنية، ولكنه -إن شاء الله- ماض على دربه.

عمليات القاعدة الكبيرة كما أسلفت استهدفت الاستراتيجية الأمنية لأمريكا، لقد استهدفت القاعدة الجزر العسكرية العائمة بغارة استثنائية بكل المقاييس فأخرجت في عام [2000] من الخدمة البحرية المدمرة الحديثة [1996] "يو إس إس كول" المجهزة للتعامل مع 100 هدف في نفس الوقت؛ بقارب صيد، كما استهدفت القلعة الأم [أمريكا] بإغارة تاريخية في أكبر مدنها بطائرات تجارية دكت البنتاجون وبرجي مركز التجارة العالمي فأفسدت نظرية القلعة الدفاعية حيث طالتها يد المجاهدين، كما طالت يد حركة الشباب المجاهدين [أبناء القاعدة بالصومال] القاعدة الأمريكية [مانداباي "معسكر سيمبا"]، كذلك ضربت بعض القواعد السياسية التي تدير الصراعات في أفريقيا بضرب السفارتين في كينيا وتنزانيا، بإيجاز استهدف تنظيم القاعدة الاستراتيجية الأمنية الأمريكية وتمكن من ضربها بعمليات استثنائية، ولا يوجد عائق -إن شاء الله- لضربها مرة أخرى.

رمت القاعدة لتحقيق هدفين الأول كسر الهيبة الأمريكية والثاني تحرير الشعوب الإسلامية من عملاء أمريكا، لم تكن خطة تنظيم القاعدة هي القضاء على الولايات المتحدة الأمريكية أو إبادة شعبها أو غير ذلك مما أوهموا به الناس، كان الهدف الرئيسي كسر هيبتها، ومن ثم إضعافها وتهيئتها للتفكك والانهيار، وتخلي حلفائها عنها، من خلال استهداف رموز قوتها، واستدراجها لحرب عصابات مفتوحة ساحتها الكوكب، حيث

تنتشر مصالحها وتتوزع قواتها ويسهل العمل عليها، ومن ثم السماح لعوامل التفتت أن تنهش جسدها، وما أكثرها في أمريكا اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا وعقائديًا وعنصريًا، إنه تجمع محكوم بالفشل مهما طال الوقت.

فائدة: العمليات الاستشهادية حرمت العدو من خط الجير الذي كان يتبعه للقبض على العناصر الباقية وراء العملية، لقد مثلت العمليات الاستشهادية إنحيازًا رائعًا من ميدان القتال إلى السماء، حيث لا شيء يمكن تتبعه.

***

لم تكن مهمة هانيبعال غزو روما بل مشاغلتها وإلهاؤها [بث الفوضى]، لقد كان الهدف إضعافها لتتفكك تحالفاتها ومن ثم تنتهي كإمبراطورية وبالتالي تنجو قرطاج من التوسع الروماني، بناء على ذلك اعتمد هانيبال على استراتيجية خارج حدود المألوف في الحروب، أقدم في كل خطواته على الخيار الصعب وغير المتوقع، فتحرك من خلال الممرات التي لم يحرسها العدو لوعورتها وظهر في الأماكن التي تهز استقرار روما وأمنها الحياتي، واستولى على مزارع الأعيان وترك ممتلكات "فابيوس" لغرس الوهم بالتواطئ، واستدرج جيوشها لميادين من تجهيزه، وتمكن من الخروج من الحصار بحيل مبتكرة [النار على قرون الثيران]، ثم أفقدهم توازنهم بمعركة "كان" وإن شئت لقلت مذبحة كان، المعركة الأكثر إذلالًا للرومان.

***

اعرف طريقك قبل أن تسير فيه: المنحنيات والمضايق والتقاطعات والجسور، وأيضًا عيون العدو الميدانية وقدراته التقنية.

العدو: عادة ما يمنحنا قائمة الأهداف خاصة عندما يتباهى باستعراض قوته، العدو أيضًا يلهمنا بالاستراتيجية المناسبة.

التكتيك الجديد يحدث النقلة المطلوبة، سواء كان في التشكيل أو الحركة والمناورات أو الوقت والمناخ ... إلخ.

ما هو غير تقليدي اليوم يصبح تقليديًا غدا، وهكذا .. إنها دورة لا تنتهي، ولطالما كانت العبقرية حليفة الطرف الأضعف.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

25- استراتيجية "إظهار الحق"

الإعلام لا ينقل الواقع بل ما يريدون إظهاره للناس كحقيقة .. وصياغة الأحداث تفسر بحسب رغبتهم في الشيطنة أو الملائكية .. بخبثهم تحول الواقع إلى متاهة لا تبصر فيها الحدث ولا تصل إلى الحقيقة .. والحق مهما أخفوه يظل عالقًا في ضمائر الناس حتى يرويه من تاب منهم .. ضمير الغائب في الجمل السابقة يعبر عمن يقف وراء إفساد العالم والإنسان .. إنهم السادة الذين يملكون الإعلام أو يمولونه وعبيدهم من الساسة [منظومة الملوك والرؤساء] الذين يسخنون الأحداث بكلماتهم .. فيضخمون أو يهونون من الأحدث حسب رغبة أسيادهم .. أما أدواتهم من صحفيين وكتاب وناشرين أو وسائط الإعلام والنشر فهم مرتزقة -إلا ما رحم الله- يخدمون من يدفع أكثر.

أفغانستان لا بد أن تقدم شخصيتها للعالم .. فالمنهج الذي تحركت به الإمارة الإسلامية لتحقيق النصر يلزمها أن تقدم نموذجًا فريدًا جديدًا يناسب العصر للدول الإسلامية وللعالم أيضًا .. نموذجًا ينسجم مع مذهبها الفقهي وموروثاتها الثقافية وعاداتها وتقاليدها التي لا تخالف دينها .. نموذجًا يعبر عن الإسلام في توحيده ورفعته وسموه .. ويعبر عن أخلاق الإسلام في رحمته وعفوه وحزمه وحسمه .. نموذجًا يعبر عن الأمة الإسلامية لرفع الحجب عن عيون الناس فيبصرون حقيقتها ورسالتها الربانية لهم.

الحق؛ لا يملكه أحد بل هو يملك نفسه .. الحق والحقيقة يقابلهما الباطل والوهم .. إنها كلمات تتعلق بالصدق والكذب والأمانة والغش والصراحة والاحتيال .. الساسة خاسرون في معركة الحق والحقيقة؛ لأنهم يذودون عن الباطل ويسوقون الوهم بالكذب والغش والاحتيال .. فإذا انتهت مهمتهم خلعهم من يشغلهم من قدميه ووضعهم على رف

الحثالة في خزانة التاريخ.

***

في هذا العالم المشبع بالانتهازية؛ رفع الوعي وكسب الرأي العام لا تُحقق النجاح فيه بكونك تملك الحق والحقيقة، إذا لم تعرف كيف تظهرهما وتدافع عنهما فأنت لا تملك شيئًا، المعركة الحقيقة هي إعلان الحقيقة والدفاع عنها، الدفاع لا يعني التبرير بل بالأساس الهجوم، فإن الحق قوي تماما كالسيف، ولكنّ السيف بضاربه.

الساسة يتكلمون كثيرًا، بل كثيرًا جدًا؛ عن المبادئ الأخلاقية ولكنهم يتصرفون وفق مبادئ القوة حيث يكون الأقوياء أخلاقيين دائمًا والضعفاء [أعداؤهم] لا أخلاقيين، إن مفهوم الإنسانية [السلام والعدالة والتقدم] آداة رائعة للتوسع الغربي، فكونك المسيطر الذي يمكنه صبغ هؤلاء بالإنسانية وهؤلاء بنقيضها، فهذا يعني أن مفاتيح لعبة الوعي بين يديك، وأن الطريق لاستعباد الناس مفتوح على مصراعيه.

عندما يدندن العلمانيون على مسمى الإنسانية فإنه يعمون أعيننا عن حقيقة العداء؛ لأن العدو أيضًا إنسان، إنه إعماء عن التمييز للواقع الموجود حتما، وعندما يشن العلمانيون الحرب باسم الإنسانية فإنهم يحرمون عدوهم من الإنسانية، ويحولونه إلى وحش عدو للإنسانية ويظهرون طريقة حياة أعدائهم بأنها منحرفة عن طريقة حياتهم المنحرفة أصلًا، كما يحدث مع المسلمين وأمريكا الجنوبية وروسيا اليوم [أزمة أوكرانيا] وكل من لا يخضع لطاعتهم أو يتبع منهجهم.

***

يمارس الغرب مع عملائه الكثير من الحيل الدنيئة في حربهم ضد الإسلام وضد من يخالفهم بصورة عامة: يمارس الغرب سلسلة من الخطط الإعلامية لشيطنة الطرف المقابل، هذه الخطط أصبحت وسيلة عامة تستخدمها جميع الحكومات ضد خصومهم،

ولعل الإخوان المسلمين نالهم نصيب منها في العقد الأخير؛ رغم ارتمائهم في أحضان الحكومات ومسارعتهم فيهم، والتذلل لهم، وتقديم المجاهدين قرابين وفاء لقوات التحالف بالإبلاغ عنهم، أو القبض عليهم كما يحدث في اليمن.

ومن هذه الخطط الإعلامية:

التشكيك بدوافع الخصم لتضيق قاعدة الدعم له، إظهارهم الخصم بمظهر الشرير لتضيق قدراته على المناورة، تشويه نقاط الضعف الهشة في صورتهم العامة واستغلال عثراتهم لقلب الرأي العام عليهم، إظهار الشرخ بين الأقوال والأفعال التي تناقضها أو ربما تأتي متأخرة، فضح أي نفاق يبدر منهم [يمكن توجيه أسئلة مغرضة لا تُسأل عادة لرموزهم]، استخدام أدواتهم العالمية لتحقيق اصطفافات تخدم هدفهم العام مثل: الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان والمؤسسات البحثية، الاستفادة من الشخصيات العالمية الهشة في تشويه من يخالف معتقداتهم مثل: الدلاي لاما. ومن خلال القانون الدولي والمحلي سيتم التلاعب بالمشاعر الإنسانية والأخلاقية للمجتمع وللعدو ليصبح شكاكا في عدالة قضيته، الهجوم على الرموز التأسيسية وعلى الرموز الحية وتخويفهم والتشكيك في دوافعهم حتى يذعنوا وينقلبوا حتى على عقائدهم، الهرطقة [التغيير في العقيدة] فهم يدركون أن التحريف الذي لا يُقضى عليه سريعًا يتحول إلى طائفة؛ ولهذا ومثله ظهر الكثير من الفرق، إعاقة العدو بالتحركات السيكلوجية والسياسية والاقتصادية والدبلوماسية بالتوازي مع التحركات العسكرية؛ إن الإجراءات الهادفة لتحقيق ذلك تتراوح بين الأكثر سرية [أوباما] والأكثر فظاظة [ترامب]، العبث بعاطفة الناس حال تعرضهم لهجوم أخلاقي فإنهم إما يردون على النار بالنار أو يجعلون من أنفسهم ضحايا وشهداء ومساكين، وعادة ما يجتهدون في إصابة خصومهم بعقد الذنب الذي يجب أن يكفروا عنه بتسليم أنفسهم والإبلاغ عن غيرهم والرضا بحكمهم؛ ولنا معه وقفة.

***

في مقاومة التحالف الغربي [أمريكا ومعها 48 دولة] لحرب العصابات في أفغانستان عمدت أمريكا طوال عشرين سنة بممارسة سلسلة من الخطط لكسب الحرب الأخلاقية ولشيطنة حركة طالبان والقاعدة في عين الشعب الأفغاني المسلم بشتى الوسائل: فسعت لتدمير الانسجام الشعبي حول الشريعة بالوقيعة بين عرقياته والتحرك على الخلافات بين قبائله؛ ولكنها لم تفلح. اجتهدت في تشويه صورة الإمارة الإسلامية بأنها تبخس المرأة حقها في التعليم وتحرم الأقليات العرقية من المشاركة السياسية في محاولة للتقليل من شأن القضية وعدالتها؛ ولكنها لم تفلح. عبروا عن فساد الحكومة العميلة دون السعي الجاد لتصحيح الواقع، فمن طرف يصب الفساد وجشع النخبة الأفغانية في جيوب جنرالات أمريكا، ومن طرف آخر يستر الحديث عن فساد الطبقة الحاكمة الأفغانية حقيقة الفساد والإجرام الأمريكي.

حاولت أن تمارس ما هو معروف من سبل مقاومة حرب العصابات مثل: انتخاب قادة جدد على أمل أنهم يمتلكون قدرات واضحة وشعبية والتأكد أنهم سيقوموا بتحقيق العدالة وإزالة مصادر الغضب الأساسية عند الناس؛ فلم تجد. فكروا في القيام بمبادرة سياسية للقضاء على الفساد ومعاقبة المفسدين ووصل الحكومة بقواعدها الشعبية العريضة؛ ولم يفعلوا. والسبب الرئيسي هو أن جنرالاتهم كبلدهم أمريكا هم المفسدون ولا يملكون جانبًا أخلاقيًا حقيقيًا، هل سترد أمريكا مبلغ العشرة مليارات دولار المحتجزة عندها للأفغان؟؛ وهل سيعوضونهم عن مآسي الحرب؟ بالتأكيد لا، والأيام بيننا. فالنظام الأمريكي ومن خلفه لصوص وسراق وحيوانات قمامة تعتاش على لحوم ودماء غيرهم وحتى على دماء شعبهم، هل يعقل أن الأمريكان أنفقوا على الحرب وبرامجهم التنموية -على زعمهم- في أفغانستان أكثر من ترليونين من الدولارات؟!!!، أين إذن نتائج برامجهم

وأفغانستان على حالها؛ وهل لمن خرب المطار ودمره قبل خروجه أن ينفق شيئًا على الأفغان؟، لقد كانت الحرب في أفغانستان تجارة رابحة لجنرالات أمريكا ومن ورائهم، سواء في تجارة السلاح أو المخدرات.

في المقابل كسبت الإمارة الإسلامية الحرب الأخلاقية لنزاهتها وأمانتها، فهي واحدة من حركات التغيير التي أحسنت الالتحام مع شعبها وبالتالي قدم لها كل أنواع الدعم الذي يسهل لها عملية التغيير، لقد كان للانسجام الفقهي والغيرة الاجتماعية والوطنية ورؤية المستقبل وفق متطلبات الأمة -بين الحركة والشعب- كان هذا هو الرابط الذي حصن الحركة من الإبادة أو العمالة، ولهذا استمر الشعب بضخ عناصر جديدة يوميًا في الحركة مجددًا شبابها ومنعشًا لوعيها، فوفرت الحركة الأمن والآمان في المناطق التي تحت سيطرتها، ورعت حقوق الناس، وبذلت ما في استطاعتها لحفظ أعراضهم وأموالهم وممتلكاتهم وتجارتهم وحرية حركتهم، فكسبت قلوبهم وعقولهم وبهما أُحكمت حلقة النصر على عنق العدو، ظهر ذلك جليًا في الأيام الأخيرة قبل دخول الحركة للعاصمة إذ سلم 90% من الولايات الأفغانية السلطة للإمارة طواعية، هذا هو إرث الملا عمر رحمه الله ونصاعة منهجه، ومنه أن أعلنت الإمارة عفوًا عامًا فأنهت كل التشكيك والوسوسة الأمريكية وأصبح الحسم والنصر ومن ثم التمكين مسألة وقت، وهو أيضًا الوقت اللازم لتمكن عناصر التفتت من جسم العدو وحليفه المحلي، ومع تفشي الفساد من القادة للجنود بين صفوف الجيش الأمريكي وعملائه حيث لم يعد هناك مجال لأي نوع من الولاء والانتماء العفوي الطبيعي أو التنظيمي وبقي لديهم رابط السلطة والمال.

لهذه الأسباب تحتم على أمريكا الفرار؛ لقد خسرت الحرب أخلاقيًا وميدانيًا، ولم يعد أمامها أي خيار إلا سرعة الهروب لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ليس في أفغانستان فقط وإنما على أرضها التي تتهددها الانقسامات والأزمات الداخلية؛ مع قوة اقتصادية أسيوية مهولة

تمدد في العالم تمدد شبكة العنكبوت على الدروب بين الأشجار ملتقطة كل فرص السيطرة والقوة، ولم يعد في إمكان العدو مع أفغانستان إلا زرع حقول ألغام من الفتنة والفرقة وراءها، ومنح وكلائها في الخليج فرصة التنظيف خلفها.

***

تردد الكثير من الحكومات الغربية بصيغ لا أخلاقية ما معناه: ماذا يجب أن تفعل أفغانستان لتصاحب العالم في مسيرته؟، نريد الأفعال لا الأقوال!!، ويشغلونها برؤى معينة حول الحريات التي أصبحت تمثل أخلاق الغرب، وتعمل على إجبار بلادنا على أخلاقهم لتدميرها من الداخل، فما يدعون إليه لا يخرج عن الانحراف الديني تحت مسمى الحرية العقدية، والتفكك الاجتماعي تحت مسمى تحرير المرأة، والحرية الجنسية [الإباحية والمثلية]، والتبعية السياسية بإنشاء نظام سياسي يرضى عنه الغرب، والتبعية الاقتصادية بتسليم مواردهم للشركات الغربية مقابل عمولة للحكام وحمايتهم وبقائهم في السلطة، والتبعية الأمنية بعدم إيواء أو دعم أبناء الأمة الذين ينشدون تحرير واسترجاع أراضيهم من تحت وطأة وكلاء العدو، أو تسليمهم لحكوماتهم أو لأمريكا، ويطالبونها بالأفعال لا الأقوال، إنها محاكمة لا أخلاقية للأفغان لكفرهم بالمعتقدات الغربية، ولن يختلف الشرق عن الغرب فالصين وروسيا ليس عندهما جديد فكلاهما مسخ للنموذج الغربي؛ مع سيطرة أكثر في حركة الاقتصاد.

هناك صمت وتعامي عن أول حق للشعب الأفغاني؛ وما ترتب على الحرب من انتهاك لحقوقهم طوال عشرين سنة، هؤلاء الذين يطالبون بالتعويضات عن الهليكوست ولوكربي و11 سبتمبر وينوحون على حقوق الإنسان؛ أين هي حقوق الأفغان؟، إن كنتم حقًا أخلاقيون فلابد من محاسبة أمريكا ومطالبتها بدفع تعويضات الحرب للأفغان قبل أن يفرضوا عليهم أي شيء، التعويضات ليست عمن قتل فقط من أبناء الشعب، هناك

الأراضي التي أفسدوها، والبيوت التي هدموها، ومزارعهم التي حرقوها، وثرواتهم التي اغتصبوها، ومشروعاتهم ومزروعاتهم وحيواناتهم، والعلاقات الاجتماعية التي قطعوها، والآلام النفسية والحرمان الذي تسببوا به لآلاف الأرامل والأيتام وآلاف الأباء والأمهات، إن حربًا كلفت العدو أكثر من [ترليونين] دولار، وإفساد وتخريب لـ 20 سنة لا يمكن أن تقل تعويضاتها عن [5 ترليون] دولار، هذا إن كنتم أخلاقيون حقًا.

***

مالذي يجب أن يقدمه الأفغان في العالم؟، بل؛ ماذا ينتظر منهم العالم؟، لا شك ان مهمتهم الأخلاقية الجديدة هي إسقاط[47] منظومة الأمم المتحدة، وليس الدخول فيها أو انتظار اعترافها، أنتم بحاجة لتقديم دينكم، والعالم بحاجة لكم، فماذا يجب أن تقدم الإمارة الإسلامية للعالم؟ أو ماذا ينتظر البشر من الإمارة؟، هذا السؤال يجعل حركة طالبان تمرد على كل ما يفرض عليها، وتنبذ كل الإملاءات، وشروط الازدهار التي يضعها الغرب وعملاؤه في المنطقة، فالحقيقة التي لا تخفيها الشمس أن أفغانستان ليست بحاجة للغرب وأن في شعوب الأمة الكفاية؛ وأن اعتراف الأمم المتحدة بها لا يعني شيئًا ولن يضيف لها إلا مزيدًا من القيود، وأن العالم هو الذي بحاجة لأفغانستان عقديًا واقتصاديًا وأمنيًا.

إن المنهج الذي تحركت به طالبان لتحقيق النصر يملي عليها أن تقدم نموذجًا فريدًا جديدًا يناسب العصر للدول الإسلامية وللعالم أيضًا، نموذجًا ينسجم مع مذهبها الفقهي وموروثاتها الثقافية وعاداتها وتقاليدها التي لا تخالف دينها، فالإسلام يحمل للعالم بذور السعادة والتنمية التي إن روها بالإيمان لساد العالم الأمن والآمان، ولا يصح للإمارة ولن

[47] سبق وأسقطوا منظومة الاتحاد السوفيتي، وبسببهم بعدت أواصر الصلة داخل حلف الناتو، وبسببهم أيضا تعاني أمريكا من داخل منقسم على نفسه، وأمر منظمة الأمم المتحدة أهون من كل ذلك.

يكون -إن شاء الله- أن تخدعها خطط الإلهاء والإغواء الغربي اللاأخلاقية.

ولكنّ هل ساسة العالم وقساوسته وباباواته ورهبانه البوذيين وغيرهم يقبلون بالحق؟، أم إنه النفاق والعداء وكراهيتهم الحق؟، والخوف على المصالح والمكاسب الشخصية، ولهم على ذلك سلف في قيصر الروم -وغيره كثير- قبل أربعة عشر قرنًا حينما ضن بملكه مقابل إسلامه- في مشهد مسرحي بامتياز:

[وكانَ ابنُ الناطُورِ- صاحبُ إيلياء وهِرَقْلَ- أسْقِفَ على نصارى الشامِ يُحَدّثُ: أنَّ هِرَقْلَ حين قَدِمَ إيلياءَ أصبحَ خَبِيثَ النفسِ، فقالَ بعضُ بطارِقَتِهِ: قد استنكرنا هيئتَكَ؟! قالَ ابنُ الناطورِ: وكانَ هِرَقْلُ حزاءً ينظرُ في النجومِ، فقالَ لهم حين سألوه: إني رأيتُ الليلةَ حين نظرتُ في النجومِ مَلِكَ الختانِ قد ظَهَرَ، فمن يختتِنُ مِن هذه الأمة؛ قالوا: ليس يختتنُ إلا اليهودُ. فلا يهمنكَ شأنُهم، واكتب إلى مدائنِ مُلكِكَ فيَقْتُلُوا من فيهم من اليهودِ! فبينما هم على أمرِهِم؛ أُتِيَ هِرَقْلُ برجل أرْسَل به مَلِكُ غسانَ يخبرُ عن خبرِ رسولِ اللهِ ﷺ، فلما اسْتَخْبَرَهُ هرقلُ؛ قال: اذهبوا فانْظُروا أمُخْتَتِنٌ هو أم لا؟ فنظروا إليه، فحدثو أنه مُخْتَتِنٌ، وسأله عن العرب؟ فقالَ: هم يَخْتَتِنونَ، فقالَ هِرَقْلُ: هذا مَلِكُ هذه الأمة قد ظهر. ثم كتبَ هِرَقلُ إلى صاحبٍ له بِرُومِيَةَ، وكان نَظِيرَهُ في العلمِ، وسار هِرقلُ إلى حِمْصَ، فلم يَرِمْ حِمْص حتى أتاه كتابٌ مِن صاحبِهِ يوافقُ رَأْيَ هِرَقْل على خروجِ النبي ﷺ، وأنه نبي، فأذِنَ هِرَقْلُ لعظماءِ الرومِ في دَسْكَرَةٍ له بحمصَ، ثم أَمَر بأبوابها فغُلقتْ، ثم اطلع، فقال: يا معشر الروم! هل لكم في الفلاحِ والرشدِ [آخرَ الأبدِ]، وأن يَثْبُتَ مُلْكُكُم؛ فَتُبايِعوا هذا النبي؟ فَحَاصُوا حَيصَةَ حُمُرِ الوحشِ إلى الأبوابِ، فوجدوها قد غُلقَتْ! فلما رأى هرقلُ نفرتَهم، وأيِسَ من الإيمانِ؛ قالَ: رُدوهُم علي، وقالَ: إني قلتُ مقالتي آنفًا أختَبِرُ بها شِدتَكُم على دِيْنِكُمْ، فقد رأيتُ [منكم الذي أحببتُ]، فسجدوا لهُ، ورضُوا عنه، فكان هذا آخر شأنِ هِرَقْلَ] البخاري.

***

أحد نماذج الحرب اللاأخلاقية على الإسلام أيضًا والتي يدعمها الغرب، ويصمت عنها الشرق؛ ويتمنى أن تنتهي بسرعة عملاء العالم الإسلامي والعربي: هي عملية وأد الإسلام في الهند وما حولها، فأمثال "مودي وسيدة مينمار" وغيرهما ما كان لهم أن يعتدوا على المسلمين دون ضوء أخضر من حكام الخليج ورضا من باقي المنظومة العربية والإسلامية، دول الخليج التي تحاصر شعبًا مسلمًا لأن أحد وزرائه انتقد سيد الرياض، أما بيوت الله وعباده بالهند فلا بواكي لهم، فلو كان لدول الخليج رد فعل مشابه على الهند كما لو هددتها بترحيل الهنود العاملين بها لقبل الهندوس أيدي المسلمين في الطرقات، لو رأى مودي الغضب في وجه الحكومات الإسلامية والعربية لما رفع عينيه في وجه أي مسلم بالهند، لكنه رأى أكبر معبد للهندوس في الإمارات، فمودي يهدم المساجد ويقتل المسلمين وحكام الإمارات يبنون له معبدًا ويوظفون الهندوس!!، إنه الانحطاط الأخلاقي والانتكاسة الفطرية لحكام الخليج وبقية منظومة الحكومات العبثية، ولو رأى "مودي" وغيره عدم الرضى الحقيقي في عين الغرب لبذل الوسع في تأمين حياة المسلمين ولكنه النفاق الغربي الذي تخالف فيه الأفعال الأقوال، وهل سيرى مودي من حكام الصين شيئًا ؟!؛ فما حدث ويحدث للإيجور لا يقل سوءًا مما يحدث في الهند.

***

أهم سبيل لمواجهة الحرب اللاأخلاقية هو العلانية والاستئساد بالشعب، يلجأ العدو إلى السرية في التفاوض والتهديد، ضعاف النفوس يفضلون أن يبقوا الأمور بعيدة عن الشعب لأنهم ليسوا معه على وفاق وردات فعله غير مضمونة، وبالتالي يرضخون لضغوط وتهديدات القوي، أصحاب الحق لا يدسون رؤوسهم في التراب ويسارعون ويخبرون شعوبهم، فكثير من الحلول العملية والحاسمة تجدها عند الشعب، أتذكر أول مظاهرة

جامعية خرجت لكلية التجارة في شبين الكوم؛ لقد تم ترتيبها من غرفتي حينما زارني رئيس اتحاد الطلبة وأخبرني أن إدارة الكلية لم توافق على وضع فاصل مناسب بين الامتحانات -وهو كان أهم طلب للطلاب وقتها- وهددوا بعقابه، فقلت له علينا أن نخرج في مظاهرة؛ الليلة -إن شاء الله- تتفق مع عدد من الطلبة للتحريض على التظاهر، وغدًا -إن شاء الله- عندما تدخل إلى المدرج وتقول للطلبة بغضب أنك بذلت ما تستطيع من أجل أن تقبل الإدارة بمطالبنا لكنهم تجاهلوا طلباتنا ورفضوا كل شيء، والحل عندكم أنتم، في هذه اللحظة يصيح واحد من الشباب -المتفق معهم- نخرج مظاهرة والبقية تقول يلا يا رجالة؛ فيقفوا جميعا ويتحركوا للخارج وإن شاء الله يخرج معنا البقية، وقد كان بفضل الله تعالى حتى خرج معنا أغلب كليات الجامعة، كنا في مطلع الشباب وكانت أهدافنا بسيطة لكن تصرفاتنا كانت ثورية وعميقة، ويرجع الفضل لرئيس اتحاد الطلبة الذي لم يبقي حوار الغرف المغلقة سرًا واستأسد بإخوانه الطلاب، الرضوخ للحوارات السرية في الغرف المغلقة هو بيع طويل الأمد، الاستئساد بالشعب هو الطريق الأمثل للتغيير، التستر على المتنفذين لا ينجيك من عقابهم ستكون كبش محرقة عند أول غصة.

لقد نجح مارتن لوثر في حركة الإصلاح ضد انحرافات الكنيسة؛ لأنه جعل الصراع مع الكنيسة علنيًا واستأسد بالشعب، فعجزت الكنيسة عن اغتيال يؤدي إلى ثورة أو تحويله إلى مسيح جديد.

***

من أشد الخطط النفسية اللاأخلاقية التي تمارسها الحكومات؛ خاصة حكومة الرياض هي: أن تصيب عدوك بعقدة الذنب، ففي نظام انقلبت فيه الموازين؛ يتم إظهار الجزار كضحية وشهيد لإسقاط الخصم في وهم الذنب، وحتى الشعب يسقطوه في فخ العاطفة، كثير من جلاوزة السلطة من جزاري الشرطة والجيش والمخابرات عندما يسقطون

صرعى في عمليات الشباب المسلم الراغب في التغيير، تحولهم السينما والتلفاز ومنافقي الإعلام إلى ضحايا، ويظهرون زوجاتهم وأطفالهم المتنعمين في حياض السلطة بأنهم: كأرامل وأيتام لا حول لهم ولا قوة، وأنهم يعيشون مأساة فقد العائل الوحيد، وإن حياتهم ستنقلب رأسًا على عقب لولا تدخل الرئيس أو الملك لدعمهم والوقوف إلى جانبهم، أما الطرف الآخر فيظهرونه بلا قلب أو ضمير أو رحمة أو أخلاق، وقد يظهرون أسرته بأنها لا تقل عنه غشمًا أو أنها نفسها إحدى ضحاياه، هذا هو الإرهابي المفتقر للدين؛ ورحم الله [هشام العشماوي] فقد كان أمة في رجل.

الأسوء من مؤسسات النظام الإعلامية هم علماء السوء الذين يتاجرون بدينهم، وأثرهم قاتل على الشباب حيث يعبثون بنفسيتهم ويصمونهم بالمذنبين العصاة ... إلخ قاموس إخوان الدجال "خالد الجندي" ومنافقي بن سلمان، فمن يسيطر على الإعلام ودعاة السوء يمكنه تزيف الواقع والوقائع، ويعبث بذاكرة الشعب ويسوقه حيث يريد، ولا علاج لذلك إلا بالعلنية في الصراع وفضحهم وفضح نفاقهم، هؤلاء الذين يعيشون حياة الترف والبذخ على حساب شعب كامل تم إفقاره من أجل رفاهيتهم لا بد من سؤالهم: من أين لكم هذا؟.

***

هل الأمريكان أخلاقيون؟ أم لأنهم يمتلكون القوة العسكرية احتكروا الأخلاق وفصلوها على مقاسهم؟ وهل على البشر أن يجبروا على حق القوة أم يتمسكوا بقوة الحق؟، للأسف كثيرون ينبهرون بحق القوة ويخضعون لها لأسباب متعددة، ورغم قلة أتباع الحق إلا أنهم أقوياء به، ولطالما كسبوا معاركهم بفضل تمسكهم الأخلاقي بالحق والحقيقة، ومنهم الإمارة الإسلامية وتنظيم القاعدة والعلماء والدعاة المخلصون والمجاهدون حول العالم وجل شعوب أمتنا الإسلامية، وهذا هو التحالف الإسلامي الحقيقي الذي

يجب أن نولي له عنايتنا واهتمامنا، وصراعنا مع الباطل وأعوانه لن يقف حتى يرث الله الأرض وما عليها، وحينما تتحرر الأرواح من أبدانها سنحيا كما يحلوا لنا، فاحيوا إذن وفق مراد الله منا؛ بعيدًا عن إغراءات الحياة المفضية للانتكاسة البشرية.

***

الأمريكان يستخدمون الأخلاق كسلاح لجذب الانتباه إلى قضاياهم وصرف الانتباه عن أفعالهم المشينة، فهم يقدمون أنفسهم كضحايا بحيث يتحول المعارض لهم كشرير عديم الإحساس، وقد يتلاعبون -هليوديا- بالتفوق الأخلاقي حتى نخجل من معارضتهم، إنها حرب تلاعبية لبعض الأطراف ونزيهة لأحد الأطراف:

- إنها تلاعبية للطفيلين الانتهازيين الذين يعيشون على مقدرات غيرهم، إنها استراتيجية ماكرة أشبه بالتنويم المغناطيسي للعقول وهي لا تتعلق بالصواب والخطأ ولا تعكس حقيقة أخلاقهم فهم مستعدون للتخلي عن إنسانيتهم وإتلاف كل شيء من أجل الحصول على ما يجعلهم أكثر ثراء وأكثر قوة، ويحولون العالم إلى سادة وعبيد.

- للطرف الأخر نزيهة للمؤمنين بعدالة قضيتهم وحقهم في الحياة وفق معتقداتهم، انهم يضحون بأرواحهم من أجل حرية غيرهم، إنهم يُشعرون الآخرين بالذنب وقلة الأخلاق.

جميع الأطراف الذين يستخدمون استراتيجية [الحرب الأخلاقية] يؤثرون على الرأي العام وعلى المستوى الشعبي عبر وسائل الإعلام وسبل التواصل، المؤمنون منهم يستخدمونها بنزاهة، أما المراوغون فيتلاعبون بها ويكيفونها كما تفعل أمريكا وفرنسا وغيرهم مع أي قضية، فالهوة عميقة بين ما يدعون إليه من حرية وديموقراطية وفي نفس الوقت يتآمرون على ثورات الشعوب، بل يستضيفون الطغاة ويلبقونهم [بدكتاتوري المفضل]، أو يبيعون لهم أسلحة وطائرات تمنح الحياة لمصانعهم، فهل هناك نفاق أبين من هذا.

في القرن الماضي نجح كل من المحاربين في الجزائر وفيتنام من ربح الحرب العسكرية لأنهم ربحوا الحرب الأخلاقية، وتمكنوا من الحصول على دعم وحشد دولي وداخلي في فرنسا وأمريكا أدى إلى عزلها فتمكنوا من تقليص الدعم الداخلي لشعب العدو للحرب، أطلق "بوفر" على هذه المناورة اسم المناورة الخارجية [فهي تدور على أرض العدو وليست في ميدان القتال؛ ومستهدفة شعبه] وهي مناورة سياسية إعلامية تعبر عن الحرب الأخلاقية، وليس بعيدًا -إن شاء الله- عن ذلك اليوم في مطلع هذا القرن نجاح المجاهدين في "أفغانستان ومالي" في إجبار فرنسا وأمريكا على الفرار [انسحاب] من كلا البلدين، فالاقتصاد في البلدين تهاوى تحت ضربات المجاهدين وحليفهم الإلهي فيروس كورونا.

***

للنجاح في الحرب الأخلاقية عليك أولًا بالسيطرة على العواطف [الغضب....]، الخطوة التالية لا بد أن تكون هجومية، ولا بد فيها من كشف نفاق العدو ومتاجرته بالأخلاق بالمقارنة بين أقواله وأفعاله لبيان حجم جرائمه واستغلاله، وفي مسار موازي العمل على رفع الوعي للشعب وبيان عدالة قضيتهم وأحقيتهم بحياة أفضل متمردين على المحتل أو النظام أو من يحاول تشويههم، هذه حرب لا يصلح لها السرية ولا اللون الرمادي إنها حرب بين الصواب والخطأ [الأبيض والأسود]، في هذه الاستراتيجية لا يمكن السماح لعدوك أن يكون هو البادئ؛ بل نحن لأننا نحرر أو نفتح البلاد لنحرر الإنسان لا لنحتلها.

الدفاع الأمثل ضد هذه الاستراتيجية هو ألا تمنح عدوك هدفًا وأن تنسجم أفعالك مع أقوالك لتحافظ على سمعتك الطيبة، تحالف دائمًا مع القضايا العادلة التي ترفع الظلم عن المقهور سواء كانت في الماضي أو الحاضر، تجنب دائمًا الأفعال أو الأقوال التي تحمل

صبغة النفاق، إياكم وفلسفة مخلب القط [أي أن تستخدم غيرك ليقوم لك بالأعمال القذرة؛ لا شيء يبقى مستورًا للأبد]، انتق حلفاءك بعناية واحذر من أي حليف مؤقت [لا ينتمي لنفس عقيدتك] فمع بوادر النصر سينقلب عليك ويحملك أسوء ما فيها، بهذا تُصعب على أعدائك محاولاتهم لتشويهك، وكما قيل الوقاية خير من العلاج فالتمسك بالمبادئ والتحرك بها وعلاج عثرات أتباعك دون مجاملة أو تبرير وبيان نصاعة المنهج وضعف العنصر البشري هذا كله يجعل مهمة الأعداء مستحيلة.

***

في سابقة تاريخية لا لاحقة لها إلى يومنا هذا، كتب الأستاذ محمد قطب في كتابه "رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر": [وفتحت الشام؛ فكان من أمرها أنهم اشترطوا على (أبي عبيدة بن الجراح) أن يحميهم من بطش الروم وطغيانهم مقابل دفع الجزية للمسلمين، فقبل أبو عبيدة الشرط، ثم سمع (أبو عبيدة) أن هرقل يُعدّ جيشاً ضخماً لاسترداد الشام من المسلمين، فقام بعمل لا مثيل له في التاريخ كله؛ إذ ردّ الجزية لأهل الشام، وقال لهم: لقد اشترطتم علينا أن نحميكم، ولقد سمعتم بما يجهز لنا، وإنا لا نقدر على ذلك (أي على حمايتكم حسب العهد بيننا وبينكم)، ونحن لكم على الشرط إن نصرنا الله عليهم، فلما نصره الله عليهم عاد أهل الشام يدفعون الجزية عن رضى وهم يقولون: "أنتم -ولستم على ديننا- أحبّ إلينا وأرأف بنا من أهل ديننا"، ثم دخلوا في دين الله أفواجاً بعد ذلك، وبقي من بقي منهم على نصرانيته، يستمتع بالحماية والأمن وحرية العبادة في ظل الحكم الإسلامي.

ولكن القضية التي تلفت النظر ليست هي قضية "الأرض" التي فتحت بهذه السرعة المذهلة، وإنما قضية "القلوب"! ... بل حدثت عجيبة أخرى لا مثيل لها في التاريخ؛ أن كثيراً من الشعوب المفتوحة نسيت لغتها تماماً، حتى أولئك الذين بقوا من أهلها على دينهم ولم يدخلوا في الإسلام، فصارت العربية -لغة الإسلام- هي لغتهم، وصار النصارى منهم

يؤدون عبادتهم بالعربية، لا بالقبطية ولا بالسريانية ولا غيرها من اللغات التي كانت لهم قبل الفتح الإسلامي، مع أنه لم يقع عمل واحد من أعمال الإكراه لتغيير لغات الناس، كالذي فعلته فرنسا في الشمال الإفريقي مثلاً، إذ لم يرو التاريخ حادثة واحدة في هذا الشأن؛ إنما تعلم الناس العربية عن رضا ورغبة دون إكراه.

هذه القلوب لم يفتحها السيف! فالسيف قد يفتح الأرض، ولكنه لا يفتح القلوب! إنما فتحتها العقيدة الجديدة ممثلة في سلوك واقعي من الفاتحين، وذلك من بين ما تفردت به حركة التوسع الإسلامي عن حركات التوسع التاريخية في القديم والحديث.] أهـ من النقل.

***

بخصوص البلطجة الأمريكية والبلطجة الروسية المقابلة: فأنا أرجو أن تنشب الحرب في أوروبا؛ فهذا من بركات أفغانستان حيث تفككت وحدة كل من غزاها؛ وطمع فيهم كلا من أعدائهم وحلفائهم المتنافسين معهم، و هي فرصة تاريخية تسمح لشعوبنا بالتحرر من حكامها، وفرصة أكبر؛ لنهضة الأمة إن شاء الله حيث ينشغل أعداء الله بأنفسهم.

ماذا وراء أزمة أوكرانيا [2022] إنها أحدث نموذج لهذه الاستراتيجية، فهي عودة لمناخ الحرب الباردة وشيطنة الروس، فأمريكا بايدن بعد إفساد ترامب للانسجام الغربي تهدف من ورائها إلى إعادة السيطرة السياسية والاقتصادية على أوروبا، وتنشيط حلف الناتو، وتوحيد الشعب الأمريكي المنقسم ضد عدو خارجي، فبدون العدو الخارجي تتآكل أمريكا من الداخل، لأنها تفتقر للأخلاق وللرابطة الاجتماعية وللهدف السياسي، ولأنها دولة عنصرية تنحاز لعرق على بقية مكوناتها المتعددة، ولا شك أن الاقتصاد بسبب كورونا يجعلهم يمعنون في الكذب أكثر.

أما روسيا بوتن والتي تندد بالهستريا الغربية والعربية -عملية التهييج في الفضائيات الغربية والعربية فقط- فإنها تهدف من وراء تحركاتها العسكرية إلى تحصيل امتيازات

مرحلية سياسية واقتصادية في أوروبا الشرقية والغربية وحوض المتوسط، وعسكريًا بإبعاد الناتو عن حدودها، ولن تتوقف روسيا حتى تقوم بتكرار ما فعلته بالقرم، قضمة قضمة ثم استفتاء على التبعية، وفي ظل مناخ موات لبوتن فلن يتأخر عن القتال، فأوكرانيا[48] كانت حجر زاوية في الاتحاد السوفيتي الهالك وهي حجر زاوية لا غنى للإمبراطور بوتن عنه في روسيا الجديدة، فبوتن يسعى لإعادة الهيبة والاحترام لروسيا حول العالم كقطب منافس على سيادته.

ومن الاحتمالات لهذه الضوضاء: تمرير مشروع ناتو الشرق الأوسط ليتولى ضرب التيارات الإسلامية حال انشغال الغرب عن حماية حكام المنطقة بروسيا والصين.

وهناك احتمال آخر؛ فقد يخرج الأمر عن السيطرة لأسباب عدة: على رأسها شخصنة القضايا بالتهجم الشخصي المباشر على القادة (بوتن تحديدًا) .. أو الإغراق في النصر حتى يهدد وجود الخصم .. أو تجاوز النزاع على الاقتصاد ومناطق النفوذ حدود الجشع .. أو الإذلال المجحف في المفاوضات .. عند ذلك؛ قد تندلع حرب عالمية نووية تذهب بشمال الكوكب وبعض حلفائه في الجنوب خاصة منتجي النفط الذين يمولون الغرب.

إنها إذن حرب لا أخلاقية من طرف وحرب أعصاب من طرف آخر، وسيحقق كل منهما [بايدن-بوتن] مراده لضبابية مناخ الحرب العسكرية، وسيخرج كل طرف مروجًا انتصاره، ولكن، سيعاني من آثار الحرب الأخلاقية اقتصاديًا واجتماعيًا سكان أوكرانيا وروسيا وكل من هم تحت أو بالقرب من نيرانها شرقًا وغربًا، لكننا سنشهد قريبًا عالمًا جديدًا متعدد الأقطاب.

***

[48] بالمناسبة لا وجود لأوكرانيا بدون الروس فهم من صنعوها، وظلت أحد أكبر المزارع للسوفيت، وقد حصلت على استقلالها في 1991 بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، ولطالما كانت الممر بين أسيا وأوروبا، وقد ساهمت في تدمير نابليون وجيشه في 1811 عندما أراد تأديب موسكو.

بسم الله الرحمن الرحيم

احرمهم من الأهداف .. واتركهم يواجهون الطبيعة

26- استراتيجية الفراغ "حرب العصابات"

اعرف نفسك .. شعبك .. جيشك .. أرضك .. مناخك .. مدنك .. تحالف معهم وحولهم إلى أسلحة .. تبخر أنت وجنودك وشعبك ودع حلفاءك يقاتلون دونكم .. اسحب عدوك حيث تؤدي أسلحتك دورها بفاعلية .. كل سلاح منهم سيقوم بواجبه على أكمل وجه.

ضع عدوك تحت ضغوط هذا التحالف: الطبيعة .. السكان .. الحيوانات .. المناخ .. الطرقات .. الأمراض .. الأرض المحروقة .. لا مياه .. لا طعام .. المجاعة .. لا جيش يقاتله .. قوات عصابات تستنزفه .. ووقت يستهلك .. إنه الرعب .. اجعل العدو يطارد أشباحًا في أرض الخوف .. حين يكتشف أنه يسير والموت في ركابه عندها لن يتمادى سيقف وينسحب تحت ظلال الهزيمة والمذلة .. باختصار إنها المواجهة بين عجز القوي ضد قوة الضعيف.

ذهب نابليون لغزو موسكو مع 650 ألف مقاتل فوصل باريس مع 25 ألف نفس مدمرة .. ودون مواجهة حقيقية .. انه انتصار العقل على غطرسة القوة .. إنها فلسفة عدم الاشتباك .. واستراتيجية الفراغ.

***

إنها حرب العصابات حيث تصارع الأمم الضعيفة الأعداء الأقوياء .. ولكن .. وفقًا لقانون الضعيف حيث لا اشتباك تقليدي، وحيث تنطلق المجموعات الصغرى من الظلال وتختفي فيها، تتبخر في الهواء كأنها لم تمش على الأرض يومًا، حيث لا مسرح محدد للعمليات ولا جسم محدد يمكن القضاء عليه، لا مكان لهم لتجدهم رغم أن كل الأرض

مجالهم، يراهنون على الصبر ويرهقون عدوهم بالأرض مقابل الوقت، إن اللاتماس الذي فرضته العصابات أصاب عدوها بالإحباط، وافقدته الرؤية والاستراتيجية التي تحرك بها، ولقد ساهم التطور في مجال الأسلحة والمتفجرات في زيادة الأذى بالجيوش.

تميز الأفغان وأنصارهم على غيرهم في ممارسة هذا النوع من الصراع بأنهم جند الرحمن حيث لديهم المنهج والرسالة التي يدافعون عنها ويقدمونها للعالم فالحرية عندهم في ظلال القرآن وتحت راية الإسلام طلبًا لرضا الله، قال تعالى {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ {193} البقرة، وقال سبحانه وتعالى {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ {14} وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {15} سورة براءة.

***

القادة الذين تتضخم قوتهم العسكرية يفتشون دائمًا عن حرب يسطرون مجدهم بها، إنهم يفتشون دائما عن معركة حاسمة، تسوق عدوهم إلى الاستسلام أو التفاوض على السلام وفق شروط تضمن مصالح المحتل.

في المقابل قائد يعرف عدوه كما يعرف نفسه، ويعرف الاستراتيجية المناسبة لامتصاص زخم هذا المهاجم المهوس بالقتال، ويعرف كيف يستدرجه لحتفه، ويعرف ما يقدمه شعبه وأرضه ومناخه، الأمر لم يقف على المعرفة فقط لقد تم تجربة كل شيء من قبل وأدى إلى نتيجة واحدة، نهاية المتغطرس وكسر جيوشه.

هذه الاستراتيجية تحتاج إلى رقعة أرض وعرة وغير محدودة، ومسرح عمليات لا ساحل له، كما تحتاج إلى ظروف مناخية غاية في القسوة، وإلى شعب وجيش قمة في الولاء والانضباط، هنا غرق العدو أمر مؤكد، راجع الحرب الإسبانية فهي مدرسة.

وحتى مع التقدم التقني في المواصلات والاتصالات تظل هذه الاستراتيجية فعالة إذا وجدت الأمة المنضبطة، والأرض الرحبة أو الوعرة، وطول الوقت، والطقس القاسي، والقيادة الحكيمة، حدث هذا في أفغانستان مقبرة الإمبراطوريات، بدأ بالاسكندر المقدوني فلم يهنأ بمقام فغادر، ثم جاء الإنجليز فسحقوا فلحقهم السوفيت فغرقوا وأخيرًا الأمريكان الذين لم يجدوا بد من أن يتفاوضوا ليخرجوا بسلام، وفي حالة أنهم غدروا ساعتها سيذوقون ما ذاقه "ماكناتن" الانجليزي من ساطور الزعيم "أكبر خان"، أربع إمبراطوريات لم تجد واحدة منهن معركة حاسمة ودفنت أشلاءها جميعًا في فيافي الأفغان، المنطق يقول أن التحرك القادم للمسلمين، وقد كان، وما الثورات وحروب العصابات على أراضيهم اليوم إلا مقدمة لما بعدها إذا أحسن المسلمون إدارة الصراع واستثماره.

***

مشكلة الصراع في المنطقة العربية هي مشكلة قيادة، حيث لا نظير للعالِمَين يونس خالص وجلال الدين حقاني رحمها الله ولا مثيل للمهندس محمود وكمندان خالد رحمهما الله، المجاهد المسلم العربي والأعجمي الذي ناصر الأفغان هو نفسه الذي يجاهد في المنطقة العربية من العالم الإسلامي، ولكنه افتقر للخبرة والاستراتيجية والتنظيم والاقتصاد والسيطرة، وفي بعض المناطق انزلق في هاوية الانحراف، وعلى الرغم من زعمنا أن التربية المدنية الحديثة منحت الناس ثقافة وعلمًا؛ إلا أن التربية القبلية[49] في أفغانستان منحت الناس قادة ودولة، ولا شك أن مدرسة القبيلة وممارساتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية العملية واليومية لها بالغ الأثر في رقي الوعي وإحسان التعاملات والعلاقات بالمجاورين في إطار مجهود جماعي بخلاف المدرسة النظرية البحتة لخريجي الجامعات الذين يتحركون في نهاية المطاف داخل إطار فردي، فلم يتجاوز خرجي الجامعات كونهم موظفين

[49] وهذا الأمر -التربية القبلية- أيضًا مشاهد في اليمن والصومال ومالي وغيرها من الساحات التي انتشر فيها الجهاد، فهي -إن شاء الله- على درب النجاح سائرة.

يعملون بدوام؛ أسرى لهيمنة وفلسفة الدولة حيث العبودية الحديثة، في حين أن أبناء القبائل أحرار منذ نعومة أظافرهم ولا سقف يحد من رؤيتهم؛ وأذهانهم أكثر صفاءً وأسرع تعلمًا خاصة إذا تعلق الأمر بالصراع، والمقارنة تطول وهي ليست الغرض هنا، ولكن القصد أن القيادة التي تصدرت المشهد في المنطقة العربية لديها العاطفة والرغبة ولكنها افتقرت للخبرة والاستراتيجية والتنظيم والسيطرة والاقتصاد، وتاهت في مناورات المخابرت الإقليمية والدولية، هكذا بدا الوضع في حوض البحر الأبيض المتوسط.

المقصود بكلمة القادة والقيادة: هم المسؤول وهيئة أركانه وشوراه وقادة المفاصل، الذين يتخذون القرار وفق دراسة وتباحث جماعي، أما إن كان القرار فرديًا فعمرهم من عمر القائد.

***

كان على الألمان أن يحاربوا على جبهتين: أولاهما ضد الجيوش السوفياتية في الأمام، وثانيهما ضد الأنصار السوفيت المتوغلين خلف الخطوط، فوراء الخطوط الألمانية كانت مستودعات الذخائر تنفجر، وتخرج القطارات عن سككها، كما أن جنودًا عاديين كانوا يقعون في الكمائن، وتقطع المواصلات وتتوقف، وتضرم النار في المستودعات، وكان الأنصار يظهرون في كل مكان، فقد قاموا بعمليات برمائية، وهبطوا من السماء، وخرجوا من كهوفهم المنتشرة في الجبال، أو من مخابئهم المخفية في المستنقعات، وعندما كانوا يشتبكون مع الألمان كانوا يتركون أحيانًا قتلاهم وجرحاهم، كما يقع منهم في بعض الأحيان بعض الأسرى، إلا أن الباقين كانوا يختفون ثم يعودون أكثر عددًا وتسليحًا. [حرب الأنصار السوفيتية].

***

مازالت الثورات أقدر على خلع الحاكم المحلي الظالم، ومازالت حرب العصابات هي

الأقدر على إخراج المحتل الغاشم، أما الحاكم العسكري المحلي الذي وصل للحكم من خلال انقلاب عسكري لإزالته نحتاج إلى مزيج سحري بين الانتفاضة الشعبية والعمل السري وحرب العصابات، وكل هذا بحاجة إلى القيادة والتنظيم والاستراتيجية والوقت والسيطرة والوعي والشعب والحليف والأرض والثائر العقائدي والأمن والاقتصاد والسياسة والتكتيك.

لمزيد من التفصيل حول حرب العصابات اختر أي من الكتب التالية وادرسه بصبر وتركيز: "فن الحرب - صن تزو" - "حرب المطاريد - مصطفى حامد" - "تنظيم حرب العصابات - أبو مصعب السوري"- "سلسلة الصراع ورياح التغيير - محمد صلاح الدين زيدان" - "فخ الدب - الجنرال محمد يوسف" - "أعمدة الحكمة السبعة - لورانس" - "حرب المستضعفين - روبرت تابر" - "فيتنام قصة حرب عصابات - ويلفرد ج. بورشيت" - "مقالات ماو تسي تونج" - "الأعمال الكاملة - تشي جيفارا" – "أمير حرب العصابات: القصة غير المعلنة – جورجي جيير".

بسم الله الرحمن الرحيم

اختر حلفاءك بعناية .. وكن معهم كما تحب أن يكونوا معك

27- استراتيجية التحالف

الحليف؛ يتحالف معك وعليك.

لا يتحالف القوي مع الضعفاء .. ربما يدعمهم بحسب تقاطع المصالح .. فرصة الضعيف في عالم الأقوياء أن يكون ثائرًا مقاتلًا واعيًا ضد عدو تتقاطع فيه المصالح .. ساعتها قد يرغب بعض الأقوياء في تقديم الدعم .. ويدعمونه بمقدار رغبتهم في إضعاف خصمهم وليس بمقدار حاجة الضعيف .. والدعم بقدر الإنجاز؛ ولا يوجد دعم مفتوح بل لكل شيء أجل .. وأجله تحقق مصالح الداعم؛ بعدها كل شيء يبدأ بالتناقص حتى يزول .. وفي مسار مواز تبدأ مرحلة الاستجداء والوصاية والتحول إلى أداة.

في عالم انتهازي؛ الأقوياء هم من يملكون القوة العسكرية ويتحكمون في الاقتصاد .. الصداقة والعداوة كلاهما يخضع للمصالح .. وهناك دائمًا دول تدفع أو تقدم خدمات مقابل حماية الأقوياء .. فالمال وتقاطع المصالح يمثلا فرص بقاء للبعض .. هذا ما تفعله الدول الغنية ماديًا والضعيفة عسكريًا بثروتها .. المال لا يمنح الندية؛ يمنح فقط حق البقاء .. ويحولهم إلى أدوات بيد الأقوياء .. حيث يمكن استخدامهم كقوات لحفظ السلام .. وسطاء ترغيب وترهيب .. وفي بعض القضايا يتحولون من وسطاء إلى عمال نظافة.

هناك كلمات لا تحتاج إلى تعريف وإنما إلى توصيف واقعي: الحليف .. الداعم .. الحامي .. إنه عالم انتهازي واستغلالي لا أخلاق له.

سيظل الخيار الأمثل للمجاهدين هو الالتحام مع شعوبهم ومع الجماعات التي تنسجم معهم حركيًا .. ولكي نحسن صناعة هذا النسيج لا بد من رفع وعي الأمة وفق موروثاتها الدينية والثقافية وعاداتها وتقاليدها الاجتماعية .. والفرصة متاحة في عالم تعددت وتنوعت

فيه أسباب التواصل .. لا حجة لأحد؛ فحتى الأسير لا تحجز جدران الأسر صدى كلماته ولا تمنع ضخامة أبوابها تسلل حروفه.

***

الصمود والنجاح في الحياة يعتمد على قوة شبكة العلاقات، الموهبة تحتاج دائمًا إلى فرصة، والفرص يمنحها المعارف والأصدقاء وكلما تنوعت شبكة العلاقات كلما زادت فرص النجاح، في حرب العصابات كما في الحياة لا ينجح إلا الشجاع الموهوب؛ الذي يتحالف مع البشر والمحيط، ويحسن استثمار الشبكة المحيطة به للإيقاع بعدوه، يستثمر إيجابياتها ويتحاشى سلبياتها، فالأرض الوعرة هي صديق مثالي للعصابات إذا استخدمها كنقطة ارتكاز وانطلاق، وقد تؤدي إلى عزلته إذا اكتفى بكونها نقطة هروب وكمون، الليل والمناخ السيء رفقاء أوفياء لعمليات التسلل والتملص بعيدًا عن عيون العدو الحقيقية والتقنية؛ ولا يكتفى بهما في الاستراحة والاسترخاء، كما أن الأنهار والبحار والغابات تعمل كحليف رائع للمستضعفين في أعمال الالتفاف لمفاجأة العدو الغافل عن حراستها، في حرب العصابات يحول القائد الموهوب البيئة المحيطة إلى حليف قوي يمكنهم من النكاية بالعدو ويمنع عنهم الخطر، وتمنحهم الوقت الكافي للتحضير للعمليات، الأرض الوقت المناخ السلاح؛ الحليف الأول في الحرب.

***

عندما ذهبت أمريكا للحرب على أفغانستان من أجل استئصال كلا من حركة طالبان والقاعدة أخذت معها تحالفًا من [48] دولة، في حين؛ لم يقف مع الإمارة الإسلامية والقاعدة إلا الشعوب المسلمة، المهم في التحالف النوع والكيف لا الكم، في غضون عدة سنوات انقلبت رياح الحرب لصالح الإمارة الإسلامية وبدلًا من القضاء على القاعدة أصبح للقاعدة انتشار على مساحة أرضية أكبر من مساحة الولايات المتحدة الأمريكية

نفسها، من شبه القارة الهندية شرقًا إلى المغرب العربي غربًا ومن أرض الرافدين وبلاد الشام ووسط آسيا شمالًا إلى الصومال جنوبًا، الحملات الأمريكية وحلفائها على العراق وأفغانستان والشام واليمن وليبيا والساحل لم تجد نفعًا، لا تتحقق الهزيمة إلا عند التوقف عن القتال؛ والأمة لم تتوقف، في بضع سنين تبين فشل الحملة الأمريكية على العراق، وبعد عشرين عامًا من الجهاد المبارك هُزمت أمريكا وحلفاؤها -[48] دولة- في أفغانستان، التحالفات تعتمد على النوعية والكيفية لا الكمية، هذا النصر العظيم يسجل للأمة الإسلامية وأبنائها البررة الذين استجابوا لنداء الدفاع عن الدين والعرض والنفس والعقل والمال.

أسوء التحالفات ما بني على العاطفة والمصالح، كثرة الحلفاء كارثة لأنك تتورط في حروبهم، والتحالف مع الأقوياء نوع من التبعية وفيه ذل واستعباد، التحالف مع من يبدون ودهم لا يعني أنهم أوفياء، أفضل التحالفات وأقواها وأكبرها أثرًا ما بني على العقيدة والانتماء، أمتنا تحتاج إلى أمرين الوعي والسلاح، وحينما ينضج[50] الوعي بالشكل الكافي سنبصر أبطال أمتنا في كافة ميادينها، قال عليه الصلاة والسلام: «مَثَلُ أُمَّتِي كَالْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ».

***

بمقدار ما تدفع نقدم لك الحماية؛ انتهى زمن الحماية بالمجان، خلاصة ما قاله ترامب لجميع شركاء أمريكا، لعله الرئيس الوحيد الذي فهم التحالف على أنه استثمار مادي سيء؛ فأمريكا تحولت في عهده من دولة إلى شركة أمن وتحول من رئيس إلى محصل للأموال

[50] للأسف لا زالت بعض الحركات النفسية والشخصية تتسبب في الانشقاقات والانقسامات كما شهدنا في كل من العراق وسوريا؛ وما تبع ذلك من انتكاسات فكرية واجتماعية وعسكرية، وإلى أن تنضج حركات التغيير في الأمة سنظل نعاني من جموح القيادات الشابة والغوغاء المصاحبين لها، ورحم الله عبد الله بن سلام ﷺ حين قال للناس المقتحمين على عثمان ﷺ: لأن رفعتم عليه السيف لا يوضع عنكم إلى يوم القيامة.أهـ، فالإنشقاقات يلد بعضها بعضا.

[بلطجي]، لم يكن ذكيًا بالقدر الكافي ليفهم جوهر التحالف ونقاط الالتقاء والشراكات وحتى نقاط الفراق، إنه مجرد بلطجي [محصل أموال لليهود] وصل لسدة الحكم، جاهلًا بكل أساليب السياسة والدبلوماسية الانتهازية المبنية على المصالح المتبادلة والاستثمارات مقابل الخدمات.

حينما تلتقي إرادات الساسة في حلف ما فإنهم يلتقون لعدة أهداف محل اهتمام مشترك تمثل نقطة التقاء، المسائل الأدبية والعقدية لا تمثل نقطة لقاء وإنما هي لتزين الحلف ولخداع الشعوب ودغدغة مشاعرهم، الحلف العقدي لا يكون إلا بين أبناء الأمة المجاهدين وأمتهم، إنه نموذج الولاء والانتماء والحب الأُسري بلا مقابل أو شروط.

نقطة اللقاء قد تكون في ظن الحليف الضعيف هي القضاء على عدو مشترك، أما عند الحليف القوي فهي إضعاف العدو فقط، إن لفظ إضعاف العدو هو توصيف دقيق وواقعي لهذا التحالف، وبالتالي يعطي الحليف المستضعفين[51] بقدر حاجتهم لإضعاف العدو لا بقدر ما يرغب المستضعفون، فالحليف السياسي لا يمكن أن يعمل على تقوية جاره الجديد لأن المستقبل متقلب، وعادة ما يطلب الحليف في مقابل الدعم خدمات مستقبلية كامتيازات اقتصادية أو خدمات وتبعية سياسية، وحتى عسكرية، أو تنازل حدودي، فالعمل السياسي أساسه الابتزاز لا الأخلاق.

***

المستضعفون يجب أن يكونوا على درجة من الوعي لإدراك حيل ومتقلبات السياسة،

---

[51] قال تعالى: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا {75} .... {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا {97} إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً {98} فَأُوْلَـئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا {99} سورة النساء .... قال تعالى: {وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {26} سورة الأنفال.

إن بعض الدول تتحالف مع المستضعفين وتتحالف عليهم في نفس الوقت، فالحليف لن يمنح دون مقابل، ولن يقوي خصمًا مستقبليًا بل يبقيه مقيدًا، ولن يقضي على العدو بل يبقيه ضعيفًا، ليشغل كلا الجارين ويبقى مستفيدًا، فالحرب وطولها يشكلان دخلًا اقتصاديًا رائعًا للحليف سواء لسلب المواد الخام أو لتصريف المنتجات وفي ظل مناخ الفوضى لزراعة المخدرات، هذا ما قامت به أمريكا في أفغانستان، لا أخلاق للتحالفات بل استثمارات، وأيما تكون نتيجة الصراع في أوكرانيا[52] اليوم؛ فنهايته استغلال لثرواتها في حال انتصار الروس أو مثقلة بديون إعادة الإعمار في حال انتصار الغرب؛ الذي ستحظى دوله بحصص استثمارية بقدر مساهمة كل حليف في الحرب، والخاسر الأكبر اليوم وغدًا هو الشعب الأوكراني.

***

ولهذا فإن الحليف الأكثر خطرًا على المستضعفين هو أنظمة الحكم الدولية والإقليمية، حيث العلاقة محسوبة بدقة شديدة؛ وفي اللحظة التي يشكل فيها مستقبل المستضعفين خطرًا على الحليف، أو تصبح تكلفتهم أكبر من الفائدة العائدة، أو أن العدو المشترك ضعف ويمكن التفاهم معه، أو يصبح عبء تحملهم تهديدًا أدبيًا للحكومة داخليًا وخارجيًا، أو أن المستضعفين فشلوا[53] في مهمتهم، هنا تأتي نقطة الانفصال.

[52] ستمثل دروسًا مفيدًا سواء في السياسة أو الحرب، فأوكرانيا اليوم وتحت سلطة رئيس يهودي "زيلينسكي" دمر بلده وأرضه وشعبه في حرب استنزاف طويلة بأمر ودعم أمريكي، حرب تستنزف كلا من روسيا وأوروبا، وتعمق حاجة أوروبا أكثر لحماية أمريكا، ويبقي قرارها السياسي خاضعًا للوصاية الأمريكية!!.

[53] عندما تلوح في الأفق بوادر هزيمة حركة التغيير يبدأ الحلفاء في التخلي عنهم واحداً تلو الآخر، فلن يظل الحليف في خصومة طويلة مع خصم يمكن التفاهم معه ويحقق من وراء ذلك مكاسب لدولته، ليس هناك ما يدعوا للاستمرار في دعم عناصر لم تحقق تقدما في صراعها السياسي والعسكري، من هنا نفهم التقلبات في الموقف التركي، ونستشرف مستقبل المعارضة السياسية المصرية، فلن يدوم توتر العلاقة مع مصر في مقابل فشل مساعي المعارضة؛ هل سيمثل ذلك إشكالية أخلاقية لتركيا؟!، متى كانت الأخلاق أحد عناصر السياسة؟!، النموذج التركي الذي ناور بالدين والإرث العثماني؛ يستدعي الدين والتاريخ عند الحاجة، ويلقي كل ذلك وراء ظهره عند الحاجة، بل يذهب أبعد من ذلك؛ فهو يقتل المسلمين بمسيراته في الصومال في حرب تصب لصالح الغرب، واليوم يقدم للنظام المصري تنزلات لإعادة العلاقات

عادة ما تكون نقطة اللقاء هي نقطة الانفصال [الطلاق السياسي] ، لأن الهدف الذي اجتمعوا عليه قد اكتمل أو بالأصح ضعف خطره، ومن الصعب أن تكون نقطة الطلاق هي نقطة عداء لكنها نقطة خصام، الطلاق السياسي هو طلاق رجعي؛ شهور العدة فيه لا تنتهي والعلاقة تستمر في أضعف صورها، المستضعفون يعملون على كبت مشاعر الضيق والتأفف من الحليف لممارسته الاستغلالية أثناء الحرب، وبعدها، إنها الحاجة التي تجعل من المصالح محور العلاقات، السياسة ليس فيها أبواب موصدة وأبوابها الخلفية كثيرة ومفاتيحها بيد أصدقاء ومعارف الطرفين [رجال الأعمال].

***

نموذج التحالف في الحرب السوفيتية على أفغانستان:

قاد العلماء حركة المقاومة ضد الاتحاد السوفيتي في أفغانستان، استدعى هذا أن تستخدم أمريكا حاكم الرياض كواجهة تخفي أهدافهم؛ لما يمثله حاكم الرياض من بعد عقدي بسبب تسلطه على مقدسات المسلمين بالحجاز [مكة المكرمة والمدينة المنورة]، فهو واجهة جيدة لجهاز المخابرات الأمريكية، فسخروه بكامل طاقته لتلبية الأمر الأمريكي، فبدأ بالمنابر الإسلامية لتوضيح حقيقة الخطر السوفيتي على الأمة الإسلامية، وما به من حقد على الإسلام والمسلمين، ولم يقصر الخطباء والوعاظ فألهبوا حماسة الناس للجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، وحشدت المخابرات السعودية طاقتها وعناصرها، فوصلت مبكرًا لساحة بشاور الباكستانية، وعملت على تنظيمها لاستقبال الأموال والشباب، وكان جهاز المخابرات الباكستانية قد رتب قبلهم الساحة الأفغانية، والتقى الجهازان على أمر قد قدر، وتحت المظلة الأمريكية، تخطيط أمريكي بنكهة باكستانية بتمويل سعودي، كان

معها ومع حلفائها العرب، هذا درس لكل المستضعفين: (الساسة رغم قدراتهم على الإيحاء والتمثيل فلن يعدوا قدرهم، فلا دين لهم إلا مصالحهم، أما نداءات الماضي لا تعدو كونها إرث مكسور؛ يستدعى ليُحكم المناورة والخداع).

هدفهم العام: [إضعاف روسيا وإخراجها بشكل لائق من الحرب، عدم تمكين المجاهدين من الاتحاد وتعميق الخلافات بينهم، عدم حسم الحرب عسكريًا وأن الحل يجب أن يكون سياسيًا لخلط الأوراق وضمان التبعية، وتشكيل حكومة مشتركة بين الشيوعيين والعلمانيين والإسلاميين، القضاء على التواجد العربي بعد الحرب، عدم تصدير التجربة، وباختصار التأكيد على أن الجهاد قادر على التدمير لا على البناء، وأن مرحلة وجودهم انتهت والمرحلة القادمة للساسة لا للمقاتلين، وبهذا الشكل لا يحقق المجاهدون إلا أهداف الحلفاء ويخسروا كل شيء، وعلى المستوى الإسلامي تصاب الأمة بخيبة أمل وتفقد الثقة في إقامة دولة عن طريق الجهاد وبقوة السلاح]، علق على ذلك العميد محمد يوسف صاحب كتاب فخ الدب وأحد المشاركين في الحرب بقوله لقد تم انتزاع الهزيمة من بين فكي النصر، يا له من تشبيه عجيب، لقد كان نصر المجاهدين وشيكًا إلا أنهم حالوا بينهم وبين النصر، وحولوا نصرهم إلى كارثة، لقد أحكم الأمريكان الخناق على التجربة الأفغانية من خلال وكيليه، أفسد التمويل السعودي الضخم والمهول عددًا من القادة الأفغان، كما أفسدت باكستان المجهود العسكري بتحكمها في شرايينه، وأفسدوا جميعهم متعمدين الحوار الأفغاني الداخلي [الجركا]، ورغم ذلك حقق الجهاد الكثير من أهدافه المباشرة وغير المباشرة، وشب عن الطوق بفضل الله أولًا ثم من خلال بعض القادة الميدانيين وإخوانهم الأنصار من كافة الدول الإسلامية.

***

نقض لاستراتيجية التحالف:

إنها ملاحظة جديرة بالنظر فيما كتبه المهندس مصطفى حامد "الشيخ أبو وليد المصري" يقول عن جهاد "الإمارة الإسلامية" ضد أمريكا [المقاومة الأفغانية مازالت تتمتع بميزتين هما: "الوحدة" و "انعدام الحلفاء"، ويبدوا أن الأمرين مرتبط أحدهما بالآخر أي

أنهم موحدون لأنهم يفتقدون إلى الحلفاء الخارجيين، ولا شك أن الوحدة الداخلية أهم كثيرًا من وجود حليف خارجي]... [لا ترى الدولة في بداية الأمر أن حركة مقاومة مسلحة تجرى على حدودها سوى فرصة للاستفادة للتمدد في مجالها "الجيوسياسى" وتعاظم دورها الإقليمي على كافة المستويات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وهي تضع منذ البداية حدودًا لتعاملها مع تلك الحركة بما يحقق أقصى عائد ممكن، بعد ذلك الحد توجد نقطة الافتراق، وعادة ما تكون نقطة الفراق هي نقطة العداء ذاتها، وحركة المقاومة وقيادة حرب العصابات من واجبها أن تحدد لكل حليف قريب أو بعيد نقطة الافتراق، وأيضا نقطة العداء، وهي تلي نقطة الافتراق بقليل، بالطبع عليها أن تجد لنفسها بدائل وحلول قبل وصول نقطة الفراق ومن المهارة ألا تدع الأمور تصل إلى نقطة العداء.] أهـ من حرب المطاريد.

في هذا الباب أيضًا يجب الحذر ممن يتوقون للتحالف معك، الذين يقدمون عروضًا مغرية لكن ثمارها غامضة أو بعيدة المنال، خاصة إذا كان تاريخهم مليئًا بنقض العهود ومبنيًا على الجشع والاستغلال دون أن يقدموا مقابلًا، والحذر مطلوب مع أصحاب اللسان المعسول فلا أكثر من عمليات النصب والاحتيال.

***

تتعدد التحالفات وتتنوع وتختلف أسس التحالف، فالحلف قد يكون عقائديًا[54] تجمعه رسالة أو منهجًا واحدًا، كما قد يكون سياسيًا تجمعه مصالح مؤقتة وتفرقه عناصر كثر، ومن الممكن أن يتشكل الحلف بفعل الجوار الحدودي أو كامتداد عرقي...إلخ.

الشعوب هم الحليف الأفضل للمستضعفين حيث يربط بينهما رباط عقدي أو حتى

[54] يمكن ملاحظة البعد العقائدي في خلفية الصراع الروسي مع أوكرانيا والغرب وسنلاحظ أن كل طرف يدعم أتباع عقيدته، روسيا الأرثوزكسية ضد الغرب الكاثوليكي والبروتوستانتي.

إنساني، فهذا النوع من الحلفاء يندر أن تكون له أهداف خفية، فعادة ما يقدم ما لديه دون أن ينتظر مقابلًا أكثر من الشكر والعرفان بالجميل، فكثير من الأطباء وفدوا إلى أفغانستان لأسباب شخصية نابعة من معتقدهم أو إنسانيتهم، وكذلك دعم أصحاب الأموال للأفغان.

ولهذا يحرص النظام العالمي وعبيده على وأد الثورات الشعبية وحروب المستضعفين وخنقها من خلال السيطرة على التطوع والتمويل لإخراج هذا الحليف الشعبي من المعادلة، فيضمن السيطرة على مجريات الأحداث، ففي حالة وجود انتفاضة أو ثورة أو حرب مستضعفين إسلامية نجد مربع النكد[55] يجتهد للسيطرة على هذه الهبات الشعبية، ويستحيل أن يجتمع حلف الشيطان هذا لنصرة الإسلام، وإنما هي مصالحهم، وأيما تيار نال رضاهم ودعمهم فلا شك أنه بعيد عن مراد الله وقريب من مرادهم، ومن حيلهم في القضاء على الهبة الشعبية العمل على عدة محاور متوازية: الأول: السيطرة على قيادة الجيش ومؤسسات الدولة العميقة، والثاني: إثارة النعرات والانقسامات والتحزب والعنصرية والعصبية على كافة الأوجه بين مكونات الشعب، الثالث: تمويل مجموعات الهبة الشعبية على اختلاف قوتها وحجمها؛ ثم يعمدوا إلى الأسوء منها فيختاروه ليدعموه ويقربوا بينه وبين الجيش، وأما المجموعات الأخرى ففي الوقت المناسب سيقطعون عنها التمويل ويهددونها في قواعدها الخارجية فلا يقوى قادتها على رفض التوجه [اليهودي والصليبي]، وبالتالي فهم [اليهود والصليبيين وأنظمة الحكم الإقليمية] سيمولون الهبة الشعبية بسخاء والجيش سيقف على الحياد الإيجابي حتى إذا بدا النصر في الأفق حالوا بين الشعب وما يريد، واخترعوا له حلًا سياسيًا يناسب بقاء اليهود واستمراريتهم في المنطقة، فهم بين التغيير داخل القصر أو بين الجنرالات، ولهذا وجب التنبيه وتحذير الحركات الشعبية

[55] اليهود والصليبيين وأنظمة الحكم الإقليمية والجيوش المحلية.

من أموال الخليج، خاصة الأسرة السعودية وذيلهم الإماراتي والقوة الناعمة لقطر والكويت، فهمهم حرب الإسلام والمسلمين وتأمين وجود اليهود.

المستضعفون إذن يواجهون من يزعمون الصداقة كما يواجهون النظام وحلفاءه، وبالتالي على المستضعفين مهمة توعية الأمة بكافة طوائفها ومذاهبها؛ فهم الحليف الحقيقي، أما الداعمين والجيش فعلى المستضعفين الحذر منهم وألا يمكنوهم من رقابهم، وعلى المستضعفين أيضًا أن يفسدوا تحالف النظام ويعملوا على تفتيته، خاصة وأنه حلف سياسي أو عسكري مصلحي يصل مع النظام سريعًا إلى نقطة الطلاق إذا توفر لهم علاج لنقطة اللقاء معه، ويَهزم كل هذا العبث السياسي توفيق الله للمستضعفين، ثم عناد المستضعفين وإصرارهم على البقاء والنصر والتمكين للدين.

***

إن كسر تحالفات الأعداء يوازي أهمية عقد التحالفات نفسها، في غزوة الأحزاب بادر رسول ﷺ لمناورتين ذكيتين لحل اجتماع [تحالف] الأحزاب على المدينة المنورة، الأولى اقترح على الأنصار أن يعرض على غطفان أمرًا لا يمكنهم أن يرفضوه، والثانية عمد إلى خدعة ذكية لتفتيت صف العدو.

الأولى: من السيرة النبوية لابن كثير، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُرَابِطًا، وَأَقَامَ الْمُشْرِكُونَ يُحَاصِرُونَهُ بِضْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ إِلَّا الرِّمِّيا بِالنَّبْلِ.

فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَى النَّاسِ الْبَلَاءُ بَعَثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَمَا حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، وَمَنْ لَا أَتَّهِمُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، إِلَى عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ وَالْحَارِثِ بْنِ عَوْفٍ الْمُرِّيِّ، وهما قائدا غطفان وأعطاهما ثُلُثَ ثِمَارِ الْمَدِينَةِ، عَلَى أَنْ يَرْجِعَا بِمَنْ مَعَهُمَا عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمُ الصُّلْحُ، حَتَّى كَتَبُوا الْكِتَابَ وَلَمْ تَقَعِ الشَّهَادَةُ وَلَا عَزِيمَةُ الصُّلْحِ، إِلَّا الْمُرَاوَضَةُ.

فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أنَّ يفْعَلَ ذَلِكَ بعَثَ إِلَى السَّعْدَيْنِ فذَكَرَ لَهُمَا ذَلِكَ، وَاسْتَشَارَهُمَا فِيهِ.

فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْرًا تُحِبُّهُ فَنَصْنَعُهُ، أَمْ شَيْئًا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ لابد لَنَا مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، أَمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لنا؟

فَقَالَ: بل شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ، وَاللَّهِ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّنِي رَأَيْتُ الْعَرَبَ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ وَكَالَبُوكُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إِلَى أَمْرٍ مَا.

فَقَالَ لَهُ سعد بن معَاذ: يارسول الله قد كُنَّا وَهَؤُلَاء عَلَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، لَا نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا ثَمَرَةً وَاحِدَةً إِلَّا قِرًى أَوْ بَيْعًا، أَفَحِينَ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَهَدَانَا لَهُ وَأَعَزَّنَا بِكَ وَبِهِ، نعطيهم أَمْوَالنَا؟ مالنا بِهَذَا مِنْ حَاجَةٍ، وَاللَّهِ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَنْتَ وَذَاكَ. فَتَنَاوَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الصَّحِيفَةَ فَمَحَا مَا فِيهَا من الْكِتَاب، ثُمَّ قَالَ: ليجهدوا علينا.

والثانية: الخدعة؛ سواء كان الطرح فيها من نعيم بن مسعود أو كان الإلهام فيها لنعيم من النبي ﷺ؛ فإن الخدعة نجحت في تفتيت التحالف الثلاثي [قريش واليهود وغطفان]. وأذكر هنا ما استحسنه ابن كثير في السيرة النبوية:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فِيمَا وَصَفَ اللَّهُ مِنَ الْخَوْفِ وَالشِّدَّةِ لِتَظَاهُرِ عَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ وَإِتْيَانِهِمْ إِيَّاهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ عَامِرِ بْنِ أُنَيْفِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ قنفذ بن هِلَال بن خلاوة ابْن أَشْجَعَ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَإِنَّ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا إِنِ اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ».

فَخَرَجَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى بَنِي قُرَيْظَةَ، وَكَانَ لَهُمْ نَدِيمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: يَا بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ عَرَفْتُمْ وُدِّي إِيَّاكُمْ وَخَاصَّةَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ.

قَالُوا: صَدَقْتَ لَسْتَ عِنْدَنَا بِمُتَّهَمٍ.

فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ لَيْسُوا كَأَنْتُمْ، الْبَلَدُ بَلَدُكُمْ فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَتَحَوَّلُوا مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَإِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ قَدْ جَاءُوا لِحَرْبِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ ظَاهَرْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ، وَبَلَدُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ بِغَيْرِهِ، فَلَيْسُوا كَأَنْتُمْ فَإِنْ رَأَوْا نُهْزَةً أَصَابُوهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرُ ذَلِكَ لَحِقُوا بِبِلَادِهِمْ وَخَلَّوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ بِبَلَدِكُمْ، وَلَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ إِنْ خَلَا بِكُمْ، فَلَا تُقَاتِلُوا مَعَ الْقَوْمِ حَتَّى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْنًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ يَكُونُونَ بِأَيْدِيكُمْ ثِقَةً لَكُمْ عَلَى أَنْ تُقَاتِلُوا مَعَهُمْ مُحَمَّدًا حَتَّى تُنَاجِزُوهُ.

قَالُوا: لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ.

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا، فَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ: قَدْ عَرَفْتُمْ وُدِّي لَكُمْ وَفِرَاقِي مُحَمَّدًا، وَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَمْرٌ قَدْ رَأَيْتُ عَلَيَّ حَقًّا أَنْ أُبَلِّغَكُمُوهُ نُصْحًا لَكُمْ فَاكْتُمُوا عَنِّي.

قَالُوا: نَفْعَلُ.

قَالَ: تَعْلَمُوا أَنَّ مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَقَدْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ: أَنَّا قَدْ نَدِمْنَا عَلَى مَا فَعَلْنَا، فَهَلْ يُرْضِيكَ أَنْ نَأْخُذَ لَكَ مِنَ الْقَبِيلَتَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ رِجَالًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَنُعْطِيَكَهُمْ فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، ثُمَّ نَكُونَ مَعَكَ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ حَتَّى تَسْتَأْصِلَهُمْ.

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ: أَنْ نَعَمْ.

فَإِنْ بَعَثَتْ إِلَيْكُمْ يَهُودُ يَلْتَمِسُونَ مِنْكُمْ رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ فَلَا تَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ مِنْكُمْ رَجُلًا

وَاحِدًا.

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى غَطَفَانَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ غَطَفَانَ إِنَّكُمْ أَصْلِي وَعَشِيرَتِي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَلَا أَرَاكُمْ تَتَّهِمُونِي.

قَالُوا: صَدَقْتَ مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِمُتَّهَمٍ.

قَالَ: فَاكْتُمُوا عَنِّي.

قَالُوا: نَفْعَلُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ وَحَذَّرَهُمْ مَا حَذَّرَهُمْ.

فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ السَّبْتِ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ، وَكَانَ مِنْ صَنِيعِ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ أَن أرسل أَبُو سُفْيَان بن حَرْب ورؤوس غَطَفَانَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ، فَقَالَ لَهُم: إِنَّا لسنا بدار مقام، هَلَكَ الْخُفُّ وَالْحَافِرُ، فَأَعِدُّوا لِلْقِتَالِ حَتَّى نُنَاجِزَ مُحَمَّدًا وَنَفْرُغَ مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ.

فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ: إِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ السبت، وَهُوَ يَوْمٌ لَا نَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا، وَقَدْ كَانَ أَحْدَثَ فِيهِ بَعْضُنَا حَدَثًا فَأَصَابَهُمْ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكُمْ، وَلَسْنَا مَعَ ذَلِكَ بِالَّذِينَ نُقَاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمَّدًا حَتَّى تُعْطُونَا رُهُنًا مِنْ رِجَالِكُمْ يَكُونُونَ بِأَيْدِينَا ثِقَةً لَنَا حَتَّى نُنَاجِزَ مُحَمَّدًا، فَإِنَّا نَخْشَى إِنْ ضَرَّسَتْكُمُ الْحَرْبُ وَاشْتَدَّ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَنْ تَنْشَمِرُوا إِلَى بِلَادِكُمْ وَتَتْرُكُونَا وَالرَّجُلَ فِي بِلَادِنَا وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِذَلِكَ مِنْهُ.

فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَيْهِمُ الرُّسُلُ بِمَا قَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ قَالَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ: وَاللَّهِ إِنَّ الَّذِي حَدَّثَكُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقٌّ.

فَأَرْسَلُوا إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ: إِنَّا وَاللَّهِ لَا نَدْفَعُ إِلَيْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ رِجَالِنَا، فَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْقِتَالَ فَاخْرُجُوا فَقَاتِلُوا.

فَقَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ حِينَ انْتَهَتْ إِلَيْهِمُ الرُّسُلُ بِهَذَا: إِنَّ الَّذِي ذَكَرَ لَكُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ

لَحقٌّ، مَا يُرِيدُ الْقَوْمُ إِلَّا أَنْ تُقَاتِلُوا فَإِنْ رَأَوْا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا وَإِنْ كَانَ غَيْرُ ذَلِكَ انْشَمَرُوا إِلَى بِلَادِهِمْ وَخَلَّوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ فِي بَلَدِكُمْ.

فَأَرْسَلُوا إِلَى قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ: إِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقَاتِلُ مَعَكُمْ حَتَّى تُعْطُونَا رُهُنًا. فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ وَخَذَّلَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَعَثَ اللَّهُ الرِّيحَ فِي لَيْلَةٍ شَاتِيَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، فَجَعَلَتْ تَكْفَأُ قُدُورَهُمْ وتطرح آنيتهم.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا اخْتَلَفَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَا فرق الله من جمعهم، دَعَا حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ فَبَعَثَهُ إِلَيْهِمْ لِيَنْظُرَ مَا فَعَلَ الْقَوْمُ لَيْلًا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَرَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وصحبتموه؟ قَالَ: نعم يَابْنَ أَخِي.

قَالَ: فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصنعُونَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا نَجْتَهِدُ.

قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ أَدْرَكْنَاهُ مَا تَرَكْنَاهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَلَحَمَلْنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا!

قَالَ: فَقَالَ حُذَيْفَةُ: يَابْنَ أَخِي وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْخَنْدَقِ، وَصلى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ:

«مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ؟ فَشَرَطَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجْعَةَ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ. فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَشِدَّةِ الْجُوعِ وَالْبَرْدِ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ دَعَانِي، فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي، فَقَالَ: يَا حُذَيْفَةُ اذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ فَانْظُرْ مَاذَا يَفْعَلُونَ وَلَا تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنَا».

قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ وَالرِّيحُ وَجُنُودُ اللَّهِ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَفعَلُ، لَا تُقِرُّ لَهُمْ قِدْرًا وَلَا نَارًا وَلَا بِنَاءً، فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لِيَنْظُرِ امْرُؤٌ مَنْ جَلِيسُهُ.

قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ إِلَى جَنْبِي فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ فلَان بن فلَان، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ، لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ وَالْخُفُّ وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ وَبَلَغَنَا عَنْهُمُ الَّذِي نَكْرَهُ، وَلَقِينَا مِنْ شِدَّةِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ، مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ، فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ.

ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ ضربه فَوَثَبَ بِهِ على ثَلَاث، فَمَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ. وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيّ: لَا تحدث شَيْئًا حَتَّى تَأْتِينِي. لَقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ.

قَالَ حُذَيْفَةُ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ يصلي فِي مرط لبَعض نِسَائِهِ مرحل، فَلَمَّا رَآنِي أَدْخَلَنِي إِلَى رِجْلَيْهِ وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ الْمِرْطِ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ وَإِنِّي لَفِيهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ. وَسَمِعَتْ غَطَفَانُ بِمَا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ فَانْشَمَرُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ. أهـ السيرة النبوية لابن كثير

لكسر تحالف العدو لا بد من نشر مناخ من الشك بينهم ودعمه بما يلزم من حيل: الرسائل الوهمية، تقديم عروض مادية لبعضهم، التقرب من أحد الحلفاء لهز الثقة وإثارة الغيرة بينهم ، في ميدان القتال عليك بالهجوم على الحليف الأضعف لتحدث انهيارًا في تماسكهم الجبهوي، وقم بتفادي ضرب ممتلكات أحدهم الإنتاجية لتغرس الشك بينهم.

***

28- استراتيجية التعامل مع مرضى القلوب

قال تعالى {اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ {9} سورة يوسف .... وقال تعالى:{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ {4} سورة البلد.

للأسف؛ الأعداء على الحدود والحساد بين الدروب .. إنه عالم تنافسي بل غارق في المنافسة .. الطموح بل إن شئت لقلت الجموح يذهب بعقول الرجال .. مشوار النضج أطول بكثير مما نظن .. الطعنات التي تأتي في الصدر تلهمنا وتلهب حماستنا .. أما تلك التي تستقر في الظهر تحبطنا وتبطئ مسيرتنا .. إنها أزمة وعي من طرف .. وسوء تقدير [حسن ظن] من طرف آخر.

المنافسة على السيادة تقتل الإخلاص وتلد الحسد .. والحسد يعمي القلوب ويفسد الروابط ويورث البغض .. والبغض سم العقول يشوش رؤيتها ويفقدها حكمتها .. هذا قليل مما يمكنني أن أبين به حال أبي جهل .. [أَتَى الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ أَبَا جَهْلٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَكَمِ مَا رَأْيُكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ: مَاذَا سَمِعْتُ؟! قَالَ أَبُو جَهْلٍ: تَنَازَعْنَا نَحْنُ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ الشَّرَفَ، أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنَا، وَحَمَلُوا فَحَمَلْنَا، وَأَعْطَوْا فَأَعْطَيْنَا، حَتَّى إِذَا تَجَاثَيْنَا عَلَى الرُّكَبِ وَكُنَّا كَفَرَسَيْ رِهَانٍ قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ! فَمَتَى نُدْرِكُ هَذِهِ! وَاللَّهِ لَا نَسْمَعُ بِهِ أَبَدًا وَلَا نُصَدِّقُهُ]. السيرة النبوية لابن كثير.

[عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ أَبِي وَعَمِّي أَحَبَّ إِلَيْهِمَا مِنِّي، لَمْ أَلْقَهُمَا فِي وَلَدٍ لَهُمَا قَطُّ أَهِشُّ إِلَيْهِمَا إِلَّا أَخَذَانِي دُونَهُ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُبَاءَ، قَرْيَةَ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، غَدَا إِلَيْهِ أَبِي وَعَمِّي أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَخطب مغلسين، فو الله مَا جَاءَانَا إِلَّا مَعَ مَغِيبِ الشَّمْسِ، فَجَاءَانَا فَاتِرَيْنِ كَسْلَانَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمْشِيَانِ الْهُوَيْنَى، فَهَشِشْتُ

إِلَيْهِمَا كَمَا كنت أصنع، فو الله مَا نَظَرَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا، فَسَمِعْتُ عَمِّي أَبَا يَاسِرٍ يَقُولُ لِأَبِي: أَهُوَ هُوَ؟ قَالَ: نعم وَالله! قَالَ: تعرفه بنعته وَصِفَتِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ.

قَالَ: فَمَاذَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ؟ قَالَ: عَدَاوَتُهُ وَاللَّهِ مَا بَقِيتُ!]. السيرة النبوية لابن كثير.

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﵁، يَقُولُ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمَّعَهَا اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ قَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا كَسَعَ[56] رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» قَالَ جَابِرٌ: وَكَانَتِ الأَنْصَارُ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ، ثُمَّ كَثُرَ المُهَاجِرُونَ بَعْدُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ: أَوَقَدْ فَعَلُوا، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﵁: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْهُ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» البخاري.

الحسد .. حدث هذا مع رسول الله ﷺ الذي يأتيه الوحي فكيف بمن هم دونه؟!!.

***

تحت عنوان إنقاذ البشرية من براثن الشيطان، وعنوان تزكية النفوس وتربية القلوب والعقول، لا يقف الإنسان حائرًا كثيرًا ، فنحن نصادف في الدنيا صنفين: المسلم والكافر، الكافر يحتاج من يأخذ بيده وينقذه من براثن الشيطان، والمسلم بحاجة لمن يعينه تربية وتزكية.

في الاستراتيجيات السابقة تطرقنا لموضوع الصراع مع الكافر، وموضوعنا اليوم هو الجبهة الداخلية واستراتيجية التعامل مع المسلم الذي يكن لإخوانه مشاعر غير محمودة أو

[56] كسع: أي ضربه بقدمه على مؤخرته (شلوت) بالعامية المصرية.

لديه سوء تربية وانتهازية، أو ممن تأثر بالقوى الناعمة للغرب وما تحويه من مفاهيم وعادات غاية في السوء وتفتقر للرحمة؛ غزت بها العالم فأضلت بها العقول وأفسدت بها الفطرة، فأسرت القلوب وتاهت الأرواح، وبات الناس في متاهة لا يكادون يميزون بين الصواب والخطأ، إنها انتكاسة للفطرة أكثر سوءًا من انتكاسة سدوم وعمورة.

***

هذه الشريحة من المسلمين: منها -بحسب تقدير الممارس وما يغلب على ظنه- قسم يأمل فيه الخير ويَرجو أوبته، ومنها قسم أصابه الكلل واليأس وبقي الدعاء له، فلا بد إذن من التمييز بين الصنفين في التعامل؛ حيث يُتبع مع كل صنف ما ينفعه في الدنيا والآخرة ويقيه شره في الدنيا والآخرة.

وقبل أن نتحدث عن الغير فلنبدأ بأنفسنا وما يجب أن نتحلى به من مكارم الأخلاق، فمن أجّل الصفات التي يجب أن يتحلى بها المسلم وتكون عنوان له وسمة لمجلسه سواء كان في بيته أوعمله يمكن اختصارها في أربع صفات جامعة:

أولها: الصبر؛ فهو يجمل المسلم بالحلم والأناة والرفق، والصبر يحصن الإنسان من الجزع والهلع والجشع والتسخط، ويمنعه من غلاظة الكبد وقسوة القلب وتحجر الطبع،، ويزيد من قدرته على الاحتمال وكظم الغيظ ويورثه الحلم، والحلم يقي الإنسان من الطيش والحدة والخفة والترف، ويحميه من الذل والمهانة والحقارة، ويمنحه الاقتدار والعزة والشرف ويورثه الأناة والرفق، والأناة والرفق يحفظانه من العجلة والعنف، وتجنباه التفريط والإضاعة، يقول الحق في علاه: {وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا {20} سورة الفرقان ... ويقول سبحانه وتعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ {34} سورة فصلت.

ثانيها: العفة؛ التي تجمل المسلم بالصدق والأمانة والعزة والكرم والقناعة والحياء، فالعفة تحصن الإنسان من رذائل وقبائح القول والفعل وتورثه الصدق والأمانة، والصدق والأمانة يمنعاه من الكذب والغيبة والنميمة ويورثاه الجود والكرم، والجود والكرم يجنباه الشح[57] والبخل[58] ويورثاه القناعة، والقناعة تكف بصره عن زهرة الحياة الدنيا وأذنه عن سماع الغافلين، ورأس العفة الحياء وما أجمله من كساء وهو رأس كل خير، يقول الحق في علاه: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى {131} سورة طه ... ويقول سبحانه وتعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا {28} سورة الكهف.

ثالثها: الشجاعة؛ تحمل المسلم على عزة النفس وإيثار معالي الأخلاق والشيم وعلى البذل، بذل النفس للموت عن الدين والحريم وعن الجار المضطهد وعن المستجير المظلوم، ونجدة المظلومين في المال والعرض وفي سائر سبل الحق، والشجاعة تحفظ الإنسان من التهور والغشم، تحول بينه وبين الجبن والخور والتأخر في النجدة وتورثه العزة والرفعة، والعزة والرفعة تحفظاه من الكبر وتمنعاه من الذل، والشجاعة لا ترتبط بالقوة ولا بالضعف البدني، فبذل النفس يرتبط بالحقوق وصيانتها ونصرة المظلوم، وهي باللسان والجنان والسنان والمواقف؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَا مِنِ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَءًا مُسْلِمًا فِى مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلاَّ خَذَلَهُ اللَّهُ فِى مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ وَمَا مِنِ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِى مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلاَّ نَصَرَهُ اللَّهُ فِى مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ» سنن أبي داوود، ورحم الله الملا محمد عمر أمير المؤمنين بأفغانستان.

---

[57] الشحُّ: هو الامتناع عن أداء الحقوق، والحرص على ما ليس له.

[58] البخل: هو البخل بما في اليد من مال.

رابعها: العدل؛ يزين المسلم باعتدال أخلاقه، وهو الاتزان والتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، فيمنع الإنسان من الظلم والغضب والحدة والفحش والطيش ويحفظه من الخسة والدناءة واللؤم والشح وسفاسف الأمور، وهو وسط في طلاقة الوجه والبشر المحمود وبين التعبيس والتقطيب وطي البِشْرِ عن البَشَرِ، والاتزان يكسبه المهابة والمحبة فهو عزيز جانبه حبيب لقاؤه، وفي صفة نبينا ﷺ من رآه بداهة هابه، ومن خالطه عِشرة أحبه، يقول الحق في علاه: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا {58} سورة النساء ... ويقول سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {90} سورة النحل.

***

إنها أشرف مهمة على سطح هذا الكوكب [التعليم والتزكية]، يقول الحكيم العليم {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ {129} سورة البقرة ... {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {2} سورة الجمعة ... {لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ {164} سورة آل عمران، وتزكية النفس أن يعلم الإنسان أن الله معه حيث كان، ولكننا ننسى، لهذا تعين على الدعاة السعي الحثيث لتذكير الناس وتزكية النفوس بتطهيرها وتطييبها وتنقيتها من القبائح والرذائل العقدية أو الأخلاقية، وتجميلها بالفضائل ومحاسن الصفات، ويذكرونهم بالقصص وبالآيات والأحاديث.

فعلى الدعاة حث الناس على الإخلاص وتقوى الله وخشيته وشكره سبحانه على

نعمه، وحسن التوكل عليه، والبعد عن الذنوب والمعاصي والفساد والإفساد والتوبة إليه، والرضى بالرزق والاقتصاد في الطلب، والعدل في الرضا والغضب، والإصلاح بين الناس، وأن يغرسوا فيهم السلوك الحسن من التواضع والحلم والكرم والعفة والورع والزهد والشجاعة والقناعة والوفاء بالعهد والصبر والصدق وإحسان الظن والنظافة والتطيب والتسوك والرفق بالإخوان ولين الجانب لهم وكظم الغيظ والعفو وهداية السبيل وإعانة المحتاج وإغاثة اللهفان، وعليهم تأديب الناس بسورة الحجرات، فقد اشتملت على أبواب عظيمة في التعليم والتربية والتزكية، وفيها صلاح الأسرة والمجتمع والأمة، وحسبك منها في باب التواضع {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ {13} سورة الحجرات.

وعليهم أن يخوفونهم من الشقاق والنفاق والحسد والحرص والجبن والحقد والغدر والبخل والشح والطمع والجشع والظلم والكذب ومن المكر والبغي والنكث والغضب وقطيعة الرحم ومخالطة الأشرار والافتقار والبطر والكبر وسوء الظن والتجسس والغيبة والنميمة وإفشاء الأسرار وخيانة المجالس والوقيعة بين الناس والفخر والخيلاء وقول الزور واليمين الغموس، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يَأْثُرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا، البخاري، وليعلموهم أن شرّ الناس من لا يبالي أن يراه الناس مسيئا، ويحذرونهم من حب الإمارة والرياسة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، فَنِعْمَ المُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ» البخاري،

وعلى الناس التواصي فيما بينهم بالتعاون على البر والتقوى والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان، وأن يخالطوا بعضهم مخالطة جميلة فإن مات أحدهم بكوا عليه وإن عاش حنوا إليه، قال تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

{10} سورة الحجرات، قال أحد الحكماء في الأخوة:

إن أخاك الحق من يسعى معك	ومن يضر نفسه لينفعـــك
ومن إذا ريب الزمان صـــدعك	شتّت فيك شمله ليجمعك

فتقوى الله ومكارم الأخلاق تجلب للعبد محبة الله ومعيته وصحة القلوب وتفريج الكروب وسعة الرزق وتيسير الأمور والنجاة من النار والفوز بالجنة والقرب من الحبيب محمد ﷺ، ولولا أن قصة سفانة بنت حاتم الطائي موضوعة لذكرتها في ختام هذه الفقرة.

***

من النماذج التي تصيب الدعاة بالكلل واليأس ويكتفون بالدعاء لهم، من هؤلاء الذين لم ينتفعوا بالدعوة والنصح الآتي:

1- بعض الناس لا يهمهم إلا مستقبلهم المهني فقط، كتب روبرت جرين "يبدون فاتنين في الظاهر خونة وراء الكواليس"، أصحاب هذا الصنف لهم لسان معسول يعيشون على الطريقة الأمريكية، فهم متسلقون على برامج غيرهم، يسرقون مجهودهم ليحصدوا ثمار النجاح، يتآمرون على رؤسائهم من وراء ظهورهم، أمثال هؤلاء لهم مزاج عصبي وحساسون، ينصح "روبرت جرين" بعدم مواجهة هذا الصنف مباشرة، لأنه يسهل استفزازهم بالهدوء والأدب؛ فتخرج ضغينته ويصل بردود فعله إلى التهور الذي يفضح أهدافه الخفية والتي ستؤدي إلى عزلتهم.

من طرفي أجد أن أفضل تعامل مع هؤلاء عند اكتشافهم هو جمع الأدلة التي تثبت سوء تصرفاتهم وسرقتهم لجهود غيرهم ورفعها للمستوى الأعلى لمعاقبتهم، فهذا الصنف يفسد مناخ الأخوة ويأخذ المنافسة المحمودة إلى اتجاه يشق الصف ويسمم الأجواء بمناخ من التشنج والعصبية، ولا يصح وجود مثله في فريق العمل.

2- صنف آخر نجده في الحياة هو: أصحاب الأنا المتضخمة الذين يعتقدون أن كل ما يفعلونه صائب وجدير بالمدح، ينصح "روبرت جرين" بأن يتم مواجهتهم بالسخرية المقنعة والاستهزاء الخفي، وإفقادهم الثقة بأنفسهم وغرس الشك والاضطراب فيها حتى يلجؤا لغيرهم لينقادوا له.

من طرفي أرى أن هذا الغرور يتم مواجهته بالأدب والحقائق، خاصة أن أمثال هؤلاء لا يكفون عن التنبؤ بمستقبل الأحداث، وجل هذه الأحداث لا تأتي كما يقولون؛ وعندما نصدمهم علنًا وبأدب وجدية ونضعهم أمام أقوالهم سيتحاشون مستقبلًا تضخيم أنفسهم وكلماتهم، لأنهم سيخشون أن يبدء المحيطون بهم بمواجهتهم، وبالتالي سيفقدون احترام الناس لرؤيتهم.

3- أصحاب المهارات الخاصة والذين ينسبون كل فضل لقدراتهم الذاتية، ينصح "روبرت جرين" بأن الاستفزاز المباشر ينبه حواسهم ويبرز أفضل قواهم ويحرك نوازع التنافس، ولهذا لا يصح منازلة هؤلاء المهرة في مجالهم؛ دون التلاعب بعقلهم لإفقادهم تركيزهم أو تعكير مزاجهم فهذا يدفعهم إلى الخطأ، وكلما حاولوا إصلاحه وقعوا في غيره وهكذا.

من طرفي أرى أن لا شيء يبقى على حاله، ونظرًا للكثرة البشرية فيتوقع ظهور من هو أفضل منهم أدبًا وتواضعًا ويحدث هذا خلال زمن سريع، فسرعان ما يستبدل لأن البركة والتوفيق يحصلان بالتواضع ونسبة التوفيق لله، وجاء عَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةٌ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ لَا تُسْبَقُ قَالَ حُمَيْدٌ أَوْ لَا تَكَادُ تُسْبَقُ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ فَسَبَقَهَا فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ فَقَالَ «حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ» البخاري، وقديمًا قيل [ما طار طير وارتفع إلا وكما طار وقع].

4- الشخصيات التي تفتقر للرضى وتحسد غيرها لأي سبب كان، الحسد وضده

الغبطة، أما الحسد فهو تمني زوال النعمة من الغير، والغبطة تمني مثلها من غير حب زوالها من الغير، والحسود لا يسود؛ لأن الحسد أقوى أسباب التعاسة، قال الحق في علاه: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا {54} سورة النساء ... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفَيْحُ جَهَنَّمَ، وَلَا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد» صحيح ابن حبان، والحسد يحمل في جعبته بذور دماره، ولا أعرف للحسد علاجًا إلا الموت، هذا ما حدث مع أبي جهل وحيي بن أخطب وعبد الله بن أبي بن سلول.

5- الشخصيات القوية الصلبة الناجحة، والتي قد تكون جادة ونشاطها فوق قدرات جنودها ولكنها كريمة معهم، ينصح "روبرت جرين منافسيهم بإدخال الشك على نفسيتهم فهذا يكسر عندهم قواعد السلوك.

من طرفي أرى أن مثل هذه الشخصيات هم عملة نادرة لا يجب إزعاجهم بحسد المنافسين، بل دعمهم ودفعهم للإمام مع نصحهم، ويمكن تحسن قدراتهم بتوظيف عدد من المساعدين المتفوقين في مهارات التواصل ليشكلوا حلقة وصل بينهم وبين الآخرين.

6- المرضى بجنون العظمة الذين ينظرون لغيرهم بدونية شديدة، ولا يتحملون منهم أي تصرف غير لائق، وتكون ردة فعلهم حادة وتفقدهم وقارهم، أمثال هؤلاء يصعب الحياة معهم، والتعامل بالمثل لا يصلحهم بل ربما يضرك أنت؛ فما الفارق بينكما إذن؟!، أمامك خياران الأول الخروج من دائرتهم لأن البقاء معهم شاق جدًا لأصحاب النفوس الأبية، الثاني الصبر على علاجهم النفسي من خلال إدخال الشك على نفسيتهم والخطوة الأولى هي عدم تصديقهم وإثبات أن معلوماتهم ضحلة أو صحتها التجارب الحديثة، هذا يؤدي إلى إفقادهم الثقة بأنفسهم ويبدؤون في الاعتماد على ما يساعدهم في تغير أسلوب

حياتهم، [ترمس يا غجر].

وهناك من البشر نماذج كثيرة قد تصلحهم الحرب المباشرة خاصة إذا أمكن حصارهم، ويظل فن المناورة والمراوغة هو الاستراتيجية الأكثر حكمة دائمًا، المكاسب اللحظوية سيكون ثمنها إثارة القلق في الوسط الذي تتحرك فيه، وهذه الأمور لا يصلح لها إلا الرجل المكيث.

***

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ» البخاري. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ إِنَّمَا كَانَ ذُو الْوَجْهَيْنِ شَرَّ النَّاسِ لِأَنَّ حَالَهُ حَالُ الْمُنَافِقِ إِذْ هُوَ مُتَمَلِّقٌ بِالْبَاطِلِ وَبِالْكَذِبِ مُدْخِلٌ لِلْفَسَادِ بَيْنَ النَّاسِ وَقَالَ النَّوَوِيُّ هُوَ الَّذِي يَأْتِي كُلَّ طَائِفَةٍ بِمَا يُرْضِيهَا فَيُظْهِرُ لَهَا أَنَّهُ مِنْهَا وَمُخَالِفٌ لِضِدِّهَا وَصَنِيعُهُ نِفَاقٌ وَمَحْضُ كَذِبٍ وَخِدَاعٌ وَتَحَيُّلٌ عَلَى الِاطِّلَاعِ عَلَى أَسْرَارِ الطَّائِفَتَيْنِ وَهِيَ مُدَاهَنَةٌ مُحَرَّمَةٌ قَالَ فَأَمَّا مَنْ يَقْصِدُ بِذَلِكَ الْإِصْلَاحَ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ فَهُوَ مَحْمُودٌ وَقَالَ غَيْرُهُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْمَذْمُومَ مَنْ يُزَيِّنُ لِكُلِّ طَائِفَةٍ عَمَلَهَا وَيُقَبِّحُهُ عِنْدَ الْأُخْرَى وَيَذُمُّ كُلَّ طَائِفَةٍ عِنْدَ الْأُخْرَى وَالْمَحْمُودُ أَنْ يَأْتِيَ لِكُلِّ طَائِفَةٍ بِكَلَامٍ فِيهِ صَلَاحُ الْأُخْرَى وَيَعْتَذِرُ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَنِ الْأُخْرَى وَيَنْقُلُ إِلَيْهِ مَا أَمْكَنَهُ مِنَ الْجَمِيلِ وَيَسْتُرُ الْقَبِيحَ ... فتح الباري لابن حجر العسقلاني.

***

لا شك أن كثيرًا من صغار طلبة العلم يمكنهم أن يحسنوا الكتابة في هذا الموضوع أكثر مما كتبته هنا، ولكنه باب أرجو ثوابه من الله، وألفت من خلاله الانتباه لبعض الأمور التي قد تغيب عنهم؛ لعلهم يكتبوا فيها لاحقًا، وأرجو المعذرة من أهل هذا الفن كما أرجو أن يغفروا لي مشاغبتي هذه وغيرها معهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

خذ قضمات صغيرة ..

29- استراتيجية الأمر الواقع (السيطرة)

لا بد من الوضوح منذ اليوم الأول .. ولا بد من الحذر والحزم قبل ذلك بكثير .. ولا يصح الاتفاق على أمر لا يمكن الالتزام أو الوفاء به .. الظلم يجمع الناس على اختلاف مشاربهم .. وجرت العادة أنهم يتفرقون قبل الحصاد .. فالثمار لا يمكن تقاسمها بين الأيدلوجيات[59] .. فكما قيل لا يجتمع سيفان في غمد .. والإسلام النقي يُسهل الحياة على مخالفيه .. في حين لا يمكن لمخالفيه أن يسمحوا بحياة أتباعه .. لأن قيمه ومبادءه وتشريعاته تنغص عليهم جشعهم وشهواتهم وشرههم .. ففي غابة السياسة لا يعيش إلا الوحوش .. وفي بستان الإسلام يمنح الجميع حق الحياة.

الثورة تأكل أبناءها .. والثورة مستمرة .. هكذا يفعل الطموح بالثوار .. فسرعان ما يرغب كل واحد من القادة بالاستئثار بمكاسب الثورة .. لأن الحلفاء والأنصار والثوار يضخمون "الأنا" في صدورهم؛ والشعب تبعًا لهم .. ومرحلة ما بعد سقوط النظام هي الأخطر في مسيرة الثورة والثوار .. وما أن تبدء حتى يبدء معها الخصومات والتحالفات الداخلية في محاولة للتغلب على المنافسين أو شركاء الثورة السابقين.

وهذا التنافس المرير يحدث حتى داخل الجماعة الواحدة وفي حديث أسامة بن زيد ﵁: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ بَاتَا فِي حَظِيرَةٍ فِيهَا غَنَمٌ يَفْتَرِسَانِ وَيَأْكُلَانِ بِأَسْرَعَ فَسَادًا فِيهَا مِنْ طَلَبِ الْمَالِ وَالشَّرَفِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِ» .. وهو يبين مقدار ما تحركه شراهة المال وشهوة الملك في قلب بني آدم .. بهذه الذئاب يتم تجاوز المنافسة إلى

[59] العقيدة الفكرية: في ظني أن مفهومها لا يتعلق بالعقائد فقط، إنه يعبر عن المعتقدات والتشريعات والمسيرة الحضارية للأمة بكل موروثاتها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها وأعرافها وإنجازاتها. إنها تعبر عن مواقف الأفراد من الكوكب والخلق والمجتمع والإنسان والحكم.

الوقيعة والتآمر والمؤامرات.

***

روسيا وأوكرانيا؛ أوكرانيا هي قضية حيوية لروسيا ستعمل على ضمها قَبِلَ الغرب بذلك أو رفض، سواء كان سبب الصراع تحرك أسلحة الناتو شرقًا أو رغبة أوكرانيا في الانضمام للناتو أو غير ذلك، في عام 2014 استخدمت روسيا فلسفة الأمر الواقع حينما تمكنت من القرم ثم أجرت استفتاء ثم قامت بضمه لروسيا الاتحادية، ولم تلق بالًا للمناورات الاقتصادية الغربية وبحكم الواقع أصبحت القرم جزء من روسيا؛ اعترف بذلك العالم أو رفض، وهذا المشهد كان متوقعا أيضًا في الأقاليم الشرقية لأوكرانيا [دونباس]، فقد استقل إقليمان عن أوكرانيا واعترفت روسيا بهما كجمهوريتين مستقلتين، ثم تحركت روسيا لتعمل على احتلال أوكرانيا بالكامل في قضمة واحدة -يرى البعض أن روسيا سوف تضم أوكرانيا على مرحلتين الأولى إسقاط النظام الموالي للغرب وتنصيب نظام موالي لها، ثم قيام النظام الموالي بالاتحاد مع روسيا- وكلا الاحتمالين يسير وفق فلسفة الأمر الواقع وعدم الالتفات لما يقوم به الغرب من ضغوط سياسية واقتصادية .. ولن يفيد إعلان الغرب وبقايا النظام الأوكراني حكومة في المنفى، ولكن السؤال المهم من سيتعرض لهزيمة استراتيجة روسيا أم الناتو [30 دولة منها 3 نووية]؟، من المفيد بيان أن أي خطأ في هذه التفاعلات الشرقية أو الغربية يمكن أن يؤدي إلى حرب نصف عالمية بين دول شمال الكوكب، هذا في حالة تعقل الجنوب ولم يتورط في صراعات إقليمية لصالح أي طرف.

***

المسلمون كتاب مفتوح، يعرفهم جيدًا كافة التيارات السياسية المنافسة ومن يقف وراءهم؛ ولعلهم يعرفون عنهم أكثر مما يعرف كثير من أبناء المسلمين، ولهذا يكنون لهم

العداء وإن لم يظهروه لهم أثناء مسيرة التغيير، ويضمرون للمسلمين الشر؛ وهم حاضرون ومستعدون للانقلاب عليهم بكافة الخطط حينما يأتي الوقت، وقد حدث الكثير من هذا في ثورات الربيع الإسلامي سواء من المعاندين أو من داخل الصف، والحق سبحانه وتعالى كما أمرنا بالإعداد أمرنا بالجهوزية فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا {71} سورة النساء، وحذرنا سبحانه من المنافقين: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ {4} سورة المنافقون.

ولهذا وعلى الرغم من وضوح المسلمين إلا أنه وجب عليهم الاستعداد لهذا اليوم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ» البخاري، والمؤمن كيس فطن حذر وقاف، مُتثبتٌ عالمٌ ورعٌ لا يَعْجَلُ، ويجدر بالمسلمين دراسة هذه الاستراتيجية وتطويرها وفق مبادئ وقيم وتوجيهات الإسلام، وأسباب استخدام هذه الاستراتيجية كثيرة سواء كان التوجس من خارج الصف المسلم أو من داخله، فعداء الكفار وأذنابهم الداخلية ومؤامراتهم لا تغيب عن عاقل، وبعض الداخل لا يخلوا من شر الغيبة والنميمة والتآمر والحسد والسحر ويحتاج له العمل بمثل هذه الأحاديث والتوجيهات: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «العَيْنُ حَقٌّ» البخاري، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ جِبْرِيلَ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ» مسلم، فاستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود، ومن تعجل شيئًا قبل أوانه عُوقب بحرمانه، ولا حليم حكيم إلا ذو تجربة.

***

كان عام 2011 عام الثورات في الأقاليم العربية، وحظيت مصر بأكبر تفاعل واهتمام

عالمي وإقليمي، وكان القرار العالمي والإقليمي -الغرب واليهود وحكام الخليج- هو إفشال الثورة المصرية.

من طرف الغرب واليهود؛ خشية أن يأتي نظام حكم إسلامي يهدد وجودهم، ومن طرف دول الخليج؛ خشية انتقال العدوى الثورية لبلادهم وتهدد وجودهم كأسر حاكمة، وكان السيناريو هو استيعاب الهبة الشعبية واحتوائها ثم الانقلاب عليها، فقد تنحى رأس النظام وأحال الأمر للمجلس العسكري، الذي أقام انتخابات برلمانية نجح فيها الإخوان المسلمون، ثم انتخابات رئاسية في 2012 نجح فيها الراحل محمد مرسي رحمه الله، الذي انقلب عليه الجيش بعد عام في السلطة.

ورغم المواقف السياسية من الانقلاب العسكري في مصر إلا أن جميع دول العالم تعاملت معه كأمر واقع، حتى استخف حاكم واشنطن بمشاعر الشعب المصري حينما رحب بالسيسي ولقبه [بدكتاتوري المفضل].

الثورة المصرية التي تم وءدها في عام 2013 جديرة بالدراسة سواء في هبتها أو في احتوائها والانقلاب عليها، فهذا السيناريو يمكن تكراره في أي دولة تهب فيها رياح التغيير.

***

خطوات نجاح الاستراتيجية:

الخطوة التأسيسية الأولى تمثل في: إحسان الالتصاق بالشعب والتعبير عنه، ورفع وعيه وتلقينه ما يحتاج لدعم حججه، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرٌ» رواه أحمد، وقيل إن من الشعر لحكمة، وهو الدور الذي تمارسه وزارة الإعلام في دول العالم؛ فما من قناة تلفزة أو إذاعة إلا ولها رسالة وهدف توجه له الجماهير، ويلعب الدور نفسه وسائل التواصل على شبكة الإنترنت، ولا يمكن النجاح بنيابة الصفوة عن الشعب أو بدون

التواصل معه ومخاطبته بكل فئاته وطوائفه وطبقاته والتأثير على الرأي العام، فخطاب الناس يستمال به القلوب ويرضى به الساخط ويستنزل به الصعب، وليس الخطاب فحسب بل بالتحركات الشعبية والجماهيرية في الشوارع والميادين فما يقال فيها يلامس القلوب ويهز النفوس، ومن ذلك أيضًا لإلهاب حماستهم وشحذ هممتهم بـ: [الشعارات، الأناشيد، الخطب، الدعاية، الإعلان، المؤتمرات، الندوات، والإصدارات، المجلات، النشرات، الجرائد، وحتى الفضائيات الإخبارية التظاهرات، الإضرابات، الاعتصامات ... إلخ]، وذلك بخلاف التحركات الإيجابية التي تناسب الوقت ومنها [التصدي لرجال الأمن والشرطة، احتلال المباني الحكومية والوزارات والبرلمان، اعتقال رجال الأمن ومعاقبتهم ... إلخ] يجب أن يكون للتحركات الثورية روح خاصة تلهم الشعب وترفع من وعيه وتحضه على المشاركة، وهذا كله على عاتق طليعة الأمة المجاهدة والثورية، وليعلم كل قاعد متواكل أنه في هذا الزمان يصعب أن تحاصر الكلمة أو يفشو ظلم لا نسمع به وأن الحديد لا يفله إلا الحديد.

خطوة أخرى وهي مع المنافسين، فمعركة الوعي السابقة جزء منها خاص أيضًا بالمشاركين في التغيير ولكن بمرجعية مختلفة؛ الذين جمعهم الظلم وسرعان ما تفرقهم المرجعيات، هؤلاء الفوضويون الذين يميل بعضهم للشرق بشيوعيته واشتراكيته أو للغرب بإلحاده وعلمانيته "الديموقراطية"، ليس هؤلاء فقط بل وحتى ضد المنتمين لاسم عام [الإسلاميين] فمنهم من هو ملتصق بالنظام كالمداخلة الجامية عبيد حاكم الرياض وشيوخ الأمن وشاوشية الأزهر ومرورًا بتيارات ما يسمى بالإسلام السياسي ووصولًا إلى ما يسمى بالإسلام العلماني، فلا بد من تحصين الأمة وشعوبها من كل هؤلاء، فالإسلام يسمح لمخالفيه بالحياة الكريمة ولكن مخالفيه لا يسمحون للمسلمين بشيء.

***

من الخطوات التأسيسية: تشكيل حكومة موازية سواء في أرض وعرة أو محررة أو عند حليف مناسب أو حتى في العالم الافتراضي، وتشكيل قوة أمنية تتناسب طرديًا مع تقدم الثورة، فأي ثورة لا تشرع في بناء مؤسساتها سواء قبل أن يهل مناخ الثورة أو أثناء المسيرة الثورية لا يمكن أن تسقط نظام أو تحمي الثوار ومكتسباتهم، والشعب يثق في التحركات المنظمة وينضم إليها ويضحي معها لتحقيق مرادهم، ومن أهم المؤسسات التي يجب أن يحرص الثوار على إنشائها هي المحاكم لنشر العدل وللحفاظ على الحقوق العامة والخاصة، ولمحاسبة ومعاقبة عناصر النظام أو المجرمين.

وبقدر الجدية في صناعة المؤسسات يأتي النجاح، وكما تكون مؤسساتنا وقواعدنا تأتي دولتنا، فالمؤسسات التي تسودها الأخلاق والعدل والإحسان تأتي بدولة العدل والإحسان والأخلاق الحميدة والعكس صحيح تماما، قال تعالى: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ {177} سورة البقرة.

ولنعلم أن ما يقوم به المسلمون علانية يقوم به كل الشركاء[60] المتشاكسون في التغيير خفية ومبكرًا وبدعم من حلفائهم، ويتحضرون لما بعد سقوط النظام، والقائمون على عملية التغيير من المسلمين لديهم كامل الإرادة والحق في المفاضلة بين العلانية والسرية.

عندما يحين وقت قطف الثمار ويكشر الشركاء المتشاكسون عن أنيابهم، فالأقرب منهم للشعب والأكثر تنظيمًا وأخلاقًا والأكثر قوة وانضباطًا مرشح قوي لقطف الثمار، إذ لا

[60] المقصود أنهم شركاء مصير وليسوا شركاء اجتماع وقرار ومسيرة، لأننا ملتزمون بالعهود والعقود فإن ترتب شيء من ذلك وجب علينا الوفاء به.

يكفي أن نكون أقوياء فقط؛ فلا بد أن يجتمع مع القوة الحكمة والأمانة والعدل لنخوض معارك جمع الحلفاء وتحيد ما يمكن تحييده، والاجتهاد في منع أي قتال داخلي، والسعي للتصالح مع المخالفين ومنحهم حياة كريمة بحسب المرجعية التي نعتقدها، راجع الاستراتيجية رقم 22 [استراتيجية الخروج] وافهم منها جيدًا: {سلاح العفو للمنتصر أقوى من سلاح الثأر، إنها بادرة سياسية تجذب القلوب والعقول، ويمثل فتح مكة نموذجًا مثاليًا لما نرغب في الكتابة عنه، إنها عبقرية مد الأيادي لنقل الخصم من يأس النهاية إلى آمال البداية، إنها فن نقل النفس البشرية من خزي الهزيمة إلى المشاركة في النصر، حيث نفقه إلى أين يأخذنا النصر.}.

وبهذا نكون شكلنا واقعًا لا يمكن الالتفاف عليه، وتجربة حركة طالبان في تحرير أرضها جديرة بالدراسة المستفيضة خاصة فيما يتعلق بتعاملاتهم مع الناس وتوفيرهم للأمن والعدل والاحتياجات الحياتية للشعب الأفغاني، وهي المهمة الأولى للحكومة.

***

من الخطوات الاستراتيجية هي السيطرة على كل ما هو حيوي داخل الدولة، ويأتي على رأس ذلك كل ما يتعلق بالقوات العسكرية والاقتصاد فيجب السيطرة عليهما بهدوء ورفق وسرعة ودون ضجيج أو احتفالات، وغير مسموح بالتراخي في هذا الباب أو حتى مناقشته مع المتشاكسين أو حتى إعطائهم إنذارًا، بل نبادر للسيطرة على نمط حرب العصابات قضمة قضمة فالقطع الصغيرة لا تثير حقدهم ورد فعلهم بخلاف القطع الكبيرة، وكل قضمة نأخذها لها ما يبررها أثناء المسيرة [الدفاع عن النفس، أو تأمين جهة يمكن الالتفاف علينا منها، أو خشية انقلاب سكان إحدى المناطق، أو خشية وقوعها في يد الأعداء ... إلخ] وكل هذه مخاوف حقيقية واردة الحدوث، والخصوم لديهم الخيار إما أن يقاتلونا أو يقبلوا بالخسارة وتركنا وما حصلنا عليه، فالسيطرة على مصادر الثروات

لضمان استقلال القرار، والسيطرة على القوة العسكرية لإحسان استخدامها ولحرمان المنافسين من مصدر قوة يستعينون به بعد سقوط النظام، لا بد من الحزم في هذين الفرعين، وهذا لا يعني الاكتفاء بهما بل لا بد من السعي برفق للسيطرة على جميع مكونات الدولة ولكن بقضمات أصغر وخلال زمن مناسب، وهذا يشكل نمطًا في نظر الخصوم ولكن صغر حجمه مع تنامي قوتك يمثل مخاطرة لا أحد يرغب في خوضها، وهكذا يفرض الواقع نفسه عليهم.

***

إن استراتيجية الأمر الواقع هي غالبا الطريقة المثلى للسيطرة على مشروع يمكن أن تخربه القيادات المتعددة والشركاء المتشاكسون والحلفاء الأنانيون، المهم فيها كيف ننفذها دون أن نثير غضب الخصوم مبكرًا، ونحرص على التقدم بنمط غير مستفز، ونتحالف مع الوقت حتى لا نرهق عناصرنا ولا نثير الحسد والانتقام عند خصومنا، وعندما يحين الوقت الذي يستفز فيه الخصوم ويغضبون يكون أوان رد الفعل قد انقضى، فقوتنا قد نمت ومثلت نوعًا من الردع لا يرغب أحد في مواجهته، ومن الحكمة تحصيل قطعة كبيرة غير حيوية ثم منح جزء منها للمشاكسين وإشغالهم بالتنازع حولها، فتفرقتهم من الفهم الصحيح حتى لا يتحالفوا علينا.

أحب أن أبين أن هذه الاستراتيجية لا يستغنى عنها مع كل من يشارك في الصراع ولكنه صاحب مرجعية مختلفة وليس معه عهد أو اتفاق، وإن تركنا له الحبل على الغارب بعاطفة غير ناضجة؛ فسرعان ما سينقلب علينا سواء عاهدنا أو لم يعاهدنا، فليس لهم عهد يرعونه، فقد يتفقون اليوم مع الناس ويجتمعون على شيء ويأتي من بعدهم آت وينقضه، فهذا من سنة اليهود ومن مقتضيات المصلحة عندهم، قال تعالى: {أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ {100} سورة البقرة ... {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ

اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ {55} الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ {56} فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ {57} وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ {58} سورة الأنفال، والصراع في جوهره صراع أيدلوجيات، قد تجتمع لسبب وبمجرد زواله أو وهنه سرعان ما تتبدل الأولويات، المهم عند الاجتماع أن نكون واضحين -ولطالما كنا كذلك- بأننا نسعى للنصر بحسب استطاعتنا ولن ندخل في اتفاق لا يمكننا الالتزام أو الوفاء به، لأن المؤمنين عند شروطهم، والحق سبحانه وتعالى يقول: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {90} وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ {91} سورة النحل.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

اخترق عقولهم .. لتمنحهم قناعات أخرى

30- استراتيجية التواصل

الحرب نوع من التواصل والاتصال .. ولكنه عنيف .. الحرب لها ميادين مختلفة: منها الميدان الاقتصادي .. الميدان العسكري .. وأولها الميدان الفكري .. وهو الأهم .. وهو ميدان عمل الأنبياء والصالحين والدعاة .. إن مصطلح الصراع أشمل وأوسع من كلمة الحرب .. فهناك دائمًا صراع سواء كان فكريًا أو ماليًا أو مسلحًا ... إلخ.

هذه الاستراتيجية ليست خاصة بالدعاة فقط .. فهي نافعة في كل الميادين .. ونافعة في الحرب حيث تتسلل أفكار القادة [فن الخداع] خلف خطوط العدو لتوجه قادته بسلسلة من الرسائل والتفاصيل الصغيرة لتستدرجهم إلى الاستنتاجات التي نريد .. وهم يعتقدون أنهم وصلوا لها بأنفسهم .. فأن تلهم عدوك ليفعل بنفسه ما يُمَكنك منه؛ إنها قمة المهارة في الخداع.

الخداع قد يكون استدراجًا سريعًا كرد فعل عملي في الميدان .. أما أن يكون قرارًا عن تفكير وقناعة فهذا ما أعنيه بقمة المهارة .. حيث تكمن المهارة في أن تكون الرسائل المسربة شرارة لرد فعل عملي وليست مثيرة للتأمل فقط.

***

في الحرب كما في الدعوة؛ لإنجاح التواصل لابد من تصفية ذهن المدعو من خلال تهيئة المناخ المحيط به، ثم منحه الوقت الكافي للتفكير، وهذا يمكن أن يتم بواسطة الداعية أو من خلال مسيرة الأحداث، سُئل خالد بن الوليد ﵁ عن سبب تأخر إسلامه مع وفور رأيه ورجاحة عقله؛ قال: كان أمامنا رجالًا كنا نرى أحلامهم كالجبال، شكلت هذه الجبال أسقفًا حجبت رؤيتهم، فلما زالت أسقف [الوليد بن المغيرة وعمرو بن هشام والعاص

بن وائل وعتبة وشيبة ابني ربيعة] رُفعت الغشاوة عن عقله فأبصر صدق النبوة ونور الإسلام، فتقبله عقله ورضي به قلبه، ومنحه الإسلام الفرصة للقيادة وإظهار عبقريته، فكان سيف الله المسلول أشهر قائد حربي بين المسلمين وإلى يوم الدين.

***

حرص البشر على التواصل بينهم منذ أن التقى آدم بحواء عليهما السلام، وتنوعت سبل التواصل مع انتشار التجمعات البشرية؛ فتواصلت بالعديد من الوسائل: المشافهة، الإشارات، قرع الطبول، إشعال النار، علامات الدخان، الرسم على الصخور، الكتابة، التي لم تلبث أن انتشرت بالطباعة، وظهر التلغراف ومن بعده الهاتف والراديو والتلفاز والأقمار الصناعية والجوال، إنه العصر الإلكتروني، فمع التقنية تنوعت وسائل التواصل حتى بلغت أوجها في زماننا هذا.

إن عملية التواصل والاتصال تعني بداهة الإرسال والاستقبال المتبادل، وأن هناك رسائل يتم انتقالها بين طرفين، عملية الإرسال والاستقبال تتم من خلال مجموعة من الوسائط أو الوسائل [الإنسان والآلة]، وأما الرسائل فهي تحوي موضوعًا يجذب انتباه طرفين أو أكثر للإشتراك في تحقيق تأثير نفسي وعملي، وهناك عامل آخر غير مباشر لكنه غاية في الأهمية لإنجاح الاتصال والتواصل وهو الوقت والمناخ الذي ترسل فيه الرسائل، وذلك كله بغض النظر عن وجود عناصر الاتفاق والمحبة.

تعتمد عملية التواصل على: المعلومات الدقيقة والتي يتم جمعها من جميع مصادر المعلومات السرية والعلنية، دراسة المعلومات والتحقق من صحتها وفهما بشكل ممتاز، الاستفادة من المتخصصين في علوم الإجتماع، بناء الخطة.

ولهذا لإنجاح عملية التواصل سواء كانت خطة خداع في الحرب لتحقيق النصر أو سلسلة ضغوط متنوعة للتأثير على صناع القرار، أو برنامجًا دعويًا في بلدان الشرق

والغرب، فلابد أن يتم ذلك من خلال بناء خطة عميقة: لتحديد الشريحة المطلوب توجيه الخطاب لها، تحديد وبدقة التأثير المطلوب، اختيار الفريق المناسب للمهمة، لاختيار الوسائط أو الوسائل المناسبة، ولإعداد الرسائل لابد أن تكون ذات جاذبية عقلية وعاطفية بما يضمن تفاعل الطرف المقابل للوصول إلى الأثر المطلوب -سواء أدرك أو لم يدرك -، والاستفادة من مناخ مناسب أو المساهمة في تهيئته للعملية باستخدام القوى والإمكانات المتاحة، وللشروع بها في الوقت المناسب، وتشمل الخطة أيضًا مجال العمل [البيت، المدرسة، العمل، المصانع، الأسواق، الأندية ... إلخ].

***

الصراع مع العدو يشمل عدة جبهات مطلوب التأثير عليها لاتخاذ قرارات خاطئة؛ واختصارًا فمن هذه الجبهات: القيادة السياسية، القيادة العسكرية والجنود، الشعب[61]، الحلفاء، المهتم الخارجي ... إلخ.

التواصل والاتصال أكثر عملية حية وحيوية ومستمرة لا تنقطع بحال من الأحوال مع الناس [حتى الكفار فالتواصل معهم قائم سواء كان دعويًا أو سياسيًا أو عسكريًا أو تجاريًا ... إلخ]، وفريق العمل القائم عليها لا يتسم بالنشاط والحيوية في متابعة الأحداث فقط فالأهم من ذلك أن يتمتع طاقم العمل بالذكاء السياسي والاجتماعي، فمثلًا إذا كان الهدف التأثير على القيادة السياسية لاتخاذ قرار ما فلا يكتفى بالضغوط الاقتصادية والدبلوماسية فقط، فربما يكون الضغط الجماهيري للشعب أكثر تأثيرًا على القيادة السياسية عن غيره من العوامل الأخرى، وإدراك ذلك يرجع لبراعة فريق العمل، كذلك لا يقتصر مهمة فريق العمل على الإرسال فقط وإنما على رصد صدى التفاعلات مع الرسائل إيجابًا وسلبًا، من أجل المراجعة لتلافي الأخطاء ودعم النجاح ورصد رؤية

[61] وهو الهدف الذي يتنازع عليه الجميع، ويهمله ويخذله ويخدعه الجميع بعد انتهاء النزاع.

المعارضين لرؤيتنا والرد عليهم، والاهتمام بالوسائل الأكثر تأثيرًا والاستفادة من التقنية والتطوير في برامج الاتصال والتواصل.

***

كمثال التأثير على الرأي العام الشعبي:

لا بد من مخاطبته من خلال الوسائل التي تصله[62] أو يصل إليها، مثلًا: [التلفاز - الجوال]، وذلك في كل الأحوال وخاصة في مناخ عدم الاستقرار.

ويمنح عرض الرسالة الوقت الكافي -تكرار العرض في وسائل التواصل المختلفة- للتأثير في الشعب للتفكير واتخاذ القرار الجماعي للتغيير.

موضوع الرسائل [المقروءة والمسموعة والمرئية[63]] يجب أن يعتمد لغة بسيطة وجذابة وصريحة يعيها أكبر نسبة من الجمهور بلا شرح أو توضيح أو ملاحق تفسير، وتطعم هذه الرسائل بالنوادر والقصص التاريخية لأحداث مماثلة تختصر توضيح الفكرة، مع عرض الحقائق التي تفضح إفتراءات القيادة السياسية وكذبها وغشها وخداعها لشعبها واستغلال موارد الدولة في إفساده بدلًا من تنميته.

ومن المهم التنقل بين زوايا الموضوع لتحقيق تغطية شاملة لتوفر تلقين كافي للشعب يزيد من ثقته وتمكنه من الحوار مع الساسة بقوة، ولا بد من العمل على عاطفة الشعب لإثارته وتحريكه ودفعه للخروج والتمويل والدعم بكافة أنواعه ومن خلال التنقل بين صورة

---

[62] أصبح من الممكن الآن الوصول للناس في بيوتهم سواء بالفضائيات العامة للأخبار أو من خلال فضائية خاصة أو من خلال الحسابات والإصدارات والقنوات في المجال الافتراضي على الشبكة العنكبوتية، لكن سيظل سحر التلفاز هو السلاح الأول لتغيير قناعات الناس.

[63] المقروءة مثل: الكتب والمجلات والصحف والنشرات والبيانات والمدونات وإعلانات الشوارع ... إلخ، المسموعة مثل: الوعظ والخطب والمحاضرات وكل ما ارتبط بالمايكرفون سواء في الإذاعة أو أجهزة السماع، والمرئية مثل: ما يعرض على التلفاز والجوال من أخبار وإصدارات ... إلخ.

[البطل والضحية] فآثارهما تفعل بالشعب الأفاعيل.

ولا بد من دعم الحراك الشعبي بالنكات والأناشيد والشعارات، وتغذية الشعب بالنصائح التي لا غنى عنها للتغيير مع الانتباه أن تظل الرسائل العامة مفتوحة النهايات لتترك للشعب خيارات التنفيذ وفق قدراته الفكرية وتجاربه وتراكم معرفته.

***

نحن أسرى تجاربنا الناجحة، ونرغب في تنفيذ الأعمال بحسب تراكم المعرفة عندنا، ونرفض التوجيهات المقدمة إلينا لتحسين آدائنا، ونقاوم أي جديد خارج تجربتنا، هذا الدفاع أمر عام في البشر، ولا بد من تحطيمه حتى تؤدى المهام على أكمل وجه، تقف الكلمات عاجزة أمام هذه الدفاعات إلا أن يتكلم بها نابغة في البلاغة والآداء، لكسر هذه الدفاعات لا بد أن تجعلهم يخوضوا تجارب تضيف إلى معارفهم سبلًا أخرى غير تلك التي تأسرهم.

بعد حصول الشباب على الدورة التأسيسية التي تمثل نقلة صادمة من الحياة المدنية إلى الحياة العسكرية المنضبطة، كنا نختار منهم الأفضل ذهنيًا وبدنيًا لتدريبهم في معسكرات الدورات الخاصة؛ لاحظنا الآثار السلبية للدورة التأسيسية وتأثير المعلومات الأولية عليهم، فقد أصاب الشباب حالة من الجمود الفكري والعملي وثبات على المعلومة التأسيسية وأصبح من الصعب مناقشتهم وإقناعهم، ومحاولات إقناعهم تنمي دفاعاتهم، لا جدوى من الكلام اطلب منهم تنفيذ عملية لتحرير رهائن من أحد المباني في المدينة، قدم لهم المعلومات وامنحهم الوقت للتنفيذ، سيصدمهم هذا الوسط ابتداء لكنهم سيتحركون وفق ما تدربوا عليه وببراعة، فإنهم يفتشون دوما على النقاط الحاكمة والزوايا ليحققوا عناصر الرؤية والارتكاز لدعم الاقتحام وتحرير الرهائن، وهم يشاهدون أهل المدينة في حركتهم اليومية الرجال والنساء والأطفال، وفجأة تباغتهم بمجموعة أكثر حركية

تهبط عليهم بالحبال من الأسطح أو تندفع نحوهم قافزين من على الدراجات النارية أو يطلقون النار[64] من سيارات مدنية، كما تفاجؤهم بعدد من الباعة المتجولين أو بقال أو حلاق يطلق عليهم النار من دكانه، وصبي مراهق يضغط على مفجر، وطبيب يقذف القنابل عليهم من نافذته، على حين غرة أصبح كل المحيط حولهم معادي ومسلح وقاتل، وقد تشتت انتباهم بين النوع والألوان والأعمار والمهن فالعدو لا يرتدي زيًا موحدًا ولا على صفة واحدة، ولا يوجد خط جبهة أو اتجاه واحد للهجوم وتنوعت الأسلحة التي يواجهونها، وتاهت النقطة المراد الهجوم عليها في ظلال هذه الفوضى، لحظات من الفوضى تداعى فيها كل شيء يعرفونه؛ ثوانٍ صدمت بقسوة نفسياتهم وأربكتهم؛ كانت كافية للقضاء عليهم، ساعتها يتعلمون أن العمليات النوعية تحتاج إلى مزج بين التعاليم العسكرية الخاصة وفوضى المدينة المسيطر عليها والمخطط لها بعناية، إنه فضاء جديد، إخضاع الشباب لتجربة خارج نطاق معرفتهم مثلت نوع من التواصل العملي حطمت دفاعاتهم؛ ومهدت لبدء الدورات الخاصة دون الحاجة إلى كثير من الشرح، وأصبح الشباب أكثر تقبلًا لتنوع الجبهات والآداء، وساهم في اتساع أفقهم وانفتاحه، وأكسبهم مرونة ذهنية بعيدًا عن النمط الجبهوي ومحدودية ساحته، فالعمليات النوعية ساحتها العالم وأهدافها متنوعة.

***

الحواس الخمسة [البصر، السمع، اللمس، الشم، التذوق] تمنحنا المعرفة الكاملة، لكن أغلب تجاربنا ومعرفتنا نحصلها من خلال البصر والسمع [الصورة والكلمات]، والناس إما بصريون أكثر أو سمعيون أكثر، وهذا مهم عند الرغبة في التواصل معهم خاصة مع الكوادر الذين نرغب في منحهم الثقة وتنميتهم والاعتماد عليهم، فلا بد أن نعرف أسرع وسيلة

[64] يستخدم في هذه التدريبات طلقات الفشينك ومحدثات الصوت وأزياء المدينة.

تحقق المرد معهم.

بعض الناس يستوعبون بشكل أفضل حينما نظهر بمظهر الجاهل الذي يكثر من الأسئلة والاستفسارات لنصل بهم في نهاية المطاف من خلال الشك والتنقيح والحذف والتعديل إلى النتيجة، وهم يظنون أنهم اكتشفوها سويًا، لكن خلال أيام محدودة يفهمون استراتيجيتنا في التواصل التي غرست فيهم كيف يرتبون تفكيرهم ويتخذوا من ذلك منهجًا في البحث والتخطيط.

بعض الناس يفهمون بشكل آخر إنهم بحاجة إلى مشهد تمثيلي لتعلق الصورة في ذاكرتهم وتشكل لهم منهجًا في الوصول إلى النتيجة طوال حياتهم، من ذلك عندما يخاف طفلك مما هو موجود في الظلام أسفل سريره، قم بالنزول معه أسفل السرير لفترة وتحدثا حول أي موضوع يناسب عمره، عندما تخرجان تنتهي مشكلته السابقة وينطبع في ذاكرته أن يواجه مخاوفه بدلًا من العيش هاربًا منها.

لذلك فإن تجربة تطعيم المعركة والتي تنفذها المعسكرات في نهاية دورات التكتيك تمثل نموذجًا يدمج بين الصوت والصورة، حيث ينطلق الشباب في مضمار الموانع وطلقات الأسلحة وقذائف الـ م/د وزخات الرشاشات وانفجار القنابل تحيط بهم وتمر من فوق رؤسهم وهم مع ذلك يقفزون من فوق النيران ويتجاوزون الموانع متقدمين إلى خط النهاية، إنها تجربة تكسر عندهم حاجز الخوف من التقدم في أرض المعركة أثناء احتدامها.

كل هذه الطرق التي تجعل الناس يستنتجون بأنفسهم أو يصلون للفهم السليم مع غيرهم هي طرق رائعة وعملية للاتصال والتواصل، وسواء كان الطرف المقابل صديقًا أو عدوًا فلا بد من التواصل معهما لبناء قناعات جديدة، فالحب والكراهية والصداقة والعداوة ليسوا من عناصر التواصل، ولكنهم في جوهر المراد من التواصل.

***

من المهم أيضًا معرفة البعد النفسي الذي يفتح قلوبهم وعقولهم، حتى يصلهم منا كل ما نرغب به دون أي عائق يحد من فهمهم واستيعابهم، فإذا أردنا أن نمنعهم من فعل سيء فلنظهر لهم صورة الضرر الذي يتسبب به، وإذا أردنا أن نرفع ثقة البعض بنفسه فعلينا أن نمنحه تجربة حقيقية، وإذا أردنا إيصال فكرة فأقم حولها حوارًا واتركهم يربطون بين النقاط ويستنتجونها بأنفسهم، الصمت وانعكاس الوجه يمنح الناس صورة تعبر بها عن الرضى والغضب والقبول والرفض، الوعظ يُؤتي ثماره إن كنت بليغًا تحسن صياغة أفكارك بالكلمات، والقصص تجذب بها انتباه غير المهتمين والتائهين، والشباب يحبذون التعبير الحركي الحماسي سواء في الكلمات أو الصورة، وكبار السن والشخصيات القيادية لا يصلح مواجهتهم فتجربتهم آسرة؛ التف عليهم من الأبواب الجانبية والخلفية.

وليفهم جيدًا كل من يشتكي العزلة؛ أنه نفسه مصدر عزلته وعجزه عن التواصل، فلا يلومن إلا نفسه.

***

31- استراتيجية الجبهة الداخلية [حصان طروادة]

حصان طروادة .. مجرد ذكره يختصر الكثير من الشرح .. التدمير من الداخل؛ لقد كان إلهامًا لكثير من العسكريين والفلاسفة والدعاة .. وبسببه تدمرت مدن وسقطت حضارات وحرفت عقائد .. المسيحية كانت أبرز ما دُمر بهذه الاستراتيجية.

على طريق دمشق؛ كانت البداية الجديدة .. إنه حصان طروادة [شاول بولس] الذي دمر المسيحية وأسس لجعل أتباعها حراسًا لليهود .. واتخذ من عقيدة ميثرا أساسًا للعقيدة المسيحية المعروفة اليوم .. كانت بداية شاول إضطهاد[65] وقتل أتباع المسيح -عليه السلام- من اليهود .. إلا أنه في مشهد مسرحي "شكسبيري" انقلب على طريق دمشق إلى داعية للمسيحية.

ما جدوى الركض خلف الناس ومطاردتهم إذا كان الهدف هو اغتيالهم؛ سفك الدماء نوع؛ وهناك نوع آخر من الاغتيالات أكبر أثرًا .. اغتيال العقيدة بتحريفها وتحويل أتباعها إلى مسخ.

على طريق دمشق؛ كان التحول حيث أظهر شاول ولاءه للمسيح -عليه السلام- ورغم أنه لم يلتقه حيًا يزعم أنه أُرسل بمعجزة من قبل المسيح والله للأم .. جاء في رسالته[66] لأهل غلاطية: [[1]بُولُسُ، رَسُولٌ لاَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ بِإِنْسَانٍ، بَلْ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاللهِ الآبِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ ...... [15]وَلكِنْ لَمَّا سَرَّ اللهَ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ

---

[65] حتى هذه المعلومة (الاضطهاد) غير مؤكدة فلقد تربى بولس على يد رجل فريسي اسمه غمالائيل الذي كان يمنعهم من قتل المسيحين ويأمرهم بالرفق معهم، إرجع لأعمال الرسل الإصحاح الخامس.

[66] رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية الإصحاح الأول - كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت – الإسكندرية – مصر http://St-Takla.org

أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ [16]أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْمًا وَدَمًا] .. وهو بهذا مخالفًا تعاليم المسيح -عليه السلام- الأساسية لتلاميذه في إنجيل متى:[67] [[5]هؤُلاَءِ الاثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلًا: « إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. [6]بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ » ..... [24]فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ».] .. ومع مخالفة حركة بولس الشنيعة لهذه النصوص الواضحة إلا أنه حقق نجاحًا باهرًا.

وقد عرف شاول نفسه قائلًا: [[5]مِنْ جِهَةِ الْخِتَانِ مَخْتُونٌ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ، مِنْ جِنْسِ إِسْرَائِيلَ، مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ، عِبْرَانِيٌّ مِنَ الْعِبْرَانِيِّينَ. مِنْ جِهَةِ النَّامُوسِ فَرِّيسِيٌّ. [6]مِنْ جِهَةِ الْغَيْرَةِ مُضْطَهِدُ الْكَنِيسَةِ. مِنْ جِهَةِ الْبِرِّ الَّذِي فِي النَّامُوسِ بِلاَ لَوْمٍ] الرسالة لأهل فليبي[68].

***

حكى الله سبحانه وتعالى عن الفكر العسكري اليهودي في الدفاع ودلنا على حقيقتهم الداخلية الهشة {لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ {14} سورة الحشر، وما الجدار العازل إلا انعكاس لفكرهم القديم في العصر الحديث، وقد انعكست فلسفتهم هذه على الإنجليز حيث تسور المياه الجزيرة، وهو ما نجده بصورة واضحة في استراليا وبشكل ما في أمريكا، فهذه قلاع بحرية محصنة بالمياه وبالأسلحة الدفاعية، ولكنهم نسوا شيئًا في منتهى الأهمية، فقد أنفقوا الكثير في بناء الدفاعات وأنفقوا القليل على بناء الإنسان، وهو نقيض ما يفعله المسلمون الذين يهتمون ببناء الإنسان ليكون حاضرًا كأنهم فيلق للدفاع عن الدين والعرض والأرض في الصراع مع الأخر، وقد حاولوا كثيرًا بالحرب المباشرة أن

---

[67] إنجيل متى - كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت – الإسكندرية – مصر http://St-Takla.org

[68] رسالة بولس الرسول إلى أهل فليبي - كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت – الإسكندرية – مصر http://St-Takla.org

يقضوا على الإنسان المسلم وفشلوا، فدرسوا تاريخ المسلمين وأدركوا أن الذي أوقف المد الإسلامي ليس الحضارات الأخرى وإنما الانقسامات العقدية والصراعات الداخلية، فبدلًا من الحرب لجؤوا لحصان طروادة وعمدوا إلى هدم الإنسان المسلم وضربه بتحريف عقيدته فظهرت الفرق الجديدة، ثم انتقلوا إلى الرابطة السياسية فأسقطوا الخلافة، ثم قسموا أرضها وضخوا الفتنة بين أبناء الأمة الواحدة، فعدنا لما هو أشد من فترة الانقسامات والصراعات الأول، فحققوا نجاحات مهما طال وقتها فهي مؤقتة؛ لأنه كما للبيت رب يحميه فللدين رب يحميه.

ويمكننا أن نقول نفس الشيء عن نقاط ضعفهم؛ فعندما نستحضر إسرافهم في الإنفاق على الصراع وشحهم في الإنفاق على بناء الإنسان الغربي، فمهما كان الموقع الجغرافي قويًا إلا أنه يظل هشًا من الداخل، إن نفوذنا للداخل الغربي كان وما زال عسكريًا بحتًا وإن حملت عملياته رسائل سياسية إلا أن هذه استراتيجية غير كاملة للنصر في الصراع.

عندما اتخذت القاعدة قرار ضرب الولايات المتحدة الأمريكية كزعيمة للغرب من الداخل كان لتحقيق عدة أهداف جديدة بخلاف ما سبق ذكره؛ منها: إيقاظ الأمة الإسلامية والمستضعفين حول العالم، إسقاط هيبة القوى العظمى، لفت الانتباه لهشاشة الداخل الغربي، نقل الصراع لأرض العدو لتكبيده كافة التكاليف ... إلخ، ولأهمية الضرب من الداخل قدمنا 19 من خيرة رجالنا في الحادي عشر من سبتمبر، تمكنوا من الإقامة قرابة العامين ثم تركوا أثرًا لا يمحوه الزمان، ورغم النجاح الكبير للعمليات وتحقيق الأهداف المتوقعة وغير المتوقعة؛ تظل هذه الاستراتيجية ناقصة لأن الاختراق المطلوب أكبر من قدرات التنظيمات وحتى بعض الدول، فالاختراق الكامل بحاجة لتضافر أبناء الأمة الواحدة لإحسان الحركة بجوادي الإسلام [الدعوة والجهاد]، ولا نجاح وانتشار للدعوة بدون الجهاد ولا نصر كامل للجهاد بدون الدعوة.

ويلاحظ التباين بين قدرة العمل العسكري [حرب العصابات] على هزيمة وطرد المحتل الأجنبي، في حين تفقد الكثير من قدرتها عند إزالة أنظمة الحكم المحلية والإقليمية.

من مساوئ العمل العسكري الداخلي [حتى بحرب العصابات] أنه يهدم الانسجام المجتمعي ويستهلك الاقتصاد ويدمر البنية التحتية، في حين أن الثورات المخطط لها من الداخل ذات فاعلية في هذا الباب، قد يحتج البعض بالانقلابات العسكرية، وهذا وهم؛ فحقيقة الانقلابات أنها ليست تغيرًا للنظام وإنما تغيير سيء للوجوه والعقول، سواء تم الانقلاب على حكم ملكي أو جمهوري، فالعسكر ليس لديهم برنامج يقدمونه للشعب، فيعيدون انتاج النظام على أسوء منحى لأنهم نموذج للجهل والخيانة؛ يفضح ذلك أقوالهم وتصرفاتهم الحمقاء.

ويبدو أن الهشاشة الداخلية هي سمة عامة في جميع الدول، وحتى في أشرس مؤسسات الدول [وزارة الداخلية بمصر] التي أُرهقت في أول أيام انتفاضة 25 يناير 2011 وسرعان ما انهارت وتلاشت من الصورة، ورغم تعدد أجهزة الوزارة إلا أنها لم تصمم لتواجه الشعب بتجمعاته المهولة، حتى الجيش لا يقوى على مواجهة ثورة شعبية.

بقي أن نقول أن سور الصين العظيم لم يحم الصين من الاحتلال، فهل كان عبقرية عسكرية في وقتها أم كانت فكرة خرقاء؟، وهل كان الأولى لهم الاهتمام ببناء الإنسان بدلًا من بناء السور؟!!، وبالتالي بماذا سينفع جدار الفصل[69] العنصري اليهود في فلسطين؟ فالصراع رغم أنه تجاوز مرحلة السيف والرمح إلا أن الأسوار يسهل نقبها

[69] قال الله جل في علاه عنهم وعن فلسفتهم العسكرية: {لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ {13} لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ {14} الحشر، وبشرهم سبحانه وتعالى بالهزيمة رغم قدرتهم على استنفار الدول وجيوشها فقال: {ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا {6} إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا {7} عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا {8}.

بمطرقة وأزميل أو التسلل من تحتها أو إزالتها بعبوة متفجرة؛ ويمكن الاستفادة من وجوده بحصار من فيه وتجويعهم، فكيف بالتسلل إلى داخله والعمل بالطابور الخامس من المستائين والمناوئين، السور يعبر عن ضعف وخوف ويأس من يقيم فيه حيث انعدمت الثقة في قدراتهم وتحولت لكومة من الحجارة هي أقوى ما ركنوا إليه، إنه عار على من فكر في بنائه؛ والحماقة أبت أن تغادر أهلها.

***

التلفاز هو أخطر حصان طروادة يهدد المجتمعات البشرية، لقد تغول عميقا حتى صار في كل البيوت، إنه يفوق قوة المدرسة والمسجد والكنيسة والمعابد كلها، فهذه كلها تتعامل مع الفرد أما التلفاز فإنه يتعامل مع الأسرة مجتمعة وأثره مباشر فهو يتسلل من خلال حاستي السمع والبصر، التلفاز يعمل وبمنتهى النعومة على تغيير العادات والتقاليد ويعبث بالموروثات الثقافية، ويهدم الغيرة الفطرية ويعيد تشكيل نموذج القدوة، كما يعمل على انتقاص العقائد وتحريفها وغرس سلسلة جديدة من الأفكار المنحرفة والمضللة سواء كانت دينية أو سياسية، ويعيد تشكيل العقلية لتنسجم مع التوجه اللاأخلاقي والإلحادي وقبول الآخر وثقافته ويميع الأسس والمبادئ، ويترك الإنسان ممزقًا لا يميز الحلال من الحرام ولا الصحيح من السقيم، إنه وببساطة يعيد تشكيل الإنسان ولا يفرق في ذلك بين مسلم أو كافر ليحوله إلى وحش بلا رحمة أو مسخ ضال منحل لا يهتدي لسبيل.

***

استراتيجية حصان طروادة هي للنخبة، سواء كانوا عسكريين أو مدنيين، إنها تحتاج إلى قدرات خاصة نفسيًا وذهنيًا، كما أنها تحتاج إلى تدريبات خاصة لا يقوى عليها إلا النخب المختارة، والروايات التاريخية تؤكد على أن المناورة الذهنية للرجل الواحد من الداخل تؤتي ثمارها على أفضل وأكمل وضع؛ لكن نتائجها ليست آنية لأنها كالبذرة تنمو مع

الوقت حتى تنضج ثمارها على أحسن شكل، أما في العمل العسكري فإن مناورة هذه الاستراتيجية بدعة في التخطيط والتكتيك، ولهذا تؤتي ثمرتها في الحال، لكنها جزء من الخطة العسكرية تستخدم لتجاوز عائق أو لتوجيه ضربة نوعية تشل القيادة لفترة زمنية، وإن لم يتم استثمار نتائجها في الحال تضيع فرصة تحقيق نصر حاسم، ومع هذا تظل ضربة تاريخية مؤلمة وملهمة.

***

يتسم الرجال الذين يقودون عملية التغيير المنهجي أو العسكري بصفات نفسية وذهنية، نذكر منها الحلم والأناة والصبر والطموح لاستثمار الفرص، مع حسن الخلق والسخاء والتماس الأعذار وحسن المداراة، ودقة فراستهم ووعيهم بمفاتيح الصراع وخصوصية تجربتهم، والقدرة على استشراف المستقبل [التنبوء]، والقدرة على توقع تصرفات القادة في الطرف الآخر، وفهمهم العميق لسلوك الجماهير وقدرتهم على استثمارها ببراعة؛ مع سرعة رد فعل فطرية، ولديهم الموهبة على الخطابة والقدرة على الإقناع والمناظرة وإلهام الأخرين، والتأثير في الناس وتقديم القدوة القيادية الفذة، وفهمهم لمعاني المشاركة في التغيير وإدارتهم للتركيبة الاجتماعية والدينية والعرقية لشعبهم، وسبر أغوار الرجال وحسن توجيههم واستخدامهم وفق تخصصاتهم وما يبرعون فيه.

إن النابهين من أحسن الناس بناءً للرجال ومن أبعد الناس شكًّا[70] في رجالهم؛ لأنهم يبقونهم موحدين حول قضيتهم منشغلين بها مدافعين عنها راضين عن قيادتهم ومحبين لها، إنهم ماهرون في استخدم قواهم الناعمة ليتسللوا عميقًا في المهمة، هؤلاء الرجال النابهون يمارسون مناوراتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية والعسكرية لإحداث

[70] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ حَدَّثَهُ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ كَلَامًا نَفَعَنِي اللَّهُ بِهِ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ - أَوْ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّكَ إِذَا اتَّبَعْتَ الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ» فَإِنِّي لَا أَتَّبِعُ الرِّيبَةَ فِيهِمْ فَأُفْسِدَهُمْ. [قال الشيخ الألباني] : صحيح، الأدب المفرد مخرجًا.

أثرًا إيجابيًا في ميداني التغير المنهجي والعسكري.

كما تعتمد هذه الاستراتيجية على قدرتنا على إعداد النابهين بشكل ممتاز وتلقينهم فن التغيير وفلسفته ونظرياته ومقومات النجاح لكل نظرية .. وأساليب القيادة والتأثير في التجمعات البشرية، ودراسة التاريخ والتجارب الإنسانية واستراتيجيات التغيير والفروق بينهما، ومن أهم دروس التاريخ قصص الأنبياء والقيادات الفذة اللامعة عبر التاريخ، والتاريخ العسكري للحروب الكبيرة والمعارك الفاصلة للبشرية؛ خاصة خلال آخر قرنين من الزمان، والاطلاع على الأديان والمذاهب، ودراسة الجغرافيا السياسية والاجتماعية ومعرفة العادات والتقاليد والموروثات الثقافية في إقليم العمل، ومعرفة مواقع الثروات ودراسة نظريات ورؤى الاقتصاد للإقليم، وتعلم الفنون العسكرية المناسبة لإقليمهم، فالرجل القائم على عملية التغيير خاصة في الجانب المنهجي لا بد أن يكون موسوعة جامعة مانعة حتى تتيسر له سبل النجاح، إنها موهبة فطرية يتم إشباعها بالعلم والمعرفة.

***

استراتيجية الاختراق المنهجي [حصان طروادة الفكري] للتأثير على الناس؛ وإحداث التغيير المتسلسل سواء أثناء حياة المنفذ أو بعدها تقوم على أساس متين: حجر الزاوية فيه هو المنهج[71] المقدم للناس وقدرته على علاج السلبيات الروحية والعملية في حياتهم بصدقه ونزاهته في تعاملاته، وشرائعه التي تضبط عباداته وعاداته، وضوابطه التي تقيم العدل والمساواة في القضاء والمعاملات، وحسن خطابه الإيماني وتزكيته لأرواحهم، وأخرى هامة لا نجاح بدونها وهي التزام القائم على التغيير بأخلاقيات وآداب المنهج وشرائعه وأوامره ونواهيه.

كذلك يعتمد بدرجة أقل من سابقه على فهم النابهين المفكرين للوسط المحيط [المكان

[71] هذا الباب كان أساس لقبول الدعوة الإسلامية.

والزمان والناس] وخاصة الطبيعة النفسية لسكان الإقليم وتاريخهم الثقافي والعسكري والإمكانات التي تتوفر في أرضهم، لأن الناهين بحاجة لاستثمار معرفتهم بكل ذلك في نجاح دعوتهم وعملية التغيير، وإدراك المؤثرات النفسية للناس لتلهمهم بما ينبغي عمله لتيسر قبول الناس للدعوة والتشبث بها ونشرها والدفاع عنها.

تعتمد هذه الاستراتيجية أيضًا على الوضع الاقتصادي لطرفي العملية، فما هي القدرات الاقتصادية لتمويل برنامج التغيير، وما هي الحاجات البشرية الحالية للمدعوين وما هي طموحاتهم المستقبلية، وبقدر ما يتوفر في هذا الباب من دعم مادي يمكن به تقديم التعويضات والمساعدات للمساكين وإعانة الفقراء بقدر ما يتحقق النجاح، ومن ذلك أيضًا الانفاق الإعلامي لتبليغ الرسالة بكافة الوسائل الممكنة، والسخاء نافع في التجنيد وكسب الولاءات، فمن الحكمة تحييد المنافسين والقبائل، والسعي لتفريق صف الأعداء كما عرض رسول الله ﷺ على غطفان في غزوة الأحزاب، وتعامله مع المؤلفة قلوبهم، فمنهم من كان يعطيه ﷺ دفعا لأذاه ومنهم من كان يعطيه طمعا في إسلامه وإسلام نظرائه وأتباعه ومنهم من كان يعطيه ليثبته على إسلامه لقرب عهده بالجاهلية.

وتمثل القوى الخشنة والناعمة الركن الرابع لهذه الاستراتيجية، الناس يعشقون القوة كما تأسرهم الأخلاق الحسنة، وهما جوادان لا يمكن الاكتفاء بأحدهم، فالتتار رغم براعة قوتهم الخشنة إلا أنهم لم يُغيروا وتَغيروا، والإسلام انتشر في كثير من المناطق[72] بحسن أخلاق التجار المسلمين وسلوكهم الطيب وتقاليدهم الراقية.

لا شك أن هناك أركانًا وزوايا أخرى لهذه الاستراتيجية واكتفي بما تقدم.

برع في تنفيذ هذه الاستراتيجية الكثير من الدعاة والمبشرين غير النظاميين، سواء كانت عقائدهم سماوية أو أرضية؛ فقد أخذوا بأسباب النجاح وحققوه بأساليب متنوعة

[72] الساحل الإفريقي والهندي وبلاد وجزر شرق آسيا وغير ذلك.

تناسب الأقاليم الاجتماعية المختلفة، ولهذا من المفيد الاطلاع على سيرهم للاستفادة من أسلوبهم في مناطق العالم المختلفة، فما يصلح للهند قد لا يصلح للصين، وما لا يناسب أوروبا قد يناسب أفريقيا، وما هو حيوي في أمريكا الجنوبية قد يكون غير مجدي في الشمالية، وما تستقيم به استراليا قد لا تستقيم به مدغشقر، ومن يناسب عبد العزيز آل سعود ومن يناسب الشريف حسين، وتظل دراسة سير الأنبياء وكبار الدعاة والعلماء واتباعهم هي الأصل والمرجعية.

***

وحتى ينجح المكلف[73] في عملية الاختراق والخداع؛ عليه أن يكون عالمًا بالوسط الذي سوف يعمل فيه ليحظى بانتباههم واهتمامهم، وأن ينجح في إظهار ولائه للوسط المراد اختراقه؛ لا محبتهم، فهذه نقطة تفوقه النفسية التي لا تلزمه بشيء تجاههم، ويجتهد في تشكيل تحالف مع من يمكنهم أن يدعموه[74] ويساندوه داخل الوسط.

كما عليه أن يكون طموحًا وموهوبًا في التخصص الذي سيعمل على إزالته أو تغييره ليؤكد على تميزه وتفوقه وتقدمه للصفوف وانتشار اسمه بين قواعدهم ومن ثم التأثير فيهم، وحين يتوغل عميقًا في داخلهم يمكنه جمع ما يريد من معلومات حول أسلوب عملهم والتعرف على دقائق أمورهم ونقاط الضعف والنفاق لكوادرهم، وحين يصل لذلك يبدأ في التغيير من الداخل، تمامًا كالنمل الأبيض ينخر الخشب من الداخل بصمت وبصبر

---

[73] لقد مثلت عملية اغتيال كعب بن الأشرف نموذجًا عسكريًا لهذه الاستراتيجية؛ وبرع محمد بن مسلمة رضى الله عنه في آداء دوره باحتراف، وإن صحت الرواية عن دور نعيم بن مسعود ﷺ في غزوة الأحزاب فقد نجح وبمهارة في تفتيت وحدة الكفار ومثلت مناورته نموذجًا لفن الخداع السريع.

[74] إن صدقت الرواية المكتوبة عن العين (الجاسوس) المصري رفعت الجمال "رأفت الهجان"؛ فيمكننا أن نقول أنه كان بارعًا في النقاط السابقة ومثل نموذجًا لفن الخداع العميق، هذا تقييم ميداني وليس ديني أو أخلاقي لغلق باب الجدال.

دون أن يلمحه أحد أو يحس به، حتى الجن[75] لا يدركون ذلك وإلى لحظة الانهيار حينما يسقط كل شيء محققًا المفاجأة الكاملة.

هكذا تمكن شاول بولس [رسول إبليس] من تحريف وإفساد المسيحية؛ بعد أن أعيته المطاردة والقتل المادي، لقد تخلى بذكاء عن الانشغال بالأطراف أو الاصطدام بالأسوار، وتسلل مباشرة إلى المركز فعلًا وقولًا.

لقد ذهب ليصادق أعداءه وشق طريقه إلى قلوبهم وعقولهم، وتعرف على مخاوفهم واحتياجاتهم، فأربكتهم قدرته على إظهار صدقه فتلاعب بهم وبعواطفهم، وسارع في إشباع هواهم ثم سحبهم باتجاهه وشرع في تحريف المسيحية، وأفسح المجال أمامهم لمزيد من الانحراف ليدمروا أنفسهم بأنفسهم، والأدهى والأمر أن يتحولوا لكلاب حراسة لليهود لإقامة مملكة المسيح تمهيدًا لعودته.

نعم؛ لقد نجح شاول بولس في مهمته!!.

لقد عمل "شاول" وحده واستمر طويلًا وحده؛ فالمؤامرة لا تنجح بدون السرية، وزيادة عدد المتآمرين مبكرًا يفشلها لاحتمال ورود الأخطاء مع زيادة العدد، أما إن كان وحيدًا وربى تلاميذ جدد على فكره ومنهجه فلا سبيل لاكتشاف الخدعة؛ العمل منفردًا كما الذئاب المنفردة هو درب للنجاح الكامل.

***

في المناورات العسكرية اهم هذه الاستراتيجية بقلة عدد العاملين، وأعلمهم بأقل قدر

[75] قال تعالى: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ {12} يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ {13} فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ {14} سورة سبأ.

من التفاصيل، وعند التحرك حين يضيق الوقت وتنعدم فرص التراجع أو الغدر أطلعهم على البرنامج، ثم التزم بالخطة، احرص على بقاء معنويات فريقك بآمان، وأغلق مضخات طاقة أعدائك بتدمير معنوياتهم من الداخل باستغلال الميول السلبية للمستائين ببث الأراجيف وبتثبيط الهمة ودعم حالات الإحباط بغرس بذور الشك والقدرة على المقاومة فكيف بالنصر، لا علاج لهذه الفيروسات؛ فالقيادة أمامها خياران الأول أن يواجهوا بقسوة جنودهم فيفقدون القدرة على قيادتهم، أو يغضون الطرف فيسمحون للفيروس بمزيد من الانتشار، لا شيء أسوء من تشويش الرؤية على القيادة، هكذا تفعل الجبهة الداخلية في صف العدو: تنشر الفرقة وتصيبه بالارتباك والتشويش، وهذا يمنحنا أفضلية للتفوق على الأعداء، منهجيًا وعسكريًا، ورحم الله أبو دجانة الخرساني "همام البلوي".

***

يقول عباقرة الصراع اعرف نفسك واعرف عدوك، لقد اكتفينا دائمًا بدراسة العدو البشري وغفلنا عن دراسة العدو الرئيسي، إننا بحاجة للقراءة أكثر عن الشيطان، لأننا لم نعرف العدو جيدًا، ومعرفة العدو ومعرفة أنفسنا هو من أهم المبادئ التي تساهم في تحقيق النصر، فما هو تاريخ الشيطان، مما خلق وإلى ما صار، ممارساته، حيله، قيمه، سبله، رؤيته للإنسان، أسلحته في الصراع، أعوانه على المستوى النفسي [الشهوات]، قدراته على الإغواء والإغراء [التزيين] ... إلخ.

لم تتطور فلسفة الصراع بمرور الزمان بين الإنسان والشيطان، فالبداية والنهاية واحدة وإن اختلفت مسيرة الأحداث؛ وسيظل عدونا الرئيسي إلى يوم الدين، لنلقي نظرة سريعة إذن على هذا التاريخ، اللقاء الأول كان آدم عليه السلام ممددًا بلا روح فخاف منه إبليس: «وَكَانَ أَشَدَّهُمْ مِنْهُ فَزَعًا إِبْلِيسُ فَكَانَ يَمُرُّ بِهِ فَيَضْرِبُهُ فَيُصَوِّتُ الْجَسَدُ كَمَا يُصَوِّتُ الْفَخَّارُ تَكُونُ لَهُ صَلْصَلَةٌ،.... وَيَقُولُ لِأَمْرٍ مَا خُلِقْتَ!. وَدَخَلَ مِنْ فَمِهِ وَخَرَجَ مِنْ

دُبُرِهِ، فَقَالَ إِبْلِيسُ لِلْمَلَائِكَةِ: لَا ترهبوا من هذا فإنه أجوف ولئن سُلِّطْتُ عَلَيْهِ لَأُهْلِكَنَّهُ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ إِذَا مَرَّ عَلَيْهِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ يَقُولُ: أَرَأَيْتُمْ هَذَا الَّذِي لَمْ تَرَوْا مِنَ الْخَلَائِقِ يُشْبِهُهُ إِنْ فُضِّلَ عَلَيْكُمْ وَأُمِرْتُمْ بِطَاعَتِهِ مَا أَنْتُمْ فَاعِلُونَ! قَالُوا: نُطِيعُ أَمْرَ رَبِّنَا فَأَسَرَّ إِبْلِيسُ فِي نفسه لئن فضل علي فلا أطيعه، ولين فُضِّلْتُ عَلَيْهِ لَأُهْلِكَنَّهُ» ... ثم في لقاء آخر {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ {20} وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ {21} فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ {22} سورة الأعراف».

لقد بدأ الشيطان الصراع مرتبكًا فزعًا، وحينما عرف خصمه جيدًا مهد للصراع معه بالتوعد والتهديد، فلما أدرك إبليس حب الله لآدم عليه السلام ورعايته عجز عن أن ينال منه؛ فلما تمكن الحسد والكراهية من إبليس تحول إلى الإلهاء والإغواء والتزيين، ليُسقط آدم في المعصية، وهكذا استمرت مسيرته مع بني آدم، فعمد إلى إيقاع الفتنة بينهم، ثم زين لأتباعه القتال والصراع، ولقد تبرأ[76] من أتباعه في الدنيا، وخذل[77] ضحاياه في الآخرة، فهل فلسفة الصراع كما هي منذ فجر التاريخ أم أننا كبشر نضل وننسى؟!.

***

مهما بذلنا من جهود فالصراع بين البشر ماض إلى قيام الساعة، لقد بدأ حينما كان عدد

---

[76] قال تعالى: {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ {48} سورة الأنفال.

[77] قال تعالى: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {22} سورة إبراهيم.

سكان المعمورة أقل من عدد أصابع الإنسان؛ ولهذا علينا أن نجعله أكثر عدالة، ونبين للناس كل الناس حقيقة الصراع وحقيقة الاصطفافات؛ ونبذل في ذلك الوسع، لأن مهمتنا الأساسية إنقاذ البشر من براثن الشيطان وإعادتهم إلى مخيم الرحمن.

صممت الحصون والقلاع والأسوار لتمنع دخول العدو، ولكنها لم تصمم لتواجه قوة من الداخل، حصان طروادة العسكري صمم لإحداث ثغرة في استراتيجية العدو الدفاعية تسهل السيطرة على الحصون، حصان طروادة المنهجي صمم لإحداث نقلة عقدية تأخذ بيدهم إلى الخير والنجاة، هذا التكامل هو من أهم السبل لإنقاذ البشرية من براثن الشيطان.

***

لمواجهة هذه الاستراتيجية [حصان طروادة]: علينا ببناء الإنسان المسلم وتزويده بما يحتاج من معرفة وعلم يحصن نفسه من فيروسات الأعداء، السيطرة على الإعلام ووسائله خاصة التلفاز والسينما والإنترنت، إن استراتيجيتنا الإعلامية تبنى لنشر القيم والمبادئ وإحياء العقيدة والموروثات الثقافية للأمة والتمسك بالعادات والتقاليد السليمة والخالية من الشوائب الاجتماعية أو المخالفة لقواعد الدين، إنها تهدف بالإساس لإعادة البشر إلى إنسانيتهم الحقيقية وفطرتهم النقية، لا غنى عن بناء أجهزة أمن وقائية تتسم بالأمانة والموضوعية من خلال إجراءات ووسائل تمنع اختراق العدو لجبهتنا الداخلية، لا بد من فسح المجال أمام المتخصصين لدراسة العقائد المناوئة للتعرف على ما بها من نقاط ضعف تمنحنا القدرة على بيان فسادها وتسهل سبل اختراقها، إعداد الجبهة الداخلية نفسيًا ورفع وعيها لتقاوم أراجيف العدو ودعايته، إعداد جيش قوي ومدرب تدريبًا راقيًا ودعمه بكل تقنيات العصر الممكنة، الدعاية لأبطال الأمة المعاصرين وتمجيد الشهداء وبيان بطولاتهم وتضحياتهم لغرس القدوة في صدور الأجيال الناشئة؛ فالناس يعشقون القوة والبطولة.

إن التربية الروحية مع التربية الجهادية تضيئ في سماء الأمة فتكشف وتفضح حالات التسلل وتفشلها، بل إن انتشار أشعتها تغري الأعداء بالانقياد لها، وهكذا تفعل القوة الخشنة والناعمة بالناس.

***

32- استراتيجية الاستضعاف [اللاعنف]

الضعف مؤلم .. وهو مرحلة يمر بها الكثير من الناس .. والجماعات .. والدول .. وهي تستلزم تجرع الصبر لمواجهة واقع قد يتسبب بالفناء.

حول ضعفك إلى قوة .. أحسن استخدام قوة الضعف باستثمار إمكاناتك المتاحة أفضل استثمار ممكن .. دون إسراف أو تقطير .. اجذب إليك الحلفاء .. اسحب عدوك إلى ميدانك سيصاب بعجز القوة في مقابل حركية الضعف.

قد يرى بعض الناس أنهم يملكون القوة الكافية للإفصاح عما بخاطرهم ومواجهة الناس بجرأة وأحيانًا وقاحة .. إنهم ضعفاء؛ وضعفهم هنا من انعدام قدرتهم على مدارة الناس .. وإدارتهم .. يمكنك فرض الكثير بالقوة ولكنك لن تكسب قبول الناس وحبهم وولاءهم .. المدارة تجعل الناس يرغبون فيك ويمنحونك ولاءهم بحب .. واعلم أن الأقوياء الحكماء يلوذون بالضعف من باب تأليف القلوب ومداراة الناس.

لا يجب أن يتجاوز الضعف المدارة إلى المداهنة .. المداراة أن تداري الناس على وجه يسلم لك دينك .. المداهنة التماس رضا الناس بسخط الله .. ومن المداهنة إظهار الرضا عن باطل الخصم مع الاعتقاد أنه باطل .. وانتظار فرصة أخرى لإعلان ذلك .. إن حقيقة المدارة بذل الدنيا بالدنيا أما حقيقة المداهنة فهي بذل الدين بالدنيا.

يرى الناس أن الحلم فيه ذل وجبن .. ربما .. لكنهم لا يفقهون قوة الحلم .. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .. وقَالَ الحَسَنُ: أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه؛ عَصَمَهُ اللَّهُ مِن الشَّيْطَانِ، وحَرَّمَهُ عَلَى النَّارِ: مَنْ مَلَكَ نَفْسَه عِنْدَ الرَّغْبَةِ والرَّهْبَةِ والشَّهْوَةِ والغَضَبِ.

***

العدوانية المستكينة فلسفة بقاء، وللحفاظ على العقائد والموروثات والتقاليد والعادات في ظل وسط معادي، وهي تمثل سلوك سلبي ونموذج للانتظار حتى تنقلب الموازين ومن ثم تسير وفق متطلبات سبل التغيير، وهي تعبر عن حالة القهر والذل الذي يفرضه الواقع من أجل التعايش، كما قال المتنبي:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيا علَى الحرِّ أنْ يَرَى *** عَدوّا له مَا مِنْ صَداقتِه بُدُّ

قد تناسب هذه الاستراتيجية طبيعة التعايش اليومي بين الناس حيث يصعب التملص من العداءات اليومية بغيرها، كما يصعب علاج المشاكل بصراعات لا تنتهي في المنحنيات اليومية للحياة؛ فيميل الناس إلى كبت غضبهم والسيطرة على مشاعرهم، وهذا يكسبهم تعاطف الأخرين ويشعر خصومهم بالذنب، فعقدة الذنب تعبر عن قوة العجز أمام المتسلطين الذين لا تزال ضمائرهم مستيقظة وتؤرقهم نظرة المجتمع إليهم، أما من تجاوزوا ضمائرهم فلا يزيحهم وينتزع الحقوق منهم إلا سلطان القوة.

والمعايش لهذا الزمان يجد أنه عالم بلا أخلاق أو مبادئ، ومنذ تفشت فيه الانقلابات العسكرية اتسم بالانحطاط الأخلاقي وغلبت عليه الأنانية والمصالح، وأصبح كل شيء يباع ويشترى وبدونية وحقارة حتى بين الحلفاء وعوام الناس [صفقة الغواصات الاسترالية والتي سرقتها أمريكا من فرنسا - الاستيلاء على شحنات الكمامات الطبية بين دول أوروبا - هجمات العوام على المواد التموينية خلال أزمة كورونا وما تلاها من تضخم]، فهل هناك نظام حكم في العالم اليوم تؤرقه عقدة الذنب؟! التي بنيت عليها فكرة اللاعنف.

***

اللاعنف فلسفة إصلاحية لا تغييرية، فهذا هو السياق المناسب لها، وبالتالي فهي تتم داخل المنهج الواحد الذي شابه انحراف أو تخلى عن بعض مبادئه، أو عند الرغبة في

تخفيف بعض الضوابط، من هنا نفهم المهمة التي سار عليها الكثير من أنبياء بني إسرائيل من بعد نبي الله موسى عليه السلام فقد كانت دائمًا إصلاحية لتعالج انحرافات بني إسرائيل التي لا تنتهي سواء كانت عقدية أو تشريعية أو تعاملية، وقد تكون تكميلية لرسالة نبي الله موسى عليه السلام؛ كما جاء عن نبي الله عيسى عليه السلام فيما ساقه متى في إنجيله المحرف في الإصحاح الخامس: [[17]لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ.].

قد يعزو البعض فلسفة اللاعنف إلى المهتاما غاندي، لكن لها مؤسسين أقدم منه بقرون، الأعلى فيهم رتبة هو نبي الله المسيح عليه السلام وتلميذه يهوذا الاسخريوطي، لقد فرض المسيح عليه السلام الإصلاح بالحب والرفق والتواضع والمعجزات، وتحمل الألم والمطاردة منذ نعومة أظافره إلى أن رفعه الله، وتحمل تلميذه يهوذا الإسخريوطي معاناة الصلب والفداء لنصرة العقيدة والثبات على الإيمان، وكان لهذا أثر كبير في ثبات تلاميذ وأتباع المسيح عليه السلام على دينهم وتحملهم المشاق في سبيل دعوتهم إلى أن زيفها شاول بولس؛ واستمرءها ولوثها أكثر القساوسة والرهبان إلى يومنا هذا.

وعندما يظن البعض أن استراتيجية اللاعنف ستقود إلى التغيير فإنهم واهمون، فعادة ما يصلون إلى دون ذلك، ربما يجدون شيئًا من الإصلاح، وهذا ما حدث مع المهتاما غاندي فلا زالت الهند -إلى يومنا هذا- تفتقر للسيادة والاستقلال وتتبع الغرب في ثقافته واقتصاده وعادته وتقاليده وتدين له بالولاء، وما يبدو استقلالًا في عين الشعب فحقيقته استعبادًا اقتصاديًا له، وستظل الهند من ضمن عسكر الإنجليز والأمريكان تنصاع لأوامرهما في تصعيد العداء أو خفضه مع جارتيها الصين أو باكستان بحسب مصالح الغرب لا مصالحها، الأسوء من الهند جنوب أفريقيا التي تمثل نموذجًا أكثر وضوحًا للعنصرية والاستكبار، وهذا حال دول الكومنولث الانجليزي وحتى الروسي.

إن فكرة الكومنولث تمنح الإمبراطوريات فرصة لالتقاط أنفاسها لتعود مستقبلًا للسيطرة [روسيا وجمهوريات أسيا الوسطى]، كما تمنح المحتل صك غفران وتمنحه فرصة للانتعاش دون أن يعوض ضحاياه بشيء [بريطانيا - الهند وغيرها]، إنّ فلسفة اللاعنف أخرجت الصراع عن تطوره الطبيعي وميعت العلاقة مع المحتل أو الظالم كعدو؛ بل زيفت بقاء المحتل عبر وكلائه تحت ستار الصداقة والمصالح المشتركة، وتَخَدّرت بهذا الشعوب حيث يغلب على ظنهم أن العلاقة بنيت وتسير على أساس الندية لا العبودية، ولهذا لم ينجح غاندي كما لم ينجح مانديلا ... لقد كان الاستقلال خدعة إنجليزية؛ كما كان تقسيم الهند خدعة أخرى.

***

من هنا نفهم أيضًا الدور الذي فرضه الإخوان المسلمون على أنفسهم وحقيقة تجربتهم وما آلت إليه، فعندما دخلوا إلى معترك السياسة وجب عليهم الالتزام بالقوانين المنظمة لها، ووفقًا لآليات العمل الديموقراطي تحولوا إلى جزء من النظام؛ حتى لو كان اسمهم المعارضة، ولأن هدف التغيير عندهم ليس شموليًا ولكن ترقيعيًا؛ فهم عمليًا يُعتبرون وجهًا آخر للنظام، تمامًا كالأحزاب الغربية [الجمهوريون والديموقراطيون]، وسيخدمون نفس السيد، وبالتالي لن يكون هناك تغيير للنظام بل انعكاس له ولكن مع بعض الإصلاحات التي تلبي رغبات الشعب، وعلاقتهم الخارجية ستظل وفقًا لخدمات القوى العالمية والإقليمية، وإن حاول أحدهم تجاوز المسموح به فلن يبقى إلا خلف أسوار المعتقلات، والإخوان مستعدون في سبيل السلطة إلى التضحية بكل من يقف ضدهم من أبناء الأمة المخلصين، وبالتالي جعل الإخون من أنفسهم جزء من مشكلة التغيير، فالتكتيك تحول إلى استراتيجية[78] في سبيل البقاء، ورغم طول تجربتهم إلا أنهم مستمرون في تكرار نفس

[78] يسير أيضًا على هذا الدرب فريق من السلفيين. وبعض من ابتلي بالأسر والتعذيب عفا الله عنهم وعن الإخوان وردهم للحق ردًا جميلًا.

الأخطاء ويلقون نفس العقاب وكأنهم يستعذبون الفشل والألم، وعقم فكرهم عن القدرة على التفكير بطريقة مختلفة، وأسروا أنفسهم وأجيالهم في ظلال حتمية الابتلاء ظنًا أنهم على درب الأنبياء والمرسلين، وخلطهم للصالح مع الطالح أضل مسيرتهم السياسية ولن يأتي من وراء ذلك إلا الندم.

وعلى قواعد الإخوان وشبابهم التفكير بطريقة أخرى وفقًا للمرجعية الدينية؛ لا للأهواء والفلسفات الغريبة عن أصالة الدين وموروثاتنا وعاداتنا وتقاليدنا، وعليهم أن يتخطوا سبيل الماضي في التغيير ويلتزموا السبيل الصحيح لا الشعارات فقط، وعليهم التوقف عن تصنيم قيادتهم، بل يجب الانقلاب عليهم وعلى نظرياتهم التي لا جدوى منها، فمحاولة الحفاظ على المكتسبات -حسب ظنهم- سوف تفقدهم كل شيء، وسيظلون ورقة بيد النظام يسمح لهم بالتفاعل عند حاجته ويلقي بها عند الانتهاء منهم، الإخوان وباختصار تجربة فاشلة آن وقت تخطيها منذ عقود.

***

التعامل مع الناس صعب!؛ لا تتعجب، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يجمع بين عاطفتين متناقضتين في نفس الوقت، نحن نفرح لنيل بعض أحبتنا للشهادة في سبيل الله وفي نفس الوقت نحزن على فراقهم، ولهذا لا يرتبك العقلاء عندما يدققون النظر[الفراسة] فيمن يخاطبهم بود ويرون أنه يبطن العداوة، ولو تغير حاله لكان له كلام آخر، يفضح هؤلاء الذين يبطنون العداوة "نمط" ملاحظاتهم المستفزة وأفعالهم التخريبية الصغيرة والمؤذية للغاية، لا ترتبك أمام هذه الشخصيات حتى لا تمنحهم القوة للتلاعب بك.

المدراء يفهمون أهمية النقد في تصحيح المسار، ولكن بعضهم يجهل فن القيام بالنقد، وبالتالي يأخذ الكثيرين النقد على محمل شخصي خاصة إذا كان الناقد [المدير] يفتقر للحكمة

ويبالغ في طرحه، وهو بهذا الشكل ينمي العداوة المستكينة عند موظفيه، ومن الحكمة أن يغض المسؤول الطرف عن تصرفاتهم غير المؤذية، مثل: التعليقات التي تخفي شيئًا من السخرية، تأخرهم عمدًا عن المواعيد، تكاسلهم في تقديم العون الذي يتطوعون للقيام به، في المقابل لا يمكن غض الطرف عن تصرفاتهم الضارة والتي يمكنهم القيام بها مع إلقاء اللوم على المحيط أو المدير نفسه، مثل: إفسادهم لسمعته؛ حيث يلقونه بوجه ومن ورائه يطعنون فيه، أو سرقتهم لأغراض قيمة أو تخريبهم لمعدات تشل العمل لفترات طويلة، أو قيامهم بمهامهم بشكل سيء وبطيء، ويتخفون وراء إفسادهم بمظهر البريء العاجز ويمثلون دور الضحية حتى يصعب عقابهم، بل إن أي رد فعل تجاههم قد يمنحهم شعبية، وبعضهم يكون من المهارة بحيث يشعر المدير بالذنب تجاههم، لعلاج ذلك على المسؤول بداية أن يتسم بالهدوء والعقلانية حتى لا يدفعوه للانفعالات العاطفية [الغضب - الكره - الانتقام ... إلخ] أيضا يجب أن يكون منتبها لتصرفاتهم غير الصادقة كالمدح المفضي لأسر شباكهم، لا بد للمسؤول أن يسبقهم بخطوة: فيجب أن يكون ملمًا وواعيًا بتكتيكاتهم التي تلقي باللوم عليه حتى يتمكن من تحييدهم وحرمانهم من الوقت الكافي لنجاح تحركاتهم، عليه بمعرفتهم أولًا وكشف نواياهم ثانيًا؛ ثم يقوم باستفزازهم واستدراجهم وعزلهم، فيفسد حيلهم ويكشفهم ويفضحهم في الوقت المناسب.

للأسف هذا هو الإنسان وغرائزه وشغفه بالمنافسة وحبه للشرف وحرصه على المال حتى في أكثر مجتمعاتنا اليوم ورعًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» رواه الترمذي. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، الوعظ والتذكير بالله ينجح في علاج أمراض القلوب لبعض الناس، ولكن بعضهم لا يستجيب، هذه هي القلوب المريضة التي تناولتها الفقرة السابقة.

***

واحدة من صور العداوة المستكينة هو الاستسلام الزائف، حيث يتعامل العدو مع الظاهر منك وعلى الإشارات التي تصدر عنك وعلى ملاحظاتك ومرماها وأفعالك وتفسيرها، نفسيًا يقل حذر المنتصر ويميل لقبول الظاهر، وهذا يتيح الوقت والمساحة لاستعادة المبادرة القتالية ومفاجأة العدو، ولن تنجح بدون إظهار ضعفك ورضاك بالهزيمة وصدق رغبتك بالتحالف معه، من يجيد ذلك يمكنه أن يدبر في الخفاء الكثير لاستعادة نقطة التوازن، ليستخدم قوته السرية في الوقت المناسب حين يخف حذر العدو ويقلل من قواته معتمدًا على ولائك الزائف.

كثير من الناس يقتلهم الحسد، وتكون رغبتهم في المعارضة مبالغ فيها وبدون سبب، ويجتهدون لتهيئة مناخ يرفض أي عرض من قبلك، ولهذا لا يمكن عرض أي قضية عليهم بشكل مباشر، ولا بد من الالتفاف عليهم لتسويق أي مشروع، لنجاح ذلك لا بد أن تنسحب من الصورة فبعض الغياب أقوى من الحضور، ومن خلال اللقاءات القليلة مع بعضهم اطرح استفسارات وتساؤلات تقودهم إجابتها لمشروعك؛ ولكن بحيث يبدوا أنهم هم من ابتكر ذلك، ثم أرشدهم لبعض التحسينات على رؤيتهم ونصحهم بأن ذلك سيلقى قبولًا عند مخالفيهم وأنك ستدعمهم وتقف إلى جوارهم، وعندما تدور عجلة المشروع لن يضرك اكتشافهم أنك تلاعبت بهم، فقد نجحت في أن تقود عنادهم لبناء برنامجك بملئ إرادتهم؛ هذا استثمار رائع لهذه الاستراتيجية.

عادة ما تكون للمستويات العليا في هرم السلطة رؤية غير متخصصة تشل من عمل المتخصصين، وتجعل برنامجهم معرض للفشل؛ وسينالهم حظ وافر من اللوم وربما العقاب أيضًا، ولتلافي ذلك يقوم المتخصصون أولًا بإبداء إعجابهم برؤية المستوى الأعلى، وثانيًا يقومون ببعض الأعمال التخريبية التي تعطل رؤية المستوى الأعلى دون أن تسبب ضرر حقيقي، مثل تعطل آلة أو جهاز أو فقد ملف ... إلخ، مراهنين بذلك على الزمن، ونظرًا

لأن المستوى الأعلى لا يمكنه تحمل التأخير لأن تكلفة الوقت غالية فهو يتنازل عن رؤيته ويكتفي ببرنامج المتخصصين، وبهذا يكسب الجميع.

***

إيجابيات هذه الاستراتيجية:

بعض الناس لا يمكن مواجهتهم صراحة، فهذا لا يناسب طبيعتهم وينمي حذرهم وغضبهم ورد فعلهم السلبي، ولهذا يجب الالتفاف عليهم من حيث ينطلقون ثم دفعهم ببطء نحو الوجهة الصحيحة حتى يبدو لهم أن هذه الوجهة كانت هدفهم منذ البداية، إن إفساح المجال أمام العقل البشري وتوعيته وتنبيهه للمخاطر يجعله يتخذ القرار السليم، أما معاندته والوقوف بوجهه يجعله يعاند وربما يذهب إلى أبعد ما يكون، وساعتها نخسر كل شيء على الطاولة وتحتها.

في بعض القضايا التي ينال الظالمون فيها من أبناء الأمة مثل حال أهلنا في تركستان الشرقية أو بورما -يمكنني أن أقول أن كل أراضي الأمة تضج من وطأة الظلم والظالمين- فيمكننا الاستفادة من هذه الاستراتيجية، الفائدة المرجوة من العداوة المستكينة أنها: تحافظ على استمرار الصراع بسرية مع بقاء الأنفس حية، أيضا تبقي الذاكرة حية مهما طال الوقت فلا يغيب عن الأجيال حيل ومكائد العدو، وبالتالي لا تستسلم لإرادة العدو ويسلب منها قيمها ومبادئها، حينما يحين الوقت وتتكافأ الموازين بما يسمح بالتغيير تكون الأجيال حاضرة ومستعدة، وهذا مطلوب للمسلمين في تركستان الشرقية وأخواتها حتى لا تتحول القضية إلى سراب؛ وتضيع كما ضاعت الأندلس ويتوه المسلمون عن الإسلام ولا يبقى لهم منه إلا أطلال مبانيه وآثاره، وذكريات تاريخية حكاها الأجداد.

***

وقفة تربوية: بين المداراة والمداهنة.

فالمداهنة حقيقتها بذل الدين بالدنيا، والمداراة حقيقتها بذل الدنيا بالدنيا، يقول الحق سبحانه وتعالى عن أولي الألباب: {أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ {19} الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ {20} وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ {21} وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ {22} سورة الرعد، ويقول سبحانه عن الصلح والإصلاح {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ {34} سورة فصلت. وقال ابن عباس في معنى قوله [وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ] أي الفحش والأذى بالسلام والمداراة.

فالْمُدَارَاةُ: مشروعة وهي مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ خَفْضُ الْجَنَاحِ لِلنَّاسِ وَلِينُ الْكَلِمَةِ وَتَرْكُ الْإِغْلَاظِ لَهُمْ فِي الْقَوْلِ وَذَلِكَ مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ الْأُلْفَة، والرِّفْقُ بِالْجَاهِلِ فِي التَّعْلِيم وَبِالْفَاسِقِ فِي النَّهْيِ عَنْ فِعْلِهِ وَتَرْكُ الْإِغْلَاظِ عَلَيْهِ حَيْثُ لَا يَظْهَرُ مَا هُوَ فِيهِ وَالْإِنْكَارُ عَلَيْهِ بِلُطْفِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَلَا سِيَّمَا إِذَا احْتِيجَ إِلَى تألفه وَنَحْو ذَلِك.

الْمُدَاهَنَةَ: فسرها الْعلمَاء بِأَنَّهَا مُعَاشَرَةُ الْفَاسِقِ وَإِظْهَارُ الرِّضَا بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ عَلَيْهِ، كما يقع من إطراء الظلمة بمدحهم بوجوه المدح وتحسين أفعالهم وأقوالهم بالتماس المخارج الحسنة لهم والتأويلات البعيدة مع علم المداهن بقبح ما هم عليه، ولا يحمله على ذلك سوى ما يناله من دنياهم فقد باع دينه بتغريرهم على مسالك الباطل وإغرائهم على الازدياد في مساعي هواهم وسد باب تقواهم، وقيل أن المداهنة هي ترك ما يجب لله من الغيرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتغافل عن ذلك لغرض دنيوي أو هي المعاشرة والاستئناس مع وجود ذات المنكر لا أثره والقدرة على الإنكار.

والخلاصة: أن المداري يبذل الدنيا ليصون دينه وعرضه، والمداهن يبذل دينه ليحصل

لعاعة من الدنيا، فالمداراة خلق المؤمن والمداهنة خلق المنافق.

***

33- استراتيجية رد فعل الرعب المتسلسل

الخوف .. المفضي للانهيار والاستسلام؛ هو أكثر ما يقتل الناس .. العقوبات الإلهية [الكوارث] كالأوبئة والزلازل والبراكين والأعاصير والفيضانات .. والحروب .. والعمليات النوعية داخل المدن .. حاله الهلع المصاحبة للكوارث تجعل من الخوف وباء يتجاوز حدود الاتزان البشري .. هكذا فعلت بالناس والأنظمة حروب التتار .. واغتيالات الحشاشين .. ووباء كوفيد19 [كورونا] .. إنه الرعب.

يقول الواحد القهار سبحانه وتعالى: {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ {151} سورة آل عمران .. {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ {12} سورة الأنفال .. {وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا {26} سورة الأحزاب .. {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ {2} سورة الحشر.

أَخْبَرَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» البخاري.

***

العمليات النوعية والعمل السري بالمدن لا تحقق المرجو منها حتى تشكل سلسلة متتابعة من العمليات يصاحبها زخم إعلامي تؤثر في نفسية الشريحة المستهدفة فتصيبهم بالهلع واليأس والشك وتعطي انطباعًا أنه لا مكان آمن ولا نهاية للاغتيالات والتفجيرات.

الهدف من ضرب البطن الرخو للدول أن يؤدي الهلع والرعب لكسر إرادة العدو على المقاومة وشل قدراته على رد الفعل وإخضاعه لعصف ذهني متواصل يؤدي للاستسلام للخوف المتنامي، لأن تماسك الخصم وثبات تركيزه هو ملاذه الأخير للمقاومة.

يمكن اختصار سلسلة الأعداء لعدوين أساسيين:

الأول: النظام العالمي.

الثاني: أنظمة الحكم في بلادنا الإسلامية.

وسواء كانت العمليات على أرضنا أو على أرض العدو؛ يُقصد المحاربين بالقتال ويُتجنب عوام الشعب، ولا يصح تبني نظريات الغرب -في الصراع- التي تستهدف عوام الشعوب لإحداث أزمات للأنظمة الحاكمة، نحن كمسلمين مطالبين بالدعوة والجهاد، فإذا سرنا على نمط الغرب فكيف نتوقع من شعبه أن يتلقى الإسلام بالقبول.

إن عملياتنا يجب أن تستهدف عناصر المحتل أو وكيله [النظام الحاكم] ومؤسساتهما الدعائية والمعادية [الأمنية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والدينية والقضائية والدفاعية والإعلامية المشتركة في الصراع]، لنشر حالة من الهلع والشك تفقد النظام الثقة بمكوناته، إنها خطوة على طريق النصر من خلال التسبب بأقصى قدر من الفوضى وباستثمار إمكانات العصر الإعلامية لاستفزاز النظام العالمي والأنظمة الحاكمة للقيام برد فعل يائس يزيد من عزلتهم، إنها حرب أعصاب وهي أيضًا صراع على ولاء الشعوب.

***

يمكن اعتبار حسن الصباح المؤسس لفن الاغتيالات السياسية، فقد أسس فرقة عسكرية نفذ بها سلسلة من العمليات النوعية؛ التي جند لها أخلص مقاتليه وأكثرهم ولاءً وأطلق عليها اسم [الفدائيين]، اعتمد فيها على الاغتيالات السياسية، وصاحبها ببث شائعات عن ولائهم المطلق لقائدهم وتفانيهم في تنفيذ مخططاتهم وقدرتهم على الاختراق والوصول لأي شخصية في الدولة حتى لو كان الخليفة نفسه.

عمليًا تم تدريب الفدائيين بشكل احترافي على القتل والاغتيال والتنكر والفروسية والفلسفة والسياسة وما يتعلق بهذه الفنون من مهارات، ونشر الكثير منهم في المدن الهامة، كما تمكن من غرسهم وفقًا لمهاراتهم في مفاصل الدولة وجيشها وبلاط الخليفة ليسهل عليهم الوصول لأي مسؤول في الدولة ومن ثم اغتياله في الوقت المناسب، وعن ذلك تُحكى روايات يغلب عليها الطابع الأسطوري، وقد تعمد الحشاشون في تنفيذ هجماتهم أن تشن في أماكن عامة لإثارة الرعب خاصة أن عناصر التنفيذ لم تكن تبادر بالفرار بل تلجأ عادة للمقاومة والانتحار، أو تقديم اعترافات كاذبة تحت التعذيب تطعن في مصداقية بطانة السلطان وعمالتهم لغرس الشك في بلاط الحاكم، أدى هذا إلى نشر حالة من الرعب في سلك الحكم ولم يعد يشعر أحد أنه في أمان، اغتيل على أيديهم الوزير [نظام الملك] والخليفتين [المسترشد والراشد] وملك بيت المقدس [كونراد]، وتمكن حسن الصباح بهذه الرؤية [الإرهاب السياسي] من اكتساب حق الوجود له ولعقيدته وضمن أمن معتنقيها لأطول فترة ممكنة.

اعتمدت فلسفة الصباح القتالية على زرع الوهم بأن عناصره منتشرون في مفاصل الدولة العباسية، وحقق ذلك من خلال الاغتيالات والإشاعات، وأمن عملياته بالسرية المطلقة لعناصر التنفيذ، فأصاب الشريحة السياسية والعسكرية بحالة من الهلع انتشرت

عدواها كالنار في الهشيم، ومثلت كابوسًا لا نجاة منه إلا بالقبول به وعدم معادته في مقابل سلامته، وعادة ما ينتشر الخوف من الأضعف إلى الأقوى، وحينما يكون رد فعله عاطفيًا انفعاليًا وليس مخططًا له؛ فذلك يظهر حجم الذعر الذي يسيطر عليهم، ولذلك قيل [أن النصر لا يكتسب بعدد الذين يُقاتلون أو يُقتلون بل بعدد الذين يخافون].

ورغم الطابع الهجومي لعمليات الحشاشين إلا أن استراتيجيتهم كانت دفاعية حيث تحصنوا في القلاع على قمم الجبال مما صعب من عملية غزوها، ووفروا في قلاعهم مخزونًا ضخمًا من المياه والطعام لمواجهة أي حصار محتمل، وقد تمكنوا خاصة في قلعتهم الشهيرة [آل موت] من صد الهجمات والصمود لسنوات أمام محاولات الخلافة العباسية وسلطناتها كالسلاجقة والخوارزميين والزنكيين والأيوبيين، وصمدت أيضًا أمام محاولات الصليبيين، ولم يتم القضاء عليهم إلا على يد حفيد جنكيزخان .. هولاكو.

دامت إمبراطورية [عصابات] الحشاشين قرابة القرنين [166 في فارس – 183 بالشام]، أسس حسن الصباح جماعته في 1090 ميلادية، في بلاد فارس قضى عليها هولاكو عام 1256 م، وفي الشام قضى عليها الظاهر بيبرس عام 1273 م.

***

المغول أيضًا كانوا سادة هذا الفن، وحكي عن جنكيز خان وجيشه الأساطير، وكانوا بالغي القسوة حتى سبقهم إرهابهم آلاف الكيلومترات، وسقطت المدن بدون قتال، فجيش صغير [المغول] بعيد عن نقطة انطلاقه لا يمكنه أن يقوم بحصار طويل أو يخوض حربًا طويلة.

وهذا ما تبناه اليهود في احتلالهم لفلسطين والدفاع عن وجودهم؛ حروب سريعة مع سمعة سيئة وبشعة من خلال الأعمال الإرهابية، فقد استخدمت عصابات الهاجاناه والأرجون وغيرها أعلى درجات القسوة، فبقروا بطون النساء وذبحوا الأجنة ومارسوا

حملات اغتيال وتفجير وقصف لمدارس الأطفال، كما أنهم فجروا حلفاءهم الإنجليز في فندق الملك داوود، وأغرقوا 600 من أبناء شعبهم حتى يبدوا حازمين وشرسين ومصممين لتحقيق مرادهم، عندما يفقد البشر إنسانيتهم يفقدون معها مرجعيتهم، ويتحولون إلى وحوش مفسدة لا تخشى ربًا ولا تلين لبكاء رضيع أو توسلات أم أو تجاعيد خطها الزمان على وجه العجائز.

ولطالما استخدمه الإنجليز والأمريكان الجشعين في صراع انتهازي وعنصري ضد السكان الأصليين في أمريكا وجنوب أفريقيا واستراليا وغيرها، فنشروا الأوبئة واستخدموا أسلحة الدمار الشامل وتوجوا كوارثهم بإلقاء قنبلتين ذرتين على اليابان.

وفي حقبة الإرهاب في فرنسا إثر الصراع بين فصائل الثورة قتل خلال عام واحد فقط [16.594] فرد على مقصلة الثورة.

في روسيا القيصرية عام 1879 أَسست مجموعة [نارودنايا فوليا "قوة الشعب"] للإرهاب المعاصر المفضي لإحداث ثورة أو انتفاضة مسلحة، حيث استخدمت المتفجرات في عملياتها، فحظيت بتغطية إعلامية واسعة، تساهم في نشر قضيتهم لتحصل على: متعاطفين ومجندين، وملهمة لغيرهم على طريق التحرير، هذه هي فلسفة العمليات النوعية حيث تعتمد على إحداث رد فعل تسلسلي: فبث الرعب سيؤدي إلى القمع القاسي، مما يمنح المجموعة الدعاية والتعاطف، ويزيد من غضب الشعب وبغضه للحكومة، مما يدفع الشعب للتجرؤ على الحكومة؛ التي تعمل على قمعه بوحشية، وهكذا حتى تنتشر الفوضى وتعم العاصمة وأنحاء متفرقة من البلاد، فإذا نجحت الحركة في إيقاظ الشعب، وأفقدت النظام توازنه وعقلانيته، فسوف تثمر عن حراك ثوري يعم البلاد ويسقط النظام، إن وَجد أو صاحبه في التغيير حزب أو تنظيم أو جماعة تشرف عليه وتقود مسيرته.

***

حينما تبلغ الأنظمة [العالمية والمحلية] حالة من الجمود والغطرسة، وتَقمع كل محاولات التغيير الدعوية؛ لا يبقى أمام الأحرار إلا طرق باب الإرهاب لكسر الجمود واغتيال قادته، إن جوهر الإرهاب يعتمد على: نشر مناخ الخوف والفوضى حتى يعتقد المستهدف ومن معه أنه يطوقه، مع عجز واضح ومهين للنظام في توقع حدوثه [الزمان - المكان] والتصدي له، وشيوع حالة من الإحباط أقرب لليأس حول قدرات الدولة في حماية رموز نظامها وأفراده، وانعدام الأخلاق سواء في ميدان الحرب أو المدن، وبسبب هذه القوة الهائلة لتأثير العمليات النوعية [الإرهاب] حوله البعض إلى استراتيجية، الأحرار أصحاب القضايا لا يملكون مع أنظمة متغطرسة سبيلًا إلى التغيير إلا بالإرهاب، إن صدى رصاصة مسدس في صدر سياسي بالعاصمة يغطي على قصف المجنزرات في الجبال.

***

نقطة الضعف الأساسية للحركات والجماعات التي تعتمد على العمليات النوعية تكمن في: ضعف قدرتهم على إيصال عدالة قضيتهم للناس .. كل الناس، وعزل هذه الجماعات والتنظيمات عن الناس هو أهم بند في استراتيجية أنظمة القهر والاستبداد العالمية والمحلية، وهي النقطة التي يجب أن تبذل فيها الحركات والجماعات جهدًا كبيرًا في عالم لم يعد قادرًا على حصار الإعلام أو السيطرة على تفاعلاته.

لا مجال للمقارنة بين القدرات الأمريكية وإمكانات حركة طالبان وتنظيم القاعدة، إلا أن نقاط قوة هذه الحركات تأتي من مظاهر الضعف بها، الاستراتيجية المناسبة هي التي تسقط القوي في فخ الضعيف، وتخرجه مهزومًا، حدث هذا مع حركة طالبان وخرجت أمريكا مهزومة عسكريًا بحرب عصابات ناجحة، وخسرت أمريكا أيضا المعركة الإعلامية والأمنية والقبول الشعبي أمام القاعدة التي غطت مظلتها رقعة أرضية ضخمة.

ورغم شدة الحرب العسكرية وضخامة المجهودات الإعلامية والسينمائية ومحاولات عزل وتشويه القاعدة إلا أن الحرب العنيفة بينها وبين أمريكا سجال، وعلى رقعة أرضية تعجز أمريكا عن تأمين مصالحها فيها، ولازالت القاعدة تمثل إلهامًا لأمة [لا إله إلا الله] وللمستضعفين حول العالم، ولازالت القاعدة تعمل على عودة السيادة للأمة الإسلامية وعودة تأثيرها على السياسة العالمية، وسيطرتها على مواردها ومصالحها التي يتنعم الغرب بها اليوم.

ولازال هاجس القاعدة يسور بالخوف والشك عقلية الساسة الأمريكيين؛ الذين يتم إدارتهم من أصحاب الأموال ورجال الأعمال للمحافظة على سيادتهم، ولهذا يمنعون الساسة من علاج أسباب [الإرهاب] الحقيقية؛ التي يؤدي علاجها لفقد سادتهم الكثير من الرفاهية؛ ويعري حقيقة عبوديتهم أمام شعوبهم ووهم الحرية والحلم الأمريكي.

***

هذا هو ما أرادته القاعدة من الحادي عشر من سبتمبر وقبله وبعده إن شاء الله؛ في الصراع ضد الإجرام الأمريكي واليهودي، ضربت رموز الدولة في البر والبحر ومن الجو [السفارتين في أفريقيا – المدمرة في بحر العرب – البنتاجون وبرجي التجارة في الداخل الأمريكي]، إنها حرب أعصاب طويلة المدى، فالإحساس الدائم بوجود حصان طروادة [خلايا نائمة أو عناصر متطوعة لا حصر لها] قادرة على إصابة رموز النظام الأمريكي أو جنوده وحتى دول الناتو واليهود بالذعر، الذعر هو شعور لا علاج له في دول تفتقر للإيمان، والذعر سلسلة من الانعكاسات النفسية لا يمكن إيقافها، إن مشهد اقتحام الطائرات للبنتاجون والبرجين، ثم انهيار البرجين الدرامي؛ هذا المشهد غرس حالة من الرعب استوطنت صدر المجتمع الغربي واحتل الخوف ذهنهم، وقضى على أحلام الأمن والآمان، وأسقط استراتيجيات القلاع المحصنة بالمحيطات والبحار.

وعلى الجانب الآخر ألهم هذا المشهد أبناء الأمة، وأظهر لهم مدى هشاشة أمريكا من الداخل، وبيّن أن حسن الإيمان والتوكل على الله والرغبة الصادقة للتغيير -رغم انعدام التكافؤ بين القوتين [القاعدة وأمريكا]- هذا الإيمان ألهم المخططين رؤية مكنتهم بوسائل محدودة للغاية من تحويل ما هو مصمم للخدمات المدنية والتجارية إلى صواريخ قتالية شديدة التدمير، حققت خسائر ذات أثر مادي ومعنوي أكبر وأضخم من هجوم بيرل هاربور، لم يكن هجوم 11 سبتمبر على أكبر رموز أمريكا فقط؛ بل على هيبتها فكسرتها وجرأت الخصوم عليها، فأحدثت أقصى تأثير رعب ممكن؛ تسبب بردة فعل مذعورة لم ولن -إن شاء الله- تتعاف منها أمريكا والغرب إلى الآن وإلى ما شاء الله، فاتخذت قرارًا يائسًا في محاولة فاشلة لاستعادة الهيبة المسلوبة، فأوقعت نفسها في براثن حرب مفتوحة أهلكت اقتصادها وأرهقت دماء أبنائها وعجلت بزوال امبراطوريتها الناشئة.

ويمكن التيقن من حالة الذعر التي تتسبب بها مثل هذه العمليات من رد الفعل اليائس والتمثيلي؛ كتظاهرات قادة الدول الأوروبية وحلفائها ضد العملية التأديبية على مجلة [شارل ابدو]، فهذا تعبير سلبي يظهر عجزهم على رد فعل إيجابي موحد يحد من انتشار الخوف والرعب المتنامي، فالساسة لا حول لهم ولا قوة بين مطرقة المجاهدين وسندان مشغليهم من رجال المال واليهود، وهكذا تفضح العمليات الفدائية أعدءها، يقول العليم بذات الصدور سبحانه وتعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ {60} الأنفال.

إن محاولات العدو لتعزيز الوحدة الداخلية في دول تعاني من العنصرية وتفتقر للانسجام الداخلي، كما تفتقر للترابط الاجتماعي وانهيار لمؤسسة الأسرة وينتشر فيها أبناء الزنا الذين لا يعرفون آباءهم وربما أمهاتهم أيضًا، وتفتقر للأخلاق والمبادئ الإنسانية حتى

فشى فيها تعليم الخداع والمكر والفهلوة من خلال الترفيه السينمائي والرياضي، وشعب يعاني من عبودية الشركات وأصحاب الأموال وحين يموت ترثه عادة البنوك، كل هذا لا تعالجه الكلمات المعسولة وخداع الساسة وهوليود، إنّ الدعاية عن المبادئ والقيم الغربية التي لا وجود لها في الحياة اليومية للموطن الغربي؛ تعمق الوهم وتجعل من شعبها أمة هشة بعيدة عن الواقع وقابلة للانهيار مع توالي الضربات، إنهم عبارة عن أوعية فارغة يسهل اختراقها روحيًا وفكريًا إن غزاها منهج حقيقي وقوي، إنها ليست حرب تقليدية تتصارع فيها القوى وتنفعها برباجندا تعزيز الوحدة الداخلية، إن العمليات النوعية يقف وراءها حضارة وعقيدة وتاريخ وأيضًا قوى ناعمة تتسلل للداخل، وكل هذه تعمل آثارها على المدى الطويل.

***

يقول روبرت جرين عن هجمات القاعدة في 11 سبتمبر: [يصعب قياس الحجم الكامل للضرر الاقتصادي الناشئ عن الهجمات، لكن انعكاساتها كبيرة ولا يمكن إنكارها: التكاليف الإضافية الباهظة للخطط الأمنية، بما في ذلك تمويل برامج حكومية جديدة، ونفقات عسكرية ضخمة نشأت من اجتياح البلدين، والتأثير السلبي على سوق الأسهم [شديدة التأثر دائما بسايكولوجيا الذعر]، وتراجع ثقة المستهلكين تبعًا لذلك. إضافة إلى تأثر صناعات معينة كالسياحة والسفر، وانعكاس ذلك على الاقتصاد العالمي برمته.

كما كان للهجوم تأثيرات سياسية ضخمة -في الواقع ثمة من يعتبر أن نتائج انتخابات 2002 و2004 في أمريكا كانت نتيجة لها- ومع استمرار ردة الفعل التسلسلية نشأ صدع متنام بين أمريكا وحلفائها الأوروبيين [وغالبًا ما يهدف الإرهاب إلى التسبب بمثل هذه الانقسامات بين الحلفاء وفي الرأي العام أيضا، حيث يتواجه الصقور والحمائم]. كما كان للهجمات أثر واضح وأكيد على نمط الحياة الأمريكي، حيث تقلصت الحريات المدنية التي

تشكل علامة أمريكا الفارقة. أخيرًا -مع استحالة قياس هذه الناحية- فقد كان للهجمات أثر مخيف على الحضارة بالمعنى العريض للكلمة .... لقد أصبح الذعر الذي يمكن أن ينتشر في مدينة معينة قابلًا للانتشار في أنحاء العالم الذي تغذيه الميديا بالأخبار والصور]. أهـ من كتاب 33 استراتيجية للحرب[79] أهـ من النقل.

***

كتب روبرت جرين أيضًا [ربما لم يكن استراتيجيو القاعدة ينوون تحقيق هذه النتائج أو يتخيلوها؛ لن نعرف هذا أبدًا......]، في الحقيقة[80] لقد كانت هذه النتائج وأكثر منها وأكبر؛ في ذهن استراتيجي القاعدة، فأي دولة تُضرب بمثل هذه القوة بهدف استدراجها لحرب عصابات طويلة المدى[81] وبلا حدود تُستنزف فيها؛ فإنها على درب الانهيار، وكانت الثمرة الحقيقية هي الثورات[82] في المنطقة العربية، إنها ليست رمية نرد؛ ولكن في جميع الخطط العميقة يصاحب الأهداف المخطط لها انهيار سلسلة أخرى بالتبعية، كسقوط سور برلين ووحدة ألمانيا تبعًا للانهيار السوفيتي في أفغانستان، أو تحقق نتائج عكسية تمامًا مثل انتشار القاعدة في أنحاء المعمورة تبعًا للغزو الأمريكي لأفغانستان على

---

[79] روبرت جرين ترجمة سامر أبو هواش، الطبعة العربية الأولى 2009 مؤسسة العبيكان للنشر.

[80] حسمًا للتردد عند روبرت جرين في صفحة رقم (669) حين كتب [ربما لم يكن استراتيجيو القاعدة ينوون تحقيق هذه النتائج أو يتخيلوها؛ لن نعرف هذا أبدًا،....] الآن بت تعرف.

[81] لقد تم استدراجكم لحرب عصابات ذات ميدان محدود في أفغانستان، واستدرجتم لأخرى حول العالم تُضرب فيها مصالحكم ومصالح حلفائكم.

[82] كان هذا أحد الدروس المستفادة من الجهاد في أفغانستان، فعندما انهار الاتحاد السوفيتي انقطع خط النظم الذي كان يربط أواصر الإمبراطورية، وتحررت أغلب الدول التي كانت تحت احتلاله، لقد كان للزلزال الأفغاني ارتدادات مزقت الاتحاد السوفيتي من وسط أسيا إلى وسط أوروبا، وفقًا لهذا قام مخططو القاعدة عام 1996 بالخرطوم بوضع استراتيجية لكسر هيبة أمريكا والغرب ولإدخاله في فوضى العمليات النوعية، ولتمهيد الطريق أمام شعوب الأمة الإسلامية لتثور على حكامها الخونة، وإعادة لرسم خريطة القوى بالقضاء على الانفراد بالعالم تمهيدًا لعودة ظهور الإسلام كقوة مؤثرة في القرار السياسي العالمي، تقرر ذلك وغيره في سلسلة اجتماعات بالخرطوم حضرها "الشيخ أسامة بن لادن والمهندس مصطفى حامد والقادة علي أمين الرشيدي وصبحي عبد العزيز أبو ستة ومحمد صلاح الدين زيدان وعبد الله أحمد عبد الله الألفي"، أحد أخطائنا في هذه الاجتماعات تقيمنا الخاطئ لقدرات الإخوان المسلمين على القيادة وحسن ظننا بقادتهم؛ فقد كانوا في ذلك الوقت التيار المرشح لقيادة الثورات نظرًا لانتشارهم في الأمة ووجودهم كتنظيم، وذلك دون أي اتفاق أو تنسيق معهم.

عكس ما أرادوا؛ وهو ما لم يكن متوقعًا[83] عند استراتيجي القاعدة، وما لم يكن متوقعًا أيضًا الأثام التي اقترفتموها في حربكم المخابراتية اللاأخلاقية[84] على المواطنين والمهاجرين في وزيرستان.

***

العمليات النوعية [الإرهابية] لا يمكن أن تأتي ثمرتها في الحال، فأمريكا لم تُضرب بالشكل الكافي لتغيير استراتيجيتها، ربما هذا ينفع مع دول -لم تعد مؤثرة في العالم- من الدرجة الثانية أو أقل كفرنسا وأسبانيا وبريطانيا -التي يوشك أن ينحل اتحادها-، على المجاهدين مواصلة عملياتهم الكبيرة والصغيرة ليتحقق مرادهم من الحرب.

الهدف الآني للعمليات النوعية هو حلحلة الجمود أو التأثير في القرار السياسي أو إيقاف السرقات أو تحييد بعض الأعداء وربما فك بعض التحالفات ... إلخ، أما الهدف الاستراتيجي فيعني عمل طويل المدى وسلسلة من الضربات تأتي ثمرتها خلال عقد أو اثنين وربما أكثر.

قد تنجح بعض محاولات الغرب بتحويل الصراع إلى صراع مخابراتي أو ممارسة بعض من حيل الظهور الأخلاقي أو محاولة خلق رأي عام مؤيد وكسب تحالفات دولية، إنها أفكار للاغتيال الحقيقي والمعنوي، ولأن العدو وحلفاءه يفتقرون للحكمة ونفاذ الصبر وتحكُمهم في النهاية المنافسة والصراع على النفوذ؛ فلن يدوم ظلهم؛ ورؤية كهذه لن تحسم الحرب ولن توقفها، وسيظل يعاني من الذعر والهستريا أولئك المستهدفون بالعمليات

---

[83] كان يغلب على ظن الجميع عدم خروج الجيل الحالي من هذه الحرب أحياء، ولكن بعضهم اليوم (ديسمبر 2021) وبعد تحرير أفغانستان؛ يواصل المسيرة مع أجيال جديدة ويعلق على أحداث أكثر من عشرين عاماً من الصراع مع القوى العظمى والقطب اليتيم.

[84] مارست المخابرات الأمريكية بالتعاون مع المخابرات الباكستانية سلسلة من عمليات التجنيد القذرة واللاأخلاقية حين أمرت عملاءها باغتصاب عدد من الأطفال وكذلك إيقاع بعض السكان المحليين في الزنا وتجنيد الفريقين وتحويلهم إلى جواسيس على مجتمعهم وعلى المهاجرين والمجاهدين.

وسيتعايش معها شعوبهم غير المستهدفة، وفي الجانب الآخر عند المجاهدين هذه الأفكار تمثل عملية تأخير للنصر القادم، إنها مسألة وقت؛ فالذي يقف وراء العمليات النوعية أمة ترغب في تحقيق طموحها والعيش وفق مراد ربها، حاملة للبشرية ما هي حقيقة بحاجة إليه .. الروح، التي فقدتها في صراعها المادي والركض وراء الشهوات.

وليفهم هذا جيدًا كل من يصطف مع أفكار تحمل له الهلاك، وليفهم هذا جيدًا كل من يرغب في الحياة الحقيقية والحرية الحقيقية .. إنه الإسلام؛ وهو إن شاء الله قادم ليمنح البشرية الأمل بعودة إنسانيتها وروحها المفقودة، بهذا جاءت النبوءات الإسلامية والمسيحية واليهودية؛ وإلى ذلك اليوم فكروا مرتين.

***

إن قضية القاعدة عادلة، وتحمل للبشرية السعادة والاستقرار، فهي تدافع عن حق أمتها في الوجود؛ ضد قوى البغي والظلم العالمي والإقليمي والمحلي، إنها تسعى لتحقيق حرية أمتها في مزاولة عقيدتها، ودعوتها، إنها تعمل على منع الغرب من تعيين ودعم حكام خونة لا يمثلون طموح أمتهم، إنها تعمل على إيقاف نصرة الغرب لليهود وظلمهم لأبناء أمتنا في فلسطين وغيرها، إنها تعمل على إيقاف سرقات الغرب لثرواتنا ومقدراتنا وأراضينا ومياهنا، إنها تعمل على منع الغرب من العبث بموروثاتنا الدينية والثقافية وعاداتنا وتقاليدنا، إنها تسعى لتحقيق الرخاء والرفاه لأبناء الأمة، إنها تسعى لتقديم الإسلام للناس كل الناس ليعيشوا في ظلاله سعداء في إطار رعاية وتكافل وعدالة اجتماعية، إنها تسعى لتحقيق الحرية الحقيقية للناس في ضوء ما قرره لهم الخالق العظيم، إنها تسعى لبناء القوة الإسلامية التي تمنعها من الأعداء وتحمي وجودها وتردعهم عن التفكير في غزوها، إنها تعمل على رفع وعي أمتها وتسعى لرفع الجهالة في كافة الميادين لتواكب العالم في تقدمه السياسي والتقني، إنها تسعى لنشر المبادئ الأخلاقية الإسلامية التي تحمل أسمى معاني

الإنسانية للبشرية، إنها تتحرك بآلام وآمال الأمة وتحمل رسالة الإسلام للبشرية، وتقدم لها الأمل بمستقبل آمن للناس .. كل الناس، إنها تسعى لإقامة نظامها السياسي فالإسلام دين ودولة يحقق طموح وآمال البشرية في العيش في سعادة ورفاه؛ إن حققوه في أنفسهم وفي عالمهم؛ ولن يتحقق هذا دون فسح المجال أمام الدعوة الإسلامية وعدم محاربتها.

هل يتوقع أحد أن أهداف القاعدة يمكن تحقيقها بالسلمية؟!!، أو أن أنظمة الحكم الغربي المجرمة سوف توقف سرقاتها وإجرامها وتسلطها واستبدادها وفرضها للجهل على الأمة؛ دون مقاومة مسلحة؟!!، وهل حقق رسول الله ﷺ الرسالة ومكن للإسلام بالسلمية؟.

***

خاتمة الكتاب

تم الانتهاء من كتابة هذا الفصل مع الاستراتيجية 19، ولكنه يحتاج لتأني في بحثه وإلى صقل بالتشاور، ولذلك لم يرفق هنا ولعله يلحق في الطبعة الثانية.

الفهرس

في هذا الكتاب...

من الفقرات التي تظهر شيئًا من الوجه الكالح للاستعمار وأوردها "روبرت": استراتيجية التجهيل (صناعة الجهل) لكل من غزوهم، كتب "روبرت" في مقدمته: [لم يكن يتم تعليم الجنود الاستراتيجية لأن ذلك لن يساعدهم في ساحة القتال. إضافة إلى ذلك لم يكن من الحكمة أن يسلح القائد جنوده بمثل هذه المعرفة العملية التي يمكن أن تساعدهم على تنظيم تمرد أو ثورة. وحقبة الاستعمار أخذت هذا المبدأ بصورة أبعد. فسكان البلاد الأصليين في المستعمرات الأوروبية تم تجنيدهم في الجيوش الغربية، وقاموا بالكثير من الأمور الشرطية، لكن حتى أولئك الذين بلغوا مراتب عليا تم إبقاؤهم بشكل صارم في جهل بالمعرفة الاستراتيجية، التي كانت تعتبر معرفتها شديدة الخطر عليهم. وما الإبقاء على الاستراتيجية وفنون الحرب فرعًا من السلطات المختصة، إلا لكي تبقى حصرًا بين يدي النخب والقوى القامعة التي تحب التقسيم والغزو.]، في نفس الباب نقل روبرت من [عبوديتي وحريتي] لفريدريك دوجلاس [وقد تعجب السيد هيو من سذاجة زوجته، فأفصح لها للمرة الأولى على الأرجح عن الفلسفة الحقيقية للعبودية، وشرح لها القواعد الغريبة التي من الضروري أن يدركها السادة لإدارة ممتلكاتهم البشرية ... عباراته الحديدية الباردة والقاسية وقعت موقعًا عميقًا في قلبي ... كان إلهامًا خاصًا وجديدًا، كشف لي عن لغز موجع لطالما سعيت عبثًا لفهمه: إن قوة الرجل الأبيض على إدامة عبودية الرجل الأسود قائمة على حرمانه من المعرفة].

